مجلّة الدراسات العربية

مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة سنويّة

العدد: 16
ديسمبر 2019

تصدر عن قسم اللّغة العربيّة بجامعة كشمير
سري نجر، كشمير (الهند) ١٩٠٠٠٦

ISSN: 2231-1912

مجلة الدراسات العربية

مجلّة علميّة أدبيّة ثقافيّة سنويّة

العدد : ١٦
ديسمبر: ٢٠١٩

رئيس التحرير:
أ. د. صلاح الدين تاك

المحرر:
د. طارق أحمد آهنغر

هيئة التحرير:
أ. د. منظور أحمد خان
د. شاد حسين
د. عبد الرحمن واني

تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير
سرينغر، كشمير (الهند) ١٩٠٠٠٦

© جميع الحقوق محفوظة

اسم المجلّة:

مجلّة الدراسات العربية

ISSN 2231-1912

رئيس التحرير:

البروفيسور صلاح الدين تاك

الناشر:

قسم اللغة العربية،

جامعة كشمير، سرينغر (الهند)

الكتابة والتصميم:

عاشق حسين مير

بدل الاشتراك:

في الهند: ٣٠٠ روبية هندية

في الخارج: ١٥ دولارا

المراسلات:

توجّه المقالات والرسائل والاشتراكات إلى العنوان التالي:

رئيس قسم اللغة العربية،
جامعة كشمير، سرينغر
(الهند) - ١٩٠٠٠٦

الهاتف:

0194-2272330, 2272331, Ext. 2330

البريد الإلكتروني:

hodarabic@kashmiruniversity.ac.in

من أهداف المجلّة:

- إتاحة الفرصة للباحثين ومدرسّي اللغة العربية للتعبير عن آرائهم و أفكارهم.
- اطّلاع الدارسين والباحثين على الثقافة العربية والمستجدّات في العالم العربي.
- اكتشاف إمكانيات الاتصال والتفاعل بين معاهد اللغة العربية ومراكزها في الهند وخارجها.
- تزويد مدرّسي اللغة العربية بالمعلومات الجديدة عن المناهج التعليمية والتدريبية.
- نشر العلوم والفنون العربية وتعميم اللغة في الهند.

جميع المقالات والبحوث المنشورة في هذا العدد تعبّر عن آراء كتّابها
ولا تعكس بالضرورة عن رأي المجلّة

محتويات العدد

كلمة العدد 5

العلوم والصحافة

١. تاريخ الطباعة بالعربية في الهند.... .... أ. د. محمد نعمان خان 7

٢. البيروني وإسهامه في العلوم..... .... د. محمد أيوب تاج الدين الندوي 21

٣. أمينة السعيد أوّل صحافية مصرية..... ... ...د. نور افشان 29

اللغة والأدب

١. الأستاذ خورشيد أحمد فارق في ضوء كتاباته.... .... د. نعيم الحسن الأثري 35

٢. الشيخ محمد عبده رائد النثر العربي الحديث .. .. د. طارق أحمد آهنغر و د. عبد الحميد لون 43

٣. الكتب التعليمية للغة العربية المتداولة في شمال الهند .... د. جاويد أحمد بال 50

٤. منهج تدريس اللغة العربية وطرقها في المدارس الشهيرة .... د. عرفاني رحيم وطفيل محمد بت 64

القصة والمسرحية

١. الفن في روايات جرجي زيدان... ... ... أ. د. منظور أحمد خان 78

٢. الرؤية الإسلامية عند علي أحمد باكثير "سلامة القس" نموذجا..... .... أ.د. صلاح الدين تاك ومحمد تنوير 83

٣. الاتجاهات المختلفة في القصة القصيرة العربية .. .. د. عبد الرحمن واني وتوصيف أحمد مير 93

٤. الشخصيات الرئيسية ومدلولاتها في قصص "النمور في اليوم العاشر" المنتخبة..... .... د. شاد حسين ومحمد أشرف مير 108

٥. تطور المسرحية العربية الجزائرية المعاصرة وأهدافها المجتمعية..... ... ... د. شاد حسين وأرشد محمود 116

٦. دراسة تحليلية لرواية ابن فطومة للأستاذ نجيب محفوظ .... د. ناصر ثناء الله 127

٧. سرد الروايات التاريخية عند خالد محمد خالد .... شميم. ك ود. منصور أمين. ك 137

٨. المرأة في أدب طه حسين رواية "على هامش السيرة " نموذجا... .... مبشر أحسن 148

٩. "على هامش السيرة" في ضوء الحقيقة والخيال .... خليق الرحمن 157

١٠. نجيب محفوظ من خلال أعماله الروائية ... ... عاشق حسين مير ورياض أحمد راتهر 167

١١. دلالات الشخصيات النسوية في رواية "الميراث" .... تبسم جان 174

الشعر والنقد

١. الرومانسية في الشعر العربي ومدارسها..... ... . د. طارق أحمد آهنغر 182

٢. قصيدة البُردة للإمام البُوصيريّ: تحليل نقدي.... .... د. محمد إرشاد الحق 194

٣. حبّ المدينة المنورة في الشعر السعودي.... .... د. عبد الوحيد شيخ 200

٤. تأثير الفلسفة الاشتراكية في شعر محمود درويش .... د. سيد مزمل رشيد 205

٥. النقد الأدبي والعلوم: التفاعلات والصلات ... .. د. شاد حسين وتنوير أحمد بت 212

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الحمد لله الذي وفّقنا في إعداد هذا العدد من "**مجلة الدراسات العربية**" وتقديمه إلى القراء الكرام، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد!

فيا أيها القراء الكرام نقدم إلى حضراتكم بكل بهجة وسرور العدد السادس عشر من "مجلة الدراسات العربية" وهي مجلة علمية أدبية ثقافية سنوية أسهم فيها الأساتذة الأفاضل والباحثون المجتهدون من جميع أنحاء الهند حيث قاموا بإسهام مقالات علمية حول موضوعات متنوعة. ورغم هذا التنوع في الموضوعات تسري بينها روح مشتركة متشكلة في اهتمام اللغة العربية وآدابها، ونؤمن بأنها ستساعد في ترويج اللغة العربية في الهند، وهو هدف رئيسي من أهداف هذه المجلة.

وأما هذا العدد للمجلة فيتناول مقالات وبحوثا ممتعة حول العناوين العديدة المتعلقة بالأدب والنقد والفلسفة والصحافة والعلوم وما إلى ذلك. وينقسم إلى أربعة فصول، فيشتمل الفصل الأول على مقالات في العلوم والصحافة، بينما يحتوي الفصل الثاني على المقالات في اللغة والأدب. ويتضمن الفصل الثالث إسهامات في الرواية والقصة القصيرة والمسرحية، بينما الفصل الرابع عبارة عن المقالات في الشعر والنقد. ونرجو أنّ جميع هذه المقالات الأدبية ستكون نافعة ومفيدة لكل من يقوم بالبحث والتحقيق في هذه المجالات الهامة.

وأخيرا أرى من واجبي أن أودي جزيل الشكر والامتنان إلى كل من أسهم في إعداد هذه المجلة ولاسيما أعضاء مجلس المراجعة وهيئة المشاورة الذين أفادونا بآرائهم القيمّة لارتفاع مستوى المجلة، كما أشكر أعضاء هيئة التحرير الذين بذلوا

قصارى جهودهم في إعداد المجلة. وأرجو من القراء الكرام أن يزودونا بإرشاداتهم الغالية واقتراحاتهم المخلصة التي ستهدينا إلى تحسين المجلة. وما توفيقي إلا برب العلمين وهو على كل شيء قدير.

رئيس التحرير

البروفيسور صلاح الدين تاك

تاريخ الطباعة بالعربية في الهند

أ. د. محمد نعمان خان
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي-الهند

إن للهند تاريخا قديما وقد عرف الهند بحضارتها وعلومها المختلفة منذ غابر الزمان. وطريقة إعداد نسخ مختلفة من الوثائق كانت معروفة في الهند في أيام حضارة وادي السند (٣٣٠٠-١٣٠٠ قبل المسيح، وفترة نضوجها ٢٦٠٠-١٩٠٠ ق.م.) وكانت هذه الطريقة تستخدم في تسجيل الأراضي الموهوبة وذلك بنحت المعلومات على الصفائح والنقوش والرسوم والصور على النحاس والخشب والعظام والعاج والأصداف وما إلى ذلك. وقد وصلت الطباعة في الهند بعد مائة عام من طباعة نشرات غوتنبرغ (Johannes Gutenberg)، ت ١٤٦٨م) في الفترة بين ١٤٤٥-١٤٥٥م ومن أهمها العهد القديم الغوتنبرغي (Gutenberg Bible) من الكتاب المقدس الذي تم طبعه عام 1445م بمجلدين في ١٢٨٠ صفحة[١].

وهذه أيضا حقيقة أنه كانت هناك محاولات مختلفة للطباعة في بعض البلدان الشرقية قبل أوروبا وبعضها كانت ناجحة أيضا إلا أن الطباعة لم تزدهر آنذاك كما ازدهرت بعد اختراعها في أوروبا.

وقد ذكر د. محمد الأرناؤوط في مقالته القصيرة[٢] مساهمة العرب في اختراع الطباعة فقال:

[وقد تم] "اكتشاف حوالي خمسين كتابا بالقرب من مدينة الفيوم المصرية، طبعت بالعربية بطريقة القوالب الخشبية ويعود تاريخها إلى ما قبل ١٣٥٠م. وتم نقلها لاحقا إلى المكتبة الوطنية في فيينا. ويبدو أن تدخل بعض رجال الدين أدى إلى وقف انتشار وتطوير هذه التقنية في طباعة الكتب، التي كان يمكن أن تتطور كما تطورت

[١] تاريخ الكتاب ق٢ ص ٧٥.

[٢] في ذكرى غوتنبرغ "مخترع" المطبعة: الشرق أولاً، ضفة ثالثة-ممبر ثقافي عربي، ٢٢ فبراير ٢٠١٨م.

صناعة الورق وتغزو أوروبا.....

لقد جاءت هذه المعلومة المهمة عن وصول هذه التقنية إلى مصر في الكتاب المرجعي "تاريخ الكتاب" للمؤلف الكرواتي المعروف ألكسندر ستيبتشفيتش، الذي ترجم إلى عدة لغات أوروبية".

تم تأسيس المطابع في أول الأمر في الهند في المناطق الساحلية غربًا وشرقًا، فأول مطبعة كانت أسسها البرتغال عام ١٥٥٦م في غوا (Goa) أو قبلها بسنوات لنشر المسيحية. وكان وصول هذه المطبعة للهند عن طريق المصادفة وقد كانت أبحرت من البرتغال إلى إثيوبيا لمساعدة الجاليات التبشيرية هناك ولكنها بقيت في الهند لحاجتها الماسة إليها، وبذلك بدأ ازدهار الطباعة فيها.

ووفقا لتاريخ الطباعة في الهند، طبع أول كتاب في مطبعة غوا في عام ١٥٥٧م بعنوان دوترينا كريستا (Doutrina Christa) يعني مبادئ المسيحية للقديس زافير/ كزافييه (St. Xavier) باللغة البرتغالية. ولكنه الآن لا تعرف أية نسخة لهذا الكتاب. وقد ساهم مختلف الفرق المسيحية في تطوير الطباعة في الهند وطبعت المواد الدينية المسيحية باللغات المحلية التي تكتب بالحروف غير العربية فبدأت الطباعة في اللغة التاميلية قبل اللغات الهندية الأخرى[١].

طباعة الكتب العربية في الهند:

وبدأت الطباعة بالحروف العربية في أواخر سنة ١٧١٣م أو أوائل سنة ١٧١٤م في مدينة ترانقوبار (Tranquebar، حاليا: ثارانغامبادي "Tharangambadi") في ولاية تاميل نادو الهندية حيث تم طبع كتاب باللغة الأردوية بعنوان "شرك سے بيزارى اور اس سے بچنے كا راسته"[٢] يعني البراءة من الشرك وطريقة الاحتراز منه.

---

[١] جنوبي هند كي اردو صحافت ص ١٠٨، بالإشارة إلى برولكار (The Printing Press in India) صص ٨ و٢٥ و٢٦.

[٢] انظر جنوبي هند كي اردو صحافت ١٠٩.

وبدأت طباعة الكتب العربية في الهند حسب الرأي العام في أول العقد التاسع من القرن الثامن عشر للميلاد. ويعتبر متن السراجية في علم الفرائض للسجاوندي أول كتاب عربي معروف طبع في الهند وقد ترجمه إلى اللغة الإنجليزية السير وليام جونز (Sir William Jones) ونشره مع المتن العربي في كلكته (حاليا كولكاتا) سنة ١٧٩٢م[١]. ولكن الصحافة في جميع اللغات قامت بدور أكبر في ازدهار الطباعة، لذلك نجد أن فرانسيس غلادفين (Francis Gladwin) البريطاني بدأ ينشر كالكوتا جازيت (Calcutta Gazette) أي جريدة كالكوتا الرسمية في مارس ١٧٨٤م. وهو أوّل من أضاف إلى عموديها الفارسية والبنغالية عمود اللغة العربية في جريدته المذكورة، وذلك في عددها ١٩٨ من المجلد الثامن بتاريخ ١٣/ديسمبر ١٧٨٧م[٢]. وهكذا هذه الجريدة تكون لغاية الآن أول نموذج معلوم للطباعة العربية في الهند.

عندما دخل الإنجليز الهند، جاء معهم فن الطباعة والمطابع لأهداف تبشيرية ولكنه لم تبق هذه المطابع لخدمة الأهداف المنشود لها فقط، بل توسعت دائرتها إلى المجالات الأخرى. والمدينة التي خدمت اللغة العربية في أول أمرها بنشر تراثها منذ دخول الطباعة فيها، هي مدينة كلكته (Calcutta) واسمها الحالي كولكاتا (Kolkata) وكان مقرًا للاستعمار الإنجليزي في الهند وتمتعت بوجود المستشرقين فيها الذين ساهموا في نشر الكتب العربية القيمة. أسس البريطانيون فيها الجمعية الأسيوية للبنغال في ١٥ يناير ١٧٨٤م، وكان مؤسسها ورئيسها الأول السير وليام جونز الذي نشر متن السراجية مع ترجمته إلى الإنجليزية وكذلك أسس قبلها وارن هاستنغس (Warren Hastings) أول حاكم عام بريطاني للبنغال، المدرسة العالية لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في أكتوبر ١٧٨٠م. واهتم البريطانيون باللغة العربية اهتماما خاصا لسبب أو آخر واختاروا من الكتب العربية المخطوطة وحققها

---

[١] معجم المطبوعات العربية ص ١٨٤.

[٢] سرور عالم ٨٣-٨٤

المستشرقون البريطانيون مع جماعة من علماء الهند ونشروها من شركة الهند الشرقية والجمعية الآسيوية ومن مطابع أخرى بكلكته.

وقد نشر المستشرقون الإنجليز وبعض علماء الهند في كلكته كتبا تراثية قيمة وأخرى دراسية. وللجمعية الملكية الآسيوية للبنغال فضل عظيم في خدمة الطباعة بالعربية بل هي الأولى في نشر التراث العربي في الهند، وأصبحت كلكته أكبر مركز للطباعة بما فيها الطباعة بالعربية وظهرت مطابع بعدد كبير ساهمت في نشر طباعة الكتب العربية وغير العربية ومن مطبوعاتها الأولى[١]:

ملحق معجم المفردات الفارسية والعربية والإنكليزية لوليام كريك باتريك (Kirkpatrick) سنة ١٧٩٩م.، كليات سعدي (أعمال الشيخ سعدي الفارسية والعربية) في مجلدين سنة ١٧٩١ و١٧٩٥م، وكذلك نشر بيلي جان (John Belli) من هذه المطبعة كتب القواعد العربية بعنوان: مجموعة الكتب المتداولة لدرس النحو في ثلاثة مجلدات، يشتمل الأول منها على مئة عامل وشرح مئة عامل والمصباح وطبع سنة ١٨٠٢م، والثاني على هداية النحو والثالث على الكافية وطبعا سنة ١٨٠٣ و١٨٠٥م بالترتيب، ونشرت مطبعة إيشياتك ليثوغرافك كومباني (Asiatic Lithographic Company) الفتاوى الحمادية سنة ١٨٢٥م، وفصول العمادي ودر المختار كليهما سنة ١٨٢٧م، كلها في فقه الأحناف والمغني في شرح المعجز لسديد الدين الكازروني سنة ١٨٢٨م في الطب، ونشرت المطبعة الطبية (Medical Press) الهداية في الفقه والكافية في النحو، ثم سميت هذه المطبعة مطبع مظهر العجائب فنشرت هذه المطبعة تاريخ ملوك الأرض سنة ١٨٦٦م ونفحة اليمن للشرواني. ثم سميت هذه المطبعة "أردو كائد بريس" (Urdu Guide Press) وطبعت نفحة اليمن. كما نشر من كلكته كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة" و"الفتاوى العالمكيرية أو

[١] معظم المعلومات مأخوذة من "كلكته كے قديم اردو مطابع" (مطابع كلكته القديمة للغة الأردوية) صص ٢١-٦٩.

الهندية" في ستة مجلدات ضخمة بين ١٨٢٨-١٨٢٩م كما طبع الأشباه والنظائر سنة ١٨٤٤.

والمدينة الثانية مدينة حيدر آباد الهندية وهي كانت ومازالت من أهم مراكز الطباعة العربية وتقع فيها دائرة المعارف العثمانية التي نالت شهرة عظيمة وصيتا كبيرا في مجال طباعة الكتب العربية في الشرق والغرب وعرفت لجمع مخطوطات الكتب المهمة المختارة ونشرها محققة مفهرسة وبطبعات أنيقة وهو أول مركز لنشر الكتب التراثية القيمة في مختلف الموضوعات في العالمين العربي والإسلامي.

تأسست دائرة المعارف العثمانية في عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م[١] في عهد النواب مير محبوب علي خان النظام السادس لإمارة حيدر أباد في الهند. ثم اهتم بها مير عثمان علي خان، النظام السابع اهتماما بالغا، وتعتبر فترة حكمه فترة ذهبية لإمارة حيدرآباد الدكن فنسب إليه الدائرة وسميت دائرة المعارف العثمانية. ومع مرور الوقت اكتسبت الدائرة الشهرة العالمية والاعتراف في مجال البحث والتحرير.

تغطي منشورات دائرة المعارف العثمانية مجموعة واسعة من المواضيع التي تشمل تفسير القرآن الكريم والحديث، وأصول الحديث والتاريخ والفلسفة والتصوف وعلم ما وراء الطبيعة والرياضيات والفلك والطب والجراحة وطب العيون وعلم المنطق والجدل والعقائد والفقه الإسلامي وعلم البيئة.

وقد نشرت المؤسسة لغاية ٢٠١٣م أكثر من مائتين وأربعة وأربعين كتابًا ويصل عدد المجلدات إلى حوالي (٨٠٠) مجلدا وأطول كتاب طبعته الدائرة هو كتاب الحاوي في الطب في ٢٤ مجلدا.

ومن منشوراتها: نظم الدرر، مشكل الآثار، كنز العمال، السنن الكبرى، كتاب العسل، كتاب الفتوح ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر وطبع فيما بعد بعنوان: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام وغيرها كثير.

---

[١] الفهرس الوصفي ص ١ (مقدمة).

قامت الدائرة، منذ تأسيسها بتحقيق المخطوطات ونشرها لصالح العلم والعلماء من المؤرخين والباحثين والدوائر الأكاديمية في جميع أنحاء العالم.

ومدينة لكهنو أيضا من أهم المدن التي تولت وتتولى مكتباتها طباعة الكتب العربية. ومن أهم مطابع الكتب العربية فيها كانت مطبعة نَوَلْ كِشوْر الخاصة التي خدمت اللغة العربية بعلومها العربية والدينية حوالي مئة سنة من ١٨٥٨ إلى ١٩٥٠م. وكانت مطبعة نولكشور ليست مطبعة أو دارا للنشر فقط بل كان مجمعا علميا للبحث والتحقيق بمعنى الكلمة، وكان يعمل فيها النساخ والخطاطون والعلماء منشغلين بأعمالهم من النسخ والتصحيح والبحث والتحقيق والتصحيح وبعدد كبير، ولم يجتمع هذا العدد الهائل من الموظفين في أية مطبعة أخرى في الهند أو غيرها من البلدان في تلك الآونة. وكان من الصعب إيجاد النساخ المهرة الذين ينسخون النسخة النهائية بخطهم الجيد للطباعة فأسس المنشي نولكشور صاحب المطبعة دارا لتربية الناشئين للنسخ وكتابة المسودات وبذلك سهل أمر الطباعة له. وكان عدد النساخ الدائمين أكثر من مئة ناسخ بالإضافة إلى النساخ الذين كانوا يعملون عملهم حينا بعد حين حسب العمل المتوفر لهم ويأخذون الأجرة حسب كمية عملهم وكان عددهم أيضا لا يقل عن مئة ناسخ[١]. وكان هدفه خدمة الوطن وتوفير الكتب بسعر أرخص، وتطورت المطبعة تطورا هائلا حتى تفرعت وتعددت لها فروع في عدة من المدن الهندية وترك المنشي نول كشور عند وفاته، عقارا بقيمة عشرة ملايين روبية في تلك الفترة وكان لمطبعته فروع في كانبور ولاهور وباتيالا وإله آباد وأجمير وجبل بور وكان له وكلاء في دلهي وباتنا وكلكتا وغيرها من المدن الهندية كما كان له ممثل في لندن[٢]. وكانت مطبعته معروفة في الشرق فكان يصدر الكتب إلى إيران وأفغانستان وتركستان الصينية وأذربيجان وسمرقند وبخارى وطاشقند، كما كانت مطبوعاته معروفة في

[١] منشي نول كشور ص ١٦.

[٢] السابق ص ٢٥.

البلدان العربية والأوروبية. وكان قد بنى دارا للضيافة لكثرة التجار الذين كانوا يأتون إليه لشراء الكتب. وكان تاجرا ناجحا كان لا يميز بين كتاب وآخر بل كان ينشر الكتب بالحروف العربية والهندية وغيرها كما كان ينشر الكتب لجميع الديانات والمناهج الدراسية والكتب الأسطورية وبموضوعات مختلفة، ولذلك كان موضع تقدير لدى جميع الفرق ومن الكتب الكثيرة التي طبعها بالعربية:

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري، والدر النظيم في خواص القرآن العظيم لليمني الشافعي، وتفسير البيضاوي والتفسير المنسوب إلى ابن عربي، وسواطع الإلهام لفيضي. والتفسيرات الأحمدية (في أحكام القرآن) للملا جيون، وإرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني، وشرح النووي لصحيح مسلم، وسنن أبي داوود، وسنن ابن ماجه، وجامع الترمذي، ومشكاة المصابيح للتبريزي ومجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر الفَتَني، ودلائل الخيرات، للجزولي، والحصن الحصين للجزري، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وتقريب التهذيب لابن حجر. وأحسن البضاعة في مسائل الرضاعة لمحمد أحسن النانوتوي، وأحوال طبقات الفقهاء مع الجامع الصغير، وأصول الشاشي مع حاشية محمد حسن السنبهلي، والأشباه والنظائر لابن نجيم، والبناية شرح الهداية للعيني وغيرها كثير.

ومن أهم المدن التي اهتم بنشر الكتب العربية مدينة بهوبال عاصمة ولاية مادهيا براديش عندما كانت إمارة إسلامية[١] والتحق بها الشيخ محمد صديق حسن خان وكان مغرما بالعلم وقراءة الكتب واقتنائها ولما عين ناظرا للمعارف انتهز الفرصة وقام بتأسيس المدارس والمجامع والمكتبات وكان له وكلاء في العالم الإسلامي يرسلون إليه الكتب والمخطوطات[٢]. ومن منشوراته أيام نظارته:

---

[١] تمتاز هذه الإمارة الإسلامية بأنه حكمتها أربع أميرات لأكثر من قرن في أيامها الأخيرة.

[٢] انظر لأسماء وكلائه في الهند والبلاد العربية: الأمير سيد صديق حسن خان ص ١٠٤-١٠٥ وقد ذكر المؤلف (٢٥) اسما.

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري: لم يكن يوجد الكتاب في الهند آنذاك فاشترى مخطوطته في الحديدة بست مئة دينار ذهبي وكانت منسوخة بخط ابن علان، وطبعها في مطبعة بولاق بمصر وأنفق على طبعها خمسين ألف روبية.

٢- تفسير ابن كثير مع تأليفه "فتح البيان" في التفسير (بعشرين ألف روبية).

٣- نيل الأوطار للإمام الشوكاني، طبعه بمصر (بخمس وعشرين ألف روبية).

ثم طلب الوكيل الإنجليزي من الأميرة شاهجهان بيغم أن تتزوج لأن زوجها كان قد توفي قبل اعتلائها العرش، فاختارت الشيخ محمد صديق حسن خان زوجا لها وطلبت من الحاكم الإنجليزي أن يمنح له جميع التقديرات والألقاب التي منح بها زوجها الأول، فهكذا دخل الشيخ في العائلة الأميرية وأصبح أميرا ونوابا لكون زوجته أميرة لإمارة بهوبال وبدأ دوره الثاني في الإمارة.

وقد أسس النواب صديق حسن خان أربع مطابع في بهوبال، وهي:

١- المطبعة السكندرية (مطبع سكندري) لطبع الإعلانات والبيانات والخرائط والوثائق الحكومية.

٢- المطبعة الشاهجهانية (مطبع شاهجهاني) لطبع مؤلفات النواب والمقررات الدراسية في الإمارة كما كانت تطبع فيها جريدة "عمدة الأخبار" الأسبوعية باللغة الأردوية تنشر فيها أنباء بهوبال، وملخص الأوامر الحكومية. كما كانت تصدر منها بعض المؤلفات ودواوين شعر ورسائل أخرى.

وكذلك طبعت فيها الأميرة شاهجهان بيغم القرآن الكريم بعنايتها الخاصة وبإشرافها المباشر فظهر بطبعة أنيقة خالية من الأخطاء.

١- المطبعة السلطانية (مطبع سلطاني) لطبع الطوابع الحكومية والوثائق والبيانات الحكومية

٢- المطبعة الصديقية (مطبع صديقي) نسبة إلى النواب صديق حسن خان،

وكان مختصة بطبع الكتب الإسلامية والعربية القديمة ومؤلفات النواب صديق حسن خان الكثيرة.

وقد قام النواب صديق حسن خان بإسهام بارز في نشر الكتب العربية بطبعها في الهند وخارجها وتوزيعها على أهل العلم والفضل.

وتعتبر مدينة دهلي أو دلهي (Delhi) أيضا من أكبر وأهم مراكز المطبوعات العربية في الهند ومن المكاتب القديمة فيها: أحسن المطابع والجمعية بريس وجيد برقي بريس ومطبع حسين محمد والمكتبة الرحيمية ومكتبة مجتبائية ومحبوب المطابع وغيرها من المطابع الكثيرة، خاصة القديمة منها هبت مع الزمن ومن مطبوعاتها: روضة الأدب في تسهيل كلام العرب، ولامع الدراري على جامع البخاري، للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي وإكفار الملحدين في ضروريات الدين للشيخ محمد أنور شاه الكشميري ونيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين، له أيضا، والقول الفصيح فيما يتعلق بنضد أبواب الصحيح للشيخ فخر الدين أحمد.

وهناك مؤسسات أخرى قامت وتقوم بنشر الكتب العربية، لا يمكن ذكر جميعها فإنه يحتاج إلى مجلد كبير. وكذلك من الصعب حصر المطابع التي طبعت الكتب العربية في الهند ومطبوعاتها، فنظرة في معجم المطبوعات العربية للدكتور أحمد خان (من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية) ينبأك عن كثرة المطبوعات العربية في الهند.

طباعة الكتب العربية في الوقت الراهن:

هناك عدد لا بأس به من الكتب التي تطبع حاليا في الهند ولكنه كما وضحت فيما مضى أنه لا سوق لها فتطبع في عدد محدود وتباع للمكتبات كما تهدى لها ولأشخاص، فنذكر هنا بعض الكتب التي نشرت في الهند:

من مطبوعات دلهي: الدراسات العربية في الجامعات الشمالية منذ الاستقلال في ١٩٤٧م، المعهد الهندي للدراسات الإسلامية، نيو دلهي ١٩٨٩، ومساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار الفاروقي، دلهي

الجديدة ١٩٩٠، والترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال، دار سلمان للطباعة والنشر، دلهي الجديدة ١٩٩٧، ومساهمة علماء عظيم آباد في آداب اللغة العربية وعلومها، دار العلم للطباعة والنشر، دلهي الجديدة ٢٠٠٣م، ومساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين، ماكوف برنترس، دهلي ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، و"حالي" [الشاعر] والأدب العربي، كوخ العلم، دلهي ٢٠٠٦م. ومن منشورات المجلس الهندي للعلاقات الثقافية الحكومي الذي ينشر دورية عربية باسم "ثقافة الهند": واقع اللغة العربية في الجامعات الهندية ٢٠٠٥م. وأهمية التصوف في العالم المعاصر. وتصحيح لسان العرب، دار المعرفة ٢٠٠٤م.

وفي بيهار: نفحة الهند (تراجم الشخصيات الهندية في الثقافة العربية، كاتيهار ٢٠٠٤م، ومساهمة علماء دلهي في اللغة العربية وآدابها حتى عام ١٨٥٧م، دربنجه ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

وفي ولاية تلنغانه: في حيدرآباد علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي (مملكة النظام بحيدرآباد-الهند)، الجامعة النظامية ٢٠٠٥م، رجال من العرب والعجم، دار حسان العربية ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

وفي ولاية كشمير: الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها، دار الهجرة، جام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، وأماثل كشمير، بيت الحكمة الندوية، سري نجر ٢٠٠٤م، ومساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي، (من القرن الثامن الهجري إلى القرن الثالث عشر) ٢ ج، بيت الحكمة الندوية، سري نجر ٢٠٠٤-٢٠٠٨م. وغيرها.

مهاراشترا: الدار السلفية بمومباي. ودار القيمة في بهيواندي من مطبوعاتها: تحفة الأشراف للمزّي، سنة ١٤٠٣هـ ومن مطابع ماليگاؤں (Malegaon): مطبع علمي.

من مطبوعات علي كره (أترابرادش): سبحة المرجان في آثار هندوستان (تحقيق)، معهد الدراسات الإسلامية بجامعة علي كره الإسلامية (٢مج) ١٩٧٦و١٩٨٠. طرب الأماثل بتراجم الأفاضل (تحقيق) ٢ ج، مركز الدراسات الآسيوية الغربية بجامعة علي كره الإسلامية ١٩٩٣ و٢٠٠٠م.

ومن الناشرين باللغة العربية: قسم اللغة العربية بجامعة علي كره الإسلامية، ومجمع البحوث العربية، ومجمع السير سيد العلمي، بجامعة علي كره الإسلامية.

وفي ديوبند: اتحاد بكدبو، والمكتبة الأشرفية، والمكتبة الإعزازية، وأكاديمية شيخ الهند بالجامعة الإسلامية دارالعلوم، والمكتبة الحسينية (كتب خانه حسينيه)، ومطبع خضر راه، ودار الكتاب، ودار المعارف، والمكتبة الرحيمية، ومكتبة رضي، وفيصل پبليكاتسيون ومطبع قاسمي (المطبعة القاسمية)، ومعهد الأنور، ومكتبة نعمانية، والمكتبة الوحيدية.

من مطبوعات لكهنؤ (أترابرادش)، مؤلفات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي: في ظلال السيرة، والعالم الإسلامي اليوم: قضايا وحلول، وأضواء على الأدب الإسلامي، وفي وطن الإمام البخاري. ومن مؤلفات الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي: مصادر الأدب العربي، والدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، ومختصر الشمائل النبوية، والشيخ أبو الحسن الندوي قائدا وحكيما، وأعلام الأدب العربي في العصر الحديث. وجميع هذه الكتب من مطبوعات مجلس التحقيق والمنشورات الإسلامية. وينشر الكتب العربية أيضا: والمجمع الإسلامي العلمي (ندوة العلماء)، وإدارهإحيائ علوم ودعوت ومؤسسة الصحافة والنشر (ندوة العلماء).

وفي رائي بريلي: مكتبة دار عرفات، دارة الشيخ علم الله. وفي سلون: نشر كتاب الغرس الوهدي في رسائل الشيخ نعيم بن المهدي ٢٠١٦.

وفي بنارس إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية وغيرها لطباعة الكتب العربية.

وفي أعظم كره: دار المصنفين (مجمع دار المصنفين "شبلي") من مطبوعاتها العربية: الانتقاد على التمدن الإسلامي، نقد فيه العلامة شبلي النعماني بعض آراء الكاتب المعروف جورجي زيدان في الحضارة الإسلامية.

ومن مطابع سهارنبور: المكتبة الحيوية.

وفي رامبور، من منشورات مكتبة رضا رامبور: تفسير سفيان الثوري (تحقيق)

١٩٦٥م، والفلسفة الهندية القديمة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م وغيرهما من الكتب.

من مطبوعات بهوبال (مادهيا برادش): مساهمة نازك الملائكة في الشعر والنقد ٢٠٠٤م، والعلوم الدينية والفكرية بالهند في العهد الإنكليزي، مؤسسة مولانا محمد عمران خان للتعليم والخدمة الاجتماعية ٢٠١٣م وغيرهما.

ومن مطابع ولاية غجرات: المجلس العلمي بدابهيل من مطبوعاته العربية نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي وغيره.

ومن مطابع ولاية آسام مطبعة جامعة آسام، قسم اللغة العربية.

ومن مطابع ولاية كرناتكا: مكتبة الرّوضة في بهاتكال (Bhatkal).

وفي مدراس (تشناي حاليا/ ولاية تاميل نادو): أعلام النثر والشعر في العصر العربي الحديث، دار حافظة للطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ودار سلطانه للطباعة والنشر إسلامك فاؤنداتسيون ترست.

وفي كيرالا، في كاليكوت: تحفة المجاهدين للحفيد وتحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان للجد (كلاهما من القرن العاشر للهجرة)، مكتبة الهدى ١٩٩٦، والشعر العربي في كيرالا مبدؤه وتطوره، عربنيت ٢٠٠٣م، ومقاومة الاستعمار البرتغالي في مليبار، مكتبة الهدى ٢٠٠٧م، وقصيدة فتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين (من القرن ١١ هـ)، مكتبة الهدى (د.ت.)، وتاريخ الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، مجمع المركز للبحوث الإسلامية بجامعة مركز الثقافة السنية، كاليكوت ٢٠١٣م. والمسلمون في كيرالا، مكتبة أكمل في مَلّابورم.

ومن مطابعها: سي إتش محمد كويا وأولاده للكتب، وبَيّانيه في برابّان غادي، وأمينة بوك ستال، تالاسّيري، بدريه بوكس، كوتّاكال، عربينَن بوكس، كوتّاكال. ومن مطابع كاليكوت: مكتبة عربنيت، ودار المعارف، ومكتبة الهدى.

وخلاصة القول أن طباعة الكتب العربية استمرت منذ أن بدأت في نهاية القرن الثامن عشر للميلاد ولم تنقطع في أية فترة من الفترات لغاية أيامنا هذه بل زادت عدد المطبوعات العربية في الفترة الأخيرة لأسباب علمية ودراسية والحكومة الهندية أيضا

تشجع ذلك عن طريق شراء الكتب العربية ومساعدة المؤلفين بنشر إنتاجاتهم باللغات الأردوية والعربية والفارسية فأسست الحكومة المجلس الوطني لترقية اللغة الأردوية ويتولى هذا المجلس ترقية اللغتين العربية والفارسية بالإضافة إلى اللغة الأردوية. وكانت بعض الكتب العربية تطبع خارج الهند في البلاد العربية على حساب ناشريها الهنود كما كانت تطبع بعض الكتب من الجزيرة العربية في الهند على حساب ناشريها العرب. وهكذا كانت الهند والبلاد العربية مرتبطة بعلاقة علمية قوية، وفقنا الله لترقية هذه العلاقات القائمة.

المراجع والمصادر

١- الأمير سيد صديق حسن خان، حياته وآثاره، د. محمد اجتباء الندوي، دار ابن كثير، دمشق وبيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢- تاريخ الطباعة العربية في الهند، الشيخ مختار أحمد الندوي (من مقالات) ندوة الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر ٢٨-٢٩ جمادى الأولى ١٤١٦هـ/ ٢٢-٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٥م، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي/ المجمع الثقافي- أبو ظبي (ط١) ١٩٩٦م ص ١٤٣-١٥٧.

٣- تاريخ الكتاب، د. ألكسندر ستيبتشفيتش (بالكرواتية)، ترجمة د. محمد م. الأرناؤوط، القسم الثاني، سلسلة عالم المعرفة برقم ١٧٠، فبراير ١٩٩٣م.

٤- تاريخ مدرسه عاليه (تاريخ المدرسة العالية من ١٧٨١-١٩٥٩)، مولانا عبد الستار محاضر بالمدرسة العالية بدكا، دكا (بنغلادش) ١٩٥٩م.

٥- تطور الصحافة العربية في الهند بعد استقلالها، د. سرور عالم الندوي، جامعة عليكره الإسلامية- الهند ٢٠٠٠م (أطروحة دكتوراه غير مطبوعة).

٦- جنوبي هند كي اردو صحافت (الصحافة الأردوية في جنوب الهند قبل ١٨٥٧م)، د. محمد أفضل الدين إقبال، حيدر آباد ١٩٨١.

٧- دور النشر والمؤلفات العربية في الهند ودراسة خاصة حول جهود دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، محمد نعمان خان، في: اللغة العربية

في الهند (الندوات والمؤتمرات-٤)، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض (ط٢) ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص ٦٧-١٧٤

٨- علماء العربية= علماء العربية ومساهاماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي (مملكة النظام بحيدرآباد من سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م إلى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، تأليف البروفيسور الدكتور محمد سلطان محيي الدين، أبو الوفاء برنتنگ پريس، الجامعة النظامية، حيدرآباد (ط١) ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩- الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية، عظمت الله الندوي وسيد أحمد زكريا الغوري الندوي، (ط١) ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٠- کلکتے کے قديم اردو مطابع اور ان کی مطبوعات-ايك تذكره (مطابع كلكته القديمة للغة الأردوية ومطبوعاتها)، سيد مقيت الحسن عثمانيه بك دپو، كلكته ١٩٨٢.

١١- معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية منذ دخول المطبعة إليها حتى عام ١٩٨٠م، د. أحمد خان/ مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٢١هـ/٢٠٠م.

١٢- مقالة تاريخية تحتوي على أخبار جمعية دائرة المعارف العثمانية، رتبت بأمر جمعية دائرة المعارف، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن ١٣٥٤هـ.

* * *

البيروني وإسهامه في العلوم

د. محمد أيوب تاج الدين الندوي
مدير المركز الثقافي العربي الهندي
وأستاذ قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

نجد الغرب (بما فيها أوروبا وأمريكا الشمالية) قد تقدم اليوم في العلوم والتكنولوجيا تقدما ملحوظا. ويبدو للمسلمين وغير المسلمين في الشرق أن الغربيين كانوا في كل زمان قد فاقوا الحضارات الأخرى، ولكنه ليس حقاً بل الأمر مختلف تماماً، فإن كل ما أنجزته الحضارة الغربية كان بتأثير من الحضارة العربية الإسلامية التي سبقتها بل مهدت لها الطريق لإنجازاتها، وإن للعلماء العرب المسلمين فضلاً كبيراً على تقدم الحضارة الإنسانية، لأنهم في الحقيقة كانوا لبنة أساسية من لبنات الحضارة الإنسانية العالمية، فإن العقلاء ومن لهم إلمام بالموضوع يعرفون أن المسلمين نقلوا العلوم من ثقافة الهند وفارس في الشرق وثقافة اليونان في الغرب، وهضموها وأضافوا إليها إبداعاتهم التي لم يزل تأثيرها باقياً في العالم حتى هذا اليوم، ولو لم يصل ما بقى من مؤلفات اليونان على يد العرب المسلمين إلى أوروبا لتأخرت النهضة الأوروبية، ولولا ظهور العلماء المسلمين أمثال ابن الهيثم وجابر ابن حيان والبيروني ولولا إسهاماتهم العلمية لتأخر ظهور جاليليو ونيوتن وغيرهما ولتأخر الركب الحضاري الأوروبي.

فمن أولئك الكثيرين من العظماء المسلمين الذين سجلوا بصماتهم في سجل الاختراعات العلمية، وتركوا أثراً واضحاً في العلوم، بل ومن أشهرهم العلامة الكبير أبو الريحان البيروني (٩٧٣-١٠٤٨م)، والذي أطلق عليه لقب بطليموس العرب. ولا يمكن ذكر المساهمين في العلوم في العهود الوسطى بدون ذكر البيروني.

كان البيروني رحالا وفلكيا وجغرافيا وجيولوجيا، وبرع أيضًا في الفلسفة والرياضيات والصيدلة، وكان مؤرخا وناقلا لثقافات الهند والسند أيضًا، ووصفه بعض المستشرقين بأنه من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية والبشرية بأجمعها. وقد حاول هذا العالم فيما قام به من جهود علمية أن يربط دائما بين العلم

والدين، وأن يفسر الظواهر الفلكية في ضوء القرآن الكريم، وقد كان من أشد المتحمسين لإسلامه وعروبته. وكان حبه للعلم والثقافة شديدا ويدل على ذلك قوله فرب وفاته إذ قال: "أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيرا من أن أخلها وأنا جاهل بها."[١]

ولد أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في اليوم الخامس من شهر سبتمبر عام ٩٧٣م (٣٦٢ للهجرة) في "بيرون"[٢] كاث يعني في ضاحية من ضواحي "كاث" عاصمة المملكة الخوارزمية التي تسمى الآن خيوه في أوزبكستان، وتوفي عام ١٠٤٨م. ولا نعرف الكثير عن أيامه الأولى في مسقط رأسه وعن نشأته ودراسته. لم يبق البيروني في موطنه طويلا حيث أنه رحل إلى جرجان وهو في الخامس والعشرين من عمره، والتحق حينها ببلاط السلطان أبو الحسن قابوس، ويقول الأستاذ أبو الفتوح محمد التوانسي عن علاقة البيروني بالسلطان قابوس: "وكان للبيروني سمعة علمية طيبة، ملأت الآفاق في جميع الديار الإسلامية، وذلك مما جعل شمس المعالي قابوس بن وشمكير... يستأثر بصحبته، على أن تكون له الكلمة النافذة في ملكه الواسع ... وكان يستشيره في كل ما يعرض له من أمور هامة، وفيما يسنح له من أمر السماء والنجوم، فقد كان قابوس محبا لعلوم الفلك، وكان البيروني أكبر عالم في عصره في الهيئة والنجوم."[٣] وهناك بدأ أولى أعماله وكتاباته الأثرية، ومن أولى كتبه التي كتبها كانت " الآثار الباقية عن القرون الخالية ".

وفي جرجان عاصمة الدولة الخوارزمية لقي البيروني التقدير من أمير البلاد أبو العباس مأمون فأتيحت له الفرصة لأن يجتمع بكبار العلماء مثل ابن سينا. وحين عاد

---

[١]- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، للدكتور أحمد سعيد الدمرداش ص: ٨ دار المعارف مصر.

[٢]- كلمة بيرون كلمة فارسية بمعنى ضاحية المدينة، فلقب بالبيروني.

[٣] - ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني العالم الفلكي الجيولوجي والرياضي المؤرخ مترجم ثقافات الهند للدكتور أبو الفتوح محمد التوانسي. ص ٣٠

إلى موطنه التحق بحاشية الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه الذي عهد إليه ببعض المهام السياسية نظرا لطلاقة لسانه وبعد أن قتل أبو العباس مأمون سنة ١٠١٦م احتل محمود الغزنوي الدولة الخوارزمية، وبضمنها خيوة، بحجة الانتقام من القتلة وجعل "غزنة" عاصمة لمملكته. وكان البيروني من جملة الأسرى[١] واتهمه السلطان الجديد بالكفر والزندقة وسجنه ولقي في سجنه بغزنة عنتاً شديداً، وفي مرحلة لاحقة عفا محمود الغزنوي عن أبي الريحان البيروني. وقام بإلحاقه في طائفة العلماء، وهناك قام بنشر العديد من المؤلفات التي كتبها والتي منها " تحقيق ما للهند من مقولة، مقبولة في العقل أو مرذولة ".

وقد رافق البيروني السلطان محمود الغزنوي في معظم حملاته على الهند التي استمرت منذ عام ١٠٠٠م إلى عام ١٠٢٤م، وشهد معه ثلاث عشرة غزوة وطالت إقامته في غزنة مع السلطان محمود وحلفائه. وقد خلفه ابنه مسعود (١٠٣٠م/١٠٤٠م) فقرب البيروني منه للاستفادة منه. وكانت إقامته في غزنة من العوامل التي ساعدت على القيام بعدة رحلات علمية إلى الهند. وقد تمخضت تلك الرحلات عن تأليف كتاب عن (الهند) الذي ضم قسمه الأول ٨٠ فصلاً تناولت الفصول (من ١٨–٣١) مواضيع في الجغرافية الوصفية والرياضية والإخبارية. وترك في كتابه وصفاً غزيراً عن الهند مستنداً على دراسته للمصادر الهندية، إذ تعلم اللغة السنسكريتية، وعلى أحاثه الميدانية.

وفي غزنة كتب مؤلفه عن الجغرافية الرياضية والمعروف باسم "القانون المسعودي" الذي عرض فيه المواقع الفلكية لكل بلدان العالم المعروف. كما أنه ألف الكثير من الكتب، ولم تقف حياته على حدود الكتب والتأليف، بل حاول أن يتعرف أكثر على عالم الرياضيات والعلوم، والفيزياء، وكان مهتماً جداً بفرع الصيدلة، فقد أحب هذا التخصص كثيراً وحاول أن يتوسع فيه، وكتب الكثير من الكتب التي

---

[١]- Alberuni's India By Edward C Sachau Preface P IX

تتحدث عن علم الصيدلة، إضافة إلى ذلك درس الفلك، وحاول جاهداً أن يثبت ظاهرة أن الأرض تدور في محور ثابت حول نفسها، ونجح في تحقيق ما يريده، كان الرحالة أبو الريحان البيروني مثقفاً في الكثير من المجالات، كما أنه أتقن العديد من اللغات، وكان يحب القراءة، كما أنه حاول دوماً أن يستفيد من الأمور التي توصل إليها من سبقوه من أجل الوصول إلى مبتغاه، واستمر طوال حياته يسجل جميع ما كان يكتشفه من أمور، وما يتوصل إليها من حقائق، كما أنه كتب في جميع المجالات التي كان يعمل فيها، ويدرس فيها.

ومن الجدير بالذكر أن (المركز الوطني للملاحة الجوية وإدارة الفضاء) ناسا أطلق اسم العالم المسلم أبو ريحان البيروني على فوهة من فوهات سطح القمر ١٣٩٠ للهجرة الموافق عام ١٩٧٠ للميلاد تكريما لإسهاماته القيمة في علم الفلك إضافة إلى أن هناك فوهات بركانية أخرى على سطح القمر سيت باسم الخوارزمي وأرسطو، وابن سينا.

لقد اتخذ البيروني البحث والتجربة وسيلة إلى تحصيل المعارف، فلم يكن من أولئك الذين يؤمنون بقاعدة اعتناق الآراء المسلم بها في تمحيص ولا تحقيق، بل كان دوما يصر على وجوب المباشرة بمراقبة الأمور، فكان يمتحن الأشياء بنفسه ويبحث عنها ويخضعها لألوان من التجربة. فعلى سبيل المثال إنه لم يقبل قول الناس في عدد أرجل الدويبة المعروفة "أم الأربع والأربعين" بل إنه تكلف مؤونة التيقن من عدد أرجلها إذ قال: "عددت أرجل واحدة منها فكانت مائتين وأربعين رجلا"[١]. فهذا المنهج في البحث وضعه بنفسه، وكان يهتم باتخاذ الوسائل الضرورية للبحث والكشف عن الحقائق.

ألف البيروني كتباً في الفلك والرياضيات وقد وصل عددها إلى خمسة وتسعين كتاباً من مجموع مئة وستة وأربعين كتاباً له، واحتوت مؤلفاته على خمسة وستين

---

[١]- ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني العالم الفلكي الجيولوجي والرياضي المؤرخ مترجم ثقافات الهند ص ٣٥

بالمئة مما تم اكتشافه في علوم الفلك، وفي القواعد الأساسية التي تم الاعتماد عليها في العصر الحديث، كما كتب العديد من التعليقات بخصوص علم الفلك الهندي في كتابه (تاريخ الهند)، إذ تكلم عن دوران الأرض حول نفسها في رسالة لعمل الفلك، وتكلم عن الموضوع ذاته في كتاب (مفتاح علم الفلك). دخل البيروني في كثير من الحوارات والنقاشات فيما يخص دوران الأرض خاصة مع العالم ابن سينا، وقد اعترض أيضاً على توقعات أرسطو فيما يخص علم الفلك، وفي اعتقاده أنّ الأجرام السماوية ثابتة، وقام بإثبات نظريته القائلة بوجود الفراغ من خلال التجربة، كما فسر ظاهرتي الكسوف والخسوف.

وفي الفيزياء تكلم البيروني عن سرعة الضوء، وبأنّها أكبر من سرعة الصوت، وقام بالكثير من التجارب الفيزيائية، كما شارك في علم الديناميكا، وعلم الإستاتيكا، وتكلم أيضاً عن كثافة العديد من المعادن، ومنها: الذهب، والنحاس، والفضة، والحديد، والزئبق.

ومن إنجازات البيروني في الجغرافيا أنّه رسم خطوط الطول والعرض، كما وضع أيضاً نظرية لقياس نصف قطر الأرض مع حساب مُحيطها.

والشيئ الذي يميز البيروني بنوع خاص عن غيره من العلماء العرب هو إتقانه فلسفة السنسكريتية والسريانية والنصوص اليونانية والمصادر الإيرانية القديمة التي أدخل بفضلها عددا كبيرا من الكلمات والتعبيرات وقوالب العبارة في اللغتين العربية والفارسية.

وظل البيروني حتى آخر حياته شغوفًا بالعلم مقبلا عليه، متفانيًا في طلبه. ويروي المؤرخ الكبير ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء ما يغني عن الكلام في مدى تعلق البيروني بمسائل العلم حتى الرمق الأخير، فيقول على لسان القاضي علي بن عيسي، قال: "دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه قد حَشْرَج نفسُه، وضاق به صدره، فقال لي وهو في تلك الحال: كيف قلت لي يومًا حساب الجدَّات الفاسدة (من مسائل المواريث) فقلت له إشفاقًا عليه: أفي هذه الحالة! قال لي: يا هذا أودّع الدنيا وأنا عالم

بهذه المسألة، ألا يكون خيرًا من أن أخلّيها وأنا جاهل لها؛ فأعدت ذلك عليه، وحفظه... وخرجت من عنده وأنا في الطريق سمعت الصراخ..."[1]، وكان ذلك في غزنة في 12 ديسمبر1048 م.

مؤلفاته

وفي عدد مؤلفاته اختلفت الآراء، فهناك من عدها بمئة مؤلف، وأوصل عددها الآخرون إلى ١٨٣ كتابا، ولكن ضاع منها الكثير ولم يصل إلينا إلا القليل. وأقدم مخطوط له يرجع إلى عام ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٦ م، فهو منسوخ في عهده وحياته.

وفيما يأتي أبرز مؤلفاته:

الآثار الباقية عن القرون الخالية

وهو أول كتاب وضعه عندما كان في بلاط جرجان وأهداه إلى أميرها قابوس سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠م)، وهو يبحث عن التقاويم والشهور عند مختلف الأمم. ويتخلل ذلك بحوث رياضية وطبيعية وفلكية عديدة. كما يحتوي على معلومات تاريخية عن ملوك أشور وبابل والكلدان والقبط والروم واليونان.

القانون المسعودي

وهذا الكتاب مصنف ضخم يحتوي على ١٤٣ باباً في ١١ مقالة وقسم كل مقالة إلى أبواب وكل باب إلى فصول. ألفه في غزنة وأهداه إلى سلطانها مسعود بن محمود سنة ٤٢١ هـ، فمنحه السلطان أموالاً طائلة ولكنه ردها إلى الخزينة بحجة أنه إنما يخدم العلم للعلم، لا للمال. والكتاب يبحث في علم الفلك والهندسة والجغرافيا.

تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة

وهذا الكتاب من أشهر كتبه وقد ألفه عن الهند وأهلها. ويحتوي هذا الكتاب على (٨٠) باباً، تناول فيه أحوال الهند وأعيادها وتقويمها وقوانينها وسكانها. وذكر

---

[1]- ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني العالم الفلكي الجيولوجي والرياضي المؤرخ مترجم ثقافات الهند، ص ٣١

معتقداتهم بالله والموجودات العقلية والحسية وغيرها. نشره (سخاو) في لندن سنة ١٨٨٧ م. كما طبعته مطبعة مجلة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٧.

التفهيم لأوائل صناعة التنجيم

ألفه في غزنة، بالعربية والفارسية، سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م وقبل سنة ٤٢٥ هـ على طريقة السؤال والجواب في الفلك والرياضيات، وقدمه لريحانة بنت الحسن الخوارزمي.

الصيدنة

وهو آخر مؤلفات البيروني، استقصى فيه معرفة أسماء الأدوية وماهياتها واختلاف آراء المتقدمين وما تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه. وقام بتحقيقه المستشرق السوفيتي الكيميائي عبد الله كاديموف من كلية الدراسات الشرقية بجامعة البيروني بطشقند.

الجماهر في معرفة الجواهر

قام بتأليف هذه الكتاب البيروني وأهدى إلى الملك مودود بن مسعود (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ويبحث الكتاب في علم الجيولوجيا والأحجار الكريمة والمعادن، وطبعته دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن

يحتوي هذا الكتاب على معلومات دقيقة في علم الجيولوجيا، توجد منه نسخة مكتوبة بخط المؤلف في مكتبة إستانبول بتركيا، وطبع النص الكامل سنة ١٩٦٢ في أنقرا بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي، وتقع هذه الطبعة في ٢٩٤ صفحة.

رسائل البيروني

طبعت كتاب "رسائل البيروني" بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٤٨، وتتكون من أربع رسائل في الرياضيات وعلى الأخص علم الهندسة.

وخاتمة القول: لقد أبدع البيروني في مختلف أنواع المعرفة وبخاصةً مجالات

الجغرافيا والفلك. ففي مجال الجغرافيا كتب عشرة مؤلفات في الجغرافية الرياضية، وأربعة مؤلفات في هيئة الأرض. وقام برسم الخرائط الفلكية وبذل جهداً في تفسير تكوين سهل هندستان وكيفية تكوين القشرة الأرضية ومتغيراتها.

لقد احتفل العالم عام ١٩٧٣م احتفالا كبيرا، أقيم في باكستان حضره العلماء من شتى أنحاء العالم ليشيدوا بفضل هذا العالم الكبير وقدموا دراسات ممتازة عن أعماله العظيمة. وكان قبل هذا الاحتفال برامج عديدة لذكراه الألفية في إيران والاتحاد السوفياتي السابق وأفغانستان والهند.

وقد احتفل محرك البحث غوغل يوم الثلاثاء في ٤ سبتمبر ٢٠١٢م بأبي الريحان البيروني.

المصادر والمراجع:

١- البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، كتاب الهند في تحقيق ما لهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن. ١٩٥٨م.

٢- الدمرداش الدكتور أحمد سعيد، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، ص: ٨، دار المعارف مصر.

٣- الدكتور أبو الفتوح محمد التوانسي، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني العالم الفلكي الجيولوجي والرياضي المؤرخ مترجم ثقافات الهند

٤- أبو نصر منصور بن على بن عراق الجيلي، رسائل أبي نصر بن عراق إلى البيروني، الطبعة الأولى دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن. ١٩٤٨م.

٥- Alberuni، s India By Edward C Sachau S Chand and Co New Delhi, Jullunder, Lucknow, Bombay

* * *

أمينة السعيد أوّل صحافية مصرية

دكتورة نور افشاں
المحاضرة المتعاقدة بجامعة كشمير

لا يفقد التاريخ الأدب العربي ذكر النساء اللواتي ساهمن مساهمة ملحوظة في فنون الأدب أما العصر الحديث فقد ازدادت بنشاطاتهن في المجال الأدبي مثل ازدهارهن في مجالات الحياة الأخرى وبمصر سهم أكبر في هذا الأمر. فنرى صدى حركات النساء في هذه البقعة. والنساء المصريات مثل هدى الشعراوي وأمينة السعيد فضل الريادة في حفز النساء وتشجيعهن في لعب دور فعال في مجالات الحياة لاسترجاع حقوقهن ورفع شأنهن. لعبت أمينة السعيد الدور الريادي في مجال الصحافة فهدف هذه المقالة إبراز دورها فهي تعتبر رائدة أولى للنهضة النسائية بعد هدى شعراوي. وبفضلها تحولت الصحافة النسائية إلى رسالة للدفاع عن إنسانية المرأة وإظهار قدراتها المختلفة. وهي أوّل امرأة ترأس مؤسسة صحفية كبرى هي "دار الهلال" في سنة ١٩٧٦م. وهي من أقدم وأكبر المؤسسات الصحفية في العالم العربي.

ولدت أمينة السعيد في أسيوط في ٢٠ مايو ١٩١٠ في أسرة معروفة، وكان والدها طبيبا مشهورا متطلعا للحضارة الحديثة، وممن يرون ضرورة تعليم المرأة حتى أرقى مراحل التعليم. وفي هذه البيئة المتحضرة نشأت وترعرعت أمينة وأخواتها. وقد تعرفت وهي دون الخامس عشرة على "هدى شعراوي" التي تبنتها في المرحلة الثانوية إلى أن دخلت كلية الآداب عام ١٩٣١م في أوّل دفعة نسائية تدخل الكلية وكان عميدها في ذلك الوقت الدكتور طه حسين، وكان من زملائها في الدفعة نفسها: "لويس عوض" و"رشاد رشدي" و"محمد فتحي" وتفوقت في دراستها. وحصلت على ليسانس الآداب من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٥م. أثناء دراستها بالكلية اشتغلت بالصحافة، حيث عملت بمجلة "الأمل"، ثم "كوكب الشرق" ثم "آخر ساعة" ثم "المصور" وعملت أيضًا بالتمثيل في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي وهي طالبة في الجامعة. ومثلت مسرحية "المرأة الجديدة" لتوفيق الحكيم وبعد تخرجها عملت بمجلات "دار الهلال" ثم انتقلت للعمل بالإذاعة ثم عادت إلى "دار الهلال" مرة

أخرى عام ١٩٤٥م. وظلت تعمل بها حتى توفيت عام ١٩٩٥م[١].

ويقول الدكتور محمد فؤاد البرازي في كتابه "مؤامرات على الحجاب":

"وقد تقلدت عدة مناصب في حياتها الوظيفية فكانت عضوة في المجلس الشورى، وانتخبت أكثر من مرة عضوا بمجلس نقابة الصحفيين، ووكيلاً للنقابة وكانت عضوا بالمجالس القومية المتخصصة، والسكرتيرة العامة للاتحاد النسائي، وسافرت نائبة عن المرأة المصرية مع هدى الشعراوي إلى العديد من المؤتمرات العالمية."[٢]

وحين كان الصحفي مصطفي أمين نائبا لرئيس تحرير مجلة "آخر ساعة" عرض عليها أن تعمل معه في المجلة، فقبلت بذلك على أن تخفى اسمها حتى لا يعرف أبوها وأمها أنها تعمل في الصحافة، وهو عمل غير مستساغ في المجتمع آنذاك. لكنهما علما بذلك فيما بعد. ثم انتقلت إلى مؤسسة صحفية متخصصة بنشر السموم ضد الإسلام ودعاته، تدعى "دار الهلال" التي أسسها جورجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) الذي وقف حياته على تشويه التاريخ الإسلامي. ومن "دار الهلال" بدأت "أمينة" تكتب عن شؤون المرأة في مجلة "المصور" ومجلة "الإثنين" من وجهة نظر المستغربين. فلفتت نظر "أميل زيدان" أحد صاحبي "الهلال" فاختارها رئيسة تحرير، للإصدار مجلة نسائية شهرية باسم "حواء". وصدر العدد الأوّل منها في أوّل كانون الثاني يناير عام ١٩٥٤م. ومن خلال هذه المجلة انطلقت "أمينة السعيد" تكتب عن المرأة وتطالب بما تعتبره حقوقها لها. وفي عام ١٩٦٢م اختيرت عضوا في مجلس إدارة "دار الهلال" فكانت بذلك أول امرأة مصرية تعين في مجلس إدارة مؤسسة صحفية. ثم عينها الرئيس

---

١. أمينة السعيد تسخر: "حواء للهجوم على الإسلام" بقلم بشارة محمد حسني، التاريخ ٢٣ يناير ٢٠٠٣م، www.lahaonline.com

٢. أمينة السعيد تسخر: "حواء للهجوم على الإسلام" بقلم بشارة محمد حسني، التاريخ ٢٣ يناير ٢٠٠٣م، www.lahaonline.com

المصري السابق "أنور السادات" رئيسة لمجلس الإدارة. واستمرت في هذا المنصب[1].

ومن مؤلفاتها: "آخر طريق" و"الهدف الكبير" و"وجوه في الظلام" و"من وحي العزلة" و"مشاهداتي في الهند" وغيرها وقد كانت تكتب المقالات الاجتماعية والسياسية وكما كانت تكتب القصة القصيرة وتعد صاحبة أشهر باب لعلاج المشكلات الاجتماعية حيث ظلت أكثر من أربعين عاما تكتب باب "اسألوني" وفي مجلة "المصور" وعندما ترأست في تحرير باب "اسألوني" كانت تحت عنوان "اسأليني" متوقعة أن ترسل إليها المرأة مشاكلها ولكن أحست بأن الرسائل معظمها من الرجال فتوحل اسم الباب إلى "اسألوني" وأصبح باب اسألوني الذي بدأت تحرره منذ الأربعينات هو أشهر باب لمشاكل القراء على الإطلاق.

وتقول: "ايفيلين رياض" عندما كانت في مكتبها:

"دخل شاب تنافرت قسمات وجهه بشكل واضح وكان ينظر إلى الأرض وكأنه لا يرغب في مواجهة أحد ... ثم سلمها رسالة وهو صامت ...

كانت الرسالة تروى باختصار مشاكل شاب دميم يعتقد وجهه المنفر سيسبب له الفشل والمشاكل طوال الحياة ... ثم سألها في نهاية الخطاب ... هل حقا الانتحار حرام لأن هذا الشاب الدميم يفكر جديا في الانتحار؟

نظرت أمينة السعيد إلى وجهه وقالت:

"أرسل لي هذا الشاب فإنني أرغب في التحديث إليه أجابها:

ولكنه أمامك الآن!!

هنا صرخت فيه وهي تقول:

غير معقول ... إنك لست دميما على الإطلاق ... ولنفرض ذلك فماذا يفعل الإنسان الذي يفقد نعمة البصر أو الذي يعاني من العجز التام .... أن عددا كبيرا من العاجزين استطاعوا الوصول إلى قمة النجاح

[1]. "موأمرات على الحجاب" للدكتور محمد فؤاد البرازي، ص: ١٢٢-١٢٤

فكيف يفكر شاب في ظروفك بمثل هذا المنطق الغريب، وخرج الشاب من عندها ووجهه يشرق بالسعادة بعد أن استطاعت بقدرتها على الإقناع أن تزيل منه الإحساس بالنقص والخجل. وفهمت لماذا يأتي الناس إليها ولماذا يصرون على تكرار الزيارة فهي بقدرتها الثاقبة تستطيع قراءة ما بداخل الإنسان وكان في عينيها جهاز "رادار" قادر على كشف الأسرار...."[1].

وكان صوت أمينة السعيد من أبرز الأصوات النسائية التي طالبت بتحرير المرأة. واتخذت من مجلة "حواء" منبرا للتطاول على الأحكام الإسلامية الخاصة بقانون الأحوال الشخصية وحجاب المرأة المسلمة والمساواة مع الرجل. ومعظم آرائها حول تحرير المرأة في "حواء" تدور حول:

الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب الإسلامي، والدعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في جميع مجالات في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية والأسواق، وتقييد الطلاق، والاكتفاء بزوجة واحدة والمساواة في الميراث مع الرجل. وألا يتحكم رجال الدين بآرائهم في مجال الحياة الاجتماعية خاصة. والمطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية. وأوروبا والغرب عامة هم القدوة في جميع الأمور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للمرأة[2].

ويقول الشيخ محمد إسماعيل عنها:

"تلميذة وفية لطه حسين، ترأس تحرير مجلة "حواء" ومن خلالها تحرض نساءنا على النشوز، وفتياتنا على التهتك والانحلال، وقد تواتر لدى الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة وهي – وإن كانت تلقفت الراية من الزعيمات السابقات إلا أنها تفوقت على كل اللاتي

---

[1]. "مصريات رائدات ومبدعات" لـ"نخبة من الكاتبات والباحثات أمينة السعيد بقلم ايفلين رياض، ص: ٦٧-٦٨

[2]. أمينة السعيد داعية التحلل بقلم محمد أب الهيثم

سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية، إذ أنها لا تألو جهدا في الصدّ عن سبيل الله، والاستهزاء من شرعه عز وجل، حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت: كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق وقالت: إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إذ تساوت مع الرجل في الميراث"[1].

وكتابها "آخر الطريق" كتاب شهير بين الأوساط الأدبية وهو مأساة اجتماعية من صميم الحياة، لا من صنع الوهم وابتداع الخيال. وهو يشتمل على عشرة فصول تبحث عن الحالة الاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية لمصر. وبعد دراسة هذا الكتاب يتضح لنا أن أمينة السعيد هي أديبة وناقدة من الطراز الأوّل. وقد أتيح لأمينة السعيد أن تقف على الكثير من الأحوال الاجتماعية وقضايا الشعب بما لها من اطلاع واسع، وفكر نافذ، ومهنة صحافية، وخبيرة اجتماعية مكنتها من أن تعالج كثيرا من القضايا والمشاكل التي تتعلق بالمجتمع البشري ويرزح تحت آلامها الفرد والأسرة والآباء والأبناء في ظلام الجهل، ومساوئ التربية، وبين المخاوف والشكوك.

وخدمت أمينة السعيد بقلمها البارع، ورأيها السديد ونظراتها الصائبة لإصلاح المجتمع المصري سواء منها ما تناول الفرد أم الأسرة أم المجتمع.

وكتاب "آخر الطريق" هو در من درر العقد النفيس الذي نظمته أمينة السعيد وأبدعت نظامه واستمدته من الحياة المصرية ذات الأسرار العجيبة والمآسي المؤثرة، والأحداث الفذة التي تحتاج إلى الفكر الناضج، والعلم البارع، والتصوير الصادق ليقف المصري من حياته العامة والخاصة على ما خفي عليه. فينهض إلى علاج هذه المشاكل التي تعانيها الأسرة ويعانيها الآباء والأبناء وتهوى بالمجتمع إلى مهاوي الفساد والضعف والتأخر يوما بعد يوم، وجيلا بعد جيل.

"آخر الطريق" قصة إصلاحية من قصص الحياة ومأساة واقعية مؤثرة حدثت

---

[1]. "عودة الحجاب" للشيخ محمد إسماعيل، ص: ٦٥، ج: ١

في مصر وفي عائلة مصرية. أبطالها مصريون، وضحيتها الأولى مصري عاش في أطوار مختلفة وانتهى به المطاف في آخر الطريق إلى حالته الراهنة من الفقر والبؤس والشخصية البسيطة التي كان لها شأنها في بيئتها وسطها، ثم غيرتها الأحداث والأيام، فصارت شخصية هينة على نفسها وعلى المجتمع. وأبرزت أمينة السعيد في صفحات هذا الكتاب من معان إنسانية جديرة بالاعتبار وعيوب اجتماعية ينبغي أن توضع في القائمة الأولى من الإصلاح الاجتماعي، ومن الأغراض التربوية التي يعني بها المسؤولون عن التربية والتعليم. وهذه المعاني والأغراض التي حوتها هذه القصة وردت في هذا الكتاب الذي جاء بها في صفاء الأسلوب وعذوبة النفس وطهارة القلب واستقامة الخلق.

وبعد هذا الاستعراض يمكن لنا أن نقول إن الكاتبة والصحفية أمينة السعيد قدمت صورة صادقة للمجتمع المصري في مؤلفاتها القيمة ومثلت المرأة المصرية خير تمثيل في الاجتماعات والمؤتمرات العالمية ولعبت دورا حيويا فعالا في ميدان الصحافة فقد أحرزت الشهرة الواسعة لعمود صحفي كما ساهمت في المجلات الناشزة في العالم العربي فقامت بإثراء الصحافة العربية.

المصادر والمراجع

١- أمينة السعيد: حواء للهجوم على الإسلام للأستاذ بشارة محمد حسيني، التاريخ ٢٠٠٣/٠١/٢٣ www.lahaonline.co
٢- مصريات رائدات ومبدعات للأستاذ ايفلين رياض
٣- أمينة السعيد داعية التحلل، للأستاذ محمد أب الهشيم
٤- عودة الحجاب، للشيخ محمد إسماعيل

* * *

الأستاذ خورشيد أحمد فارق في ضوء كتاباته

د. نعيم الحسن الأثري
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية
بجامعة دلهي

كان الأستاذ خورشيد أحمد فارق من أعلام اللغة العربية وآدابها البارزين في شبه القارة الهندية الذين أفنوا حياتهم في سبيل العلم والتحقيق، فإنه كان محققا بارعا ومؤرخا متضلعا ومدرسا ماهرا. كانت شخصيته ذات جوانب مختلفة، يندر ظهور أمثاله، فأكرمه الله بغزارة المعارف في مختلف العلوم والفنون، والدقّة في الفهم والهمة في العمل، والصبر والحلم، والحلاوة في الكلام، والجودة الفائقة في الكتابة والتحرير.

كان يتقن عدة لغات وكان مكباً على الدرس والمطالعة. فانغماسه في القراءة واهتمامه بالكتب كان أشد للغاية حيث وجده من رآه مشغولا بالدراسة ومشغوفا بالتأليف ليلا ونهارا. بلغت مؤلفاته أكثر من خمسة وثلاثين في اللغة العربية والأردية والإنجليزية؛ كان يطبعها ويوزعها مجاناً. لم يزل مكرساً جهده في نشر العلم وتأليف الكتب إلى أن توفي في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ٢٠٠١م.

عاش للعلم ومات في سبيل العلم. وظل نموذجا للتفاني في الواجبات الأكاديمية. فكان مصداقا لقول الشاعر الأردوي:

ہمیں دنیا سے کیا مطلب مدرسہ ہے وطن اپنا
مریں گے ہم کتابوں پر ورق ہوگا کفن اپنا

كان أولَ أستاذ مشارك وأستاذ جامعي في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي. ولد في حي شاه آباد ببريلي (أترابرادش) عام ١٩١٦م[١]، وكان والده الشيخ محمود حسن من كبار العلماء، تخرج في دار العلوم بديوبند وعمل محاضرا للغتين الفارسية والعربية في كلية الثانوية العليا الحكومية ببريلي.

١- أما تاريخ ولادته المسجل في جامعة دلهي فهو يوليو سنة١٩٢٠م.

تعلم الأستاذ فارق اللغة العربية والفارسية من والده ثم بعد اجتياز الامتحان الثانوي العالي التحق بجامعة علي كره الإسلامية وحصل منها على شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في العربية عام ١٩٤٤م. وهو من تلاميذ المحقق الكبير والمعروف في شبه القارة الهندية والبلدان العربية البروفيسور عبد العزيز الميمني (١٨٨٨-١٩٧٨م) وكان من التلامذة المعدودين الذين حصلوا على الدكتوراه بإشرافه.

بدأ حياتَه العلمية محاضرا سنة ١٩٤٣م بالالتحاق بإنجلوعربك كوليج، المعروفة حاليا باسم كلية ذاكر حسين دهلي، من أقدم المعاهد التعليمية في دلهي وكانت بنايتها القديمة أمام بوابة أجميري، البناية التي تقع فيها حاليا مدرسة إنجلو عربِك للثانوية العليا. وكان محلها قبلُ مدرسة غازي الدين خان التي أسست في العهد المُغَلي في سنة ١٧٩٢ م. وخدم الكلية حتى عين أستاذا مشاركا للغة العربية في جامعة دلهي بقسم اللغة العربية والفارسية والأردوية وأصبح أستاذا (بروفيسورا) في سنة ١٩٧٢م. وبعد تقاعده في سنة ١٩٨١م انتقل إلى علي كره في البيت الذي بناه فيها ليقضي حياته العلمية فيه ولكنه قضى آخر أيام حياته في بيت ابنه البروفيسور رفيع العماد فينان في نيو دلهي.

مؤلفاته:

كان رحمه الله دقيق النظر في الأدب والنحو والصرف والبلاغة، والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والجغرافيا والحضارة المدنية. ومؤلفاته خير شاهد على وسعة اطلاعه على هذه العلوم والمعارف. ترك بصمة أصابعه على شتى العلوم والفنون.

ومعظم مؤلفاته في اللغة الأردوية ولكن كلها يتعلق باللغة العربية والمصادر التاريخية العربية. وقد نشر كثيرا من مؤلفاته المفتي عتيق الرحمن (ت ١٩٨٤م) صاحب الأكاديمية المعروفة في دلهي "ندوة المصنفين" وكان الأستاذ فارق عضو شرف فيها وكان يفتخر لنسبته إليها. وقد حقق بعض الكتب العربية كما ألف بعض الكتب بالإنجليزية.

من أهم مؤلفاته رسالته المقدمة إلى قسم اللغة العربية بجامعة دلهي لنيل شهادة الدكتوراه المكتوبة باللغة الإنجليزية حول الداهية "زياد بن أبيه"، وكتاب "تاريخ الردة"، وكتاب "المنمّق في أخبار قريش"، وتاريخ الأدب العربي في مجلدين من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي بعنوان:

History of Arabic Literature 2 volumes (Pre Islamic & Umayyad Periods).

ورسائل رسمية لثلاثة من خلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وتحليلاته العلمية الأدبية في قضايا تاريخية المتكونة من ١٨ مجلدا ضخما باللغة الأردية. وبالإضافة إلى ذلك له مؤلفات قيمة أخرى باللغة الأردية منها:

١- حضرت أبو بكر کےسرکاري خطوط (رسائل الخليفة أبي بكر الرسمية مترجمة إلى اللغة الأردوية مع النص العربي) دلهي (ط٣) ١٩٧٧م.

٢- حضرت عمر کے سرکاري خطوط (رسائل الخليفة عمر الرسمية المترجمة إلى اللغة الأردوية) دلهي (ط٢) ١٩٦٥م.

٣- حضرت عثمان کے سرکاري خطوط (رسائل الخليفة عثمان الرسمية المترجمة إلى اللغة الأردوية)، ندوة المصنفين، دلهي (ط١) ١٩٥٦م.

٤- عربي کي ايك قلمي كتاب سےتاريخ هند پر نئي روشني (أضواء جديدة على تاريخ الهند من مخطوط عربي) دلهي ١٩٧١م.

٥- قرن اول کا ايك سياسي مدبر (سياسي محنّك من القرن الأول أي المختار بن أبي عبيدة الثقفي المتوفى عام ٦٧هـ) دلهي ١٩٤١م.

٦- خلافت راشده کا اقتصادي جائزه (الاستعراض الاقتصادي للخلافة الراشدة) ١٩٧٧م.

٧- تاريخ رده (تاريخ الردة مترجما من العربية إلى الأردية) ١٩٦٣م.

٨- عربي لٹريچر ميں قديم هندوستان (الهند القديمة في الأدب العربي) دلهي ١٩٧٧م.

٩- اسلامي دنيا دسويں صدي عيسوي ميں(ترجمة أجزاء مهمة من أحسن التقاسيم

لمحمد بن أحمد المقدسي الباري المتوفى عام ٣٨٠هـ)

وكان رحمه الله أكثر اعتناءً بالتاريخ الإسلامي وبخاصة العصر الإسلامي الأول الذي وُضعت فيها اللِبَنات الأولى لصرح الحضارة الإسلامية الشامخة والذي يتسم بالأزمات والتقلبات التي كادت تَقْضِيْ على حياة الإسلام والمسلمين ولا سيما إثر وفاة النبي الكريم عندما ارتد عديد من القبائل عن الإسلام وتولى بعض الأعراب عن إيتاء الزكاة وعن الالتزام بالتعاليم الإسلامية.

فكان ميدان دراساته وبحوثه الذي كان يطمئن إليه ويجول ويصول فيه بكل دقة وتعمق وأمانة، هو التحقيق في التاريخ للعهد الإسلامي الأول، ولم يأخذه لومة لائم فيما كان يصل إليه من النتائج بعد بحوثه الجادة والعميقة.

أما كتابه تاريخ الردة فاقتبسه من مخطوط في دار الكتب بالقاهرة لكتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة لسليمان بن موسى الكلاعي البلنسي المتوفى شهيدا عام ٦٣٤هـ، قام بتحقيقه، وطبع الكتاب من دلهي عام ١٩٧٠م. بالإضافة إلى المراجع المهمة الأخرى في هذا البحث.

ومن أهم مؤلفات صاحبنا رسائل رسمية لثلاثة من خلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وهي التي أدّت إلى توصيل سمعة الدكتور فارق إلى أقصى بلاد شبه القارة الهندية وجعلته عَلَمًا من أعلام القرن العشرين في مجال البحث والدراسة، فهي تُعتبر مصادر قيمة للتوجهات السياسية الإسلامية والتعرف على الجذور الوثيقة في المجتمع الإسلامي.

أما كتابه حول التاريخ الهندي بعنوان "تاريخ هند پر نئي روشني" في مجلدين باللغة الأردية هو مستمد من مخطوط نادر ثالث وهو مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري الدمشقي المولود في عام ٧٠٠هـ بالاستفادة من المراجع العربية العديدة.

أما كتابه "العالم الإسلامي في القرن العاشر" (اسلامي دنيا دسوين صدي مين) فألفه الدكتور فارق على أساس مؤلَّف عربي قديم عنوانه "أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم" لأبي عبد الله شهاب الدين المقدسي (أحد علماء القرن العاشر). وإنه في الحقيقة رحلة للشيخ المقدسي تدل على تاريخ وجغرافيا العالم الإسلامي في عصره. والكتاب كما يتجلى من اسمه، كتاب قيم نافع جدا لطلبة اللغة العربية الهنود وغير الهنود كما عرض فيه خلاصة تجارب الأولين من أمثال أبي ريحان البيروني، وابن خرداذبه والنويري والقزويني ونحوهم.

كما ألف تاريخ الأدب العربي بالإنجليزية في مجلدين من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي. وهو نافع جدا للطلاب والأساتذة على السواء.

أما مخطوطة "المنمق" التي حققها البحّاثة الأستاذ فارق وصححها وعلق عليها هي مخطوطة في أخبار قريش لمحمد بن حبيب البغدادي (المتوفى عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م). قام الأستاذ بتحقيقها على إلحاح المرحوم الدكتور عبد المعيد خان مدير مكتبة دائرة المعارف آنذاك وبذل جهودا جبارة لإعطائها شكلا ملموسا لتصبح في متناول كل باحث ودارس وطبعتها دائرة المعارف العثمانية عام ١٩٦٤م.

وذكر المحقق الأهداف التي جعل نُصُبُ عينيه عند كتابة الحواشي والتعليق والتصحيح قائلا وهي تصحيح الأغلاط الهجائية والكلمات المحرفة بقدر المستطاع، وضبط الأسماء غير المألوفة، وهي كثيرة في الكتاب، وقال: "إني ضبطتها مستندا إلى تاج العروس للزبيدي البلغرامي، وضبط أسماء الأمكنة وصفتها. ومقارنة مواد المنمق بمثلها في الكتب الأخرى، وتصحيح أغلاطها وإصلاح نقص مضمون المواد بها، والإشارة إلى اختلاف نص الروايات المماثلة نثرا ونظما في المراجع الأخرى وإلى أخطائها إذا وجدت، وشرح غوامض النص، واستمددت في هذا بأمهات القواميس ولاسيما تاج العروس.

جائزے

أما الاستعراضات والتحليلات العلمية الأدبية في قضايا تاريخية المعروفة باسم "جائزے" فإنها تتكون من ١٨ مجلدا ضخما، منها المجلد الأول إلى ١١ و١٥ مطبوعة وبعضها مكتوبة بخط يد المؤلف. ما أثارت جدلا كثيرا وضجة شديدة ضدّه في

الأوساط العلمية في سائر أرجاء القارة الهندية عندما قام بطباعتها أولا بشكل مقالات في مجلة "برهان" الشهرية لصاحبها الشيخ عتيق الرحمن العثماني. والحق أحق أن يقال إن المؤلف بذل أقصى مجهوداته في سبيل إنجازاته العلمية المكثفة في هذا الكتاب وقام بتحليلات وتصحيحات لسانية ولغوية وجغرافية وتاريخية للكتب القديمة والمستندة ألفها الفقهاء والمفتيون والقضاة وكبار أصحاب العلم. واستشهد بالنثر والنظم من الكتب التي استعرضها.

وقام *بتحقيق* الكتب والمخطوطات والنصوص، ومراعاةً لمبادئ التحقيق وقواعده كان يعد الفهارس للأشخاص والقبائل والأماكن والكتب وما إليها في جميع ما تناوله للتحقيق والبحث. وكتبه التاريخية تحتوي الخرائط التي كثيرا ما كان يرسمها بقلمه. وشَكَلَ جميعَ الكلمات الغريبة التي تطرقت إلى كتبه.

بذل الأستاذ جهدا جهيدا قبل أن يصل عمله هذا إلى يد قرائه، ورجع إلى العديد من المصادر والمراجع، منها الكتب التاريخية والأدبية والنقدية، وإلى كل ما كتب في هذا الموضوع أو حوله.

في الحقيقة إن القارئ لهذه التحليلات القيمة، يقف مبهورا أمام سرد البيان ودقة النظر وتسلسل الحديث فيها.

والحق أن الأستاذ خورشيد أحمد فارق لم ينل شعبية وشهرة وذلك لصراحته وتمسكه بآرائه ولعدم انتمائه إلى أي مدرسة فكرية. والدليل على ذلك أن العالم الجليل أبا الحسن علي الندوي رحمه الله والأستاذ شمس تبريز قد ألحقا ملحقا في نهاية "الثقافة الإسلامية في الهند" للعلامة عبد الحئ الحسني، المطبوعة مرة ثانية في دمشق عام ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (من صفحة ٣٥١ إلى ٤١١) بعنوان ملحقا لأهم الكتب التي ألفت بعد حياة المؤلف. وذكرا فيه كتبا عربية وفارسية وأردوية مخطوطة ومطبوعة لكل من هب ودب. ومن الغريب أنهما لم يذكرا أي كتاب للدكتور فارق.

ولا شك في أن مؤلفاته كلها تبعث في نفس القارئ إعجابا بهذا الكاتب الذي بلور لنا تلك المعلومات القيمة في أسلوب شيق. كما أنها تصور شخصيات وأماكن بكل دقة

وصراحة وجعلها قريبة من قلوب الناس. فإنه لم يترك الأحداث المذكورة في كتبه جافة بل أدخل فيها ما يخفف من حدتها، من وصف جميل للكتب، والأشخاص والأماكن، فالقارئ لأعماله مهما كانت عن التاريخ الإسلامي أو الأدب العربي يشعر بمتعة في قراءتها كما يشعر بمتعة عند قراءة الأعمال الأدبية الأخرى، وذلك لأنه صاغ جل أعماله في أسلوب متميز، ولم يجعلها تقتصر على ناحية خاصة فحسب بل جعلها موسوعة رائعة حشد فيها آلافا من الأحداث والشخصيات وفتح بابا جديدا للبحث والتحقيق. كأن المتنبي قال عنه:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وعلى وفاته في الخامس عشر من شهر نوفمبر عام ٢٠٠١م قرض الأستاذ شفيع الرحمن الذي كان أستاذا مشاركا في القسم حينذاك قصيدة رائعة نالت قبولا حسنا في الأوساط العلمية ووصف فيها وصفا وجيز لسجاياه ومزاياه، فلابد من أن ننقلها هنا ليستفيد منها كل من يحب اللغة العربية.

قصيدة في رثاء الأستاذ المبجّل الدكتور خورشيد أحمد الفارق

د. شفيع الرحمن

جرت أدمع من عيني المتظام بجور الزمان الغاشم المتحكم
و بتنا على شوك القتاد تململا لهول سرى نحو البلاد كأرقم
رأيت المنايا كم تجول لبشرة تصول على أهل العلوم كضيغم
تجول كجبار تمر بسرعة لإطفاء نور العلم من كل مضرم
فلمّا نعى الأستاذ شمس علومنا رأينا طموس العلم مثل المعالم
فقالوا نُعي من كان عند ذوي الحجى سميّ الذكا مثل السها بتسنم
فصاروا سكارى مذهلين لهوله كيوم الجزا يوما هديت لانضم
لنا فلما جلسنا للرثاء جلا بحوث ونقد والنصوص بمأتم
فخرت دموع العين لم تتمنع عن الهمي مزجا بالدم المتضرم
فنبكى وتبكى لا تزال دموعنا تسيل كسيل دون أي تلعثم

فمن ذا يعاني في انتقاد نصوصنا و من ذا ينمّي منزه المتعلم
و من ذا يجلّي حسه بفسادنا و شرّ لأكوان يُمرّ كعلقم
فقد كان سباقا بسيرة فارس إلى نشر علم للورى بعوالم
دليلا إلى خير الملا بفعاله نصيحا وإن أضرى بنقمة ناقم
قنوعا بلا حرص لثروة باخل أبيا بلا ذل لطالب درهم
حييا غدت عذراء عند حياءها أقل حياء منه دون توهم
لزوما بحق لم يكن متملقا قؤولا لحق رغم لومة لائم
بحرف تدلّى وادّنى لخليفة غدا مدحضا للباطل المتحكم
يبوح صريحا لا يخاف، برأيه و إن بات إرصادا لكل مظالم
و لو ابتغيت الفلسفات وجدتها لديه وما قول لديه بمرغم
فأغضيت عن باب يطول بذكره فصول وما ان عدت غير مذمم
سميّا لشمس أشرقت ببنانه عوالم علم نيّر غير مظلم
دؤوبا على تلقين كلّ مبادئ يعول عليها دائما بتبسم
وفيا كريما عند كل مجالس فلم تبطل الأوقات عند تعلم
فمن ذا يعاني فيه دون شكاته و من ذا يداري فيه دون تبرم
فويلا لموت قد أتى متدهدها لتقويض تعليم هوى كمخيّم
و ويلا له لما جرى متعمدا لتبديد شمل شكلة المتجهم
و قد خففت أحزاننا حيث أننا وجدنا تراثا منه عند معلم
غدا إرثه علما هنا متجسدا بفيناننا، واها له كمقسّم
فعطشى لعلم قد يجولون حوله و نعمى بعلم زاخر بمغانم
فصبر جميل للأسى وضرابه بشكل تبدى بالبكا كل عالم

* * *

الشيخ محمد عبده رائد النثر العربي الحديث

د. طارق أحمد آهنغر
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
بجامعة كشمير سرينغر

د. عبد الحميد لون
رئيس القسم اللغة العربي،
الكلية الحكومية للبنين، بلوامة

لا شك في أن الشيخ محمد عبده كان علما من أعلام النهضة الإسلامية وقائدا من قادة الفكر العربي وزعيما من زعماء الإصلاح المصري ومجددا دينيا أراد أن يبسط الإسلام ويرده إلى ينابيعه الأولى ويبث في نفوس سائر المسلمين شعورا دينيا عاليا وفكرا أخلاقيا نقيا، وأنه أيقظ الشعور الديني الإسلامي ليس في مصر فحسب بل في سائر البلاد الإسلامية وأخذ إصلاح اللغة العربية والآداب أداة فعالة لتحقيق مشاريعه الإصلاحية.

نبذة عن حياته

ولد الشيخ محمد عبده في بيت حسين خير الله سنة (١٨٤٩م) في أسرة فلاحين بقرية " حصة شبشير" فهي إحدى قرى المديرية الغربية بمصر،[١] فأرسله أبوه في طلب العلم على بعض القراء المشهورين إلى الجامع الأحمدي في طنطا، وقضى فيه عامين، وكانت دراسته فيه قليل الفائدة بكون منهج الدراسة غارقا في الجمود والرقود. وطريقة التعليم تعتمد على المصطلحات النحوية والفقهية ولا يهتمون بأي اهتمام للتفهيم ما يدرسون.[٢]

انقطع الشيخ محمد عبده عن الدرس مدة غير كثيرة حتى صادف بشيخ صوفي الشيخ درويش وهو خال أبيه٥، هو الّذي حوّل محمّد عبده من بغيض الكتب ومطالعتها إلى حبيبها وهو الّذي فرق عنه جميع الهموم ولم يبق له إلاّ هم واحد، وهو أن يكون كامل المعرفة وكامل أدب النفس، وهو الّذي أخرجه في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد ومن الظلمات إلى النور

---

[١] السيّد تقي الدين السيّد: محمّد عبده أديبا وناقدا، ١٩٨٩م ص: ٢١

[٢] تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ج: ١، ص: ٢٠

كما صرح عنه الشيخ قائلا: "وهو الشيخ درويش مفتاح سعادتي، إن كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الّذي ردّ لي كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أُودع في فطرتي". [1]

ورحل عبده بعد ذلك إلى الأزهر فحضر دروس كبار العلماء في مختلف العلوم الأزهرية مع الاشتغال بالتصوف وما زال يتعلم في هذا المعهد حتى قدم السيد جمال الدين الأفغاني بمصر سنة ١٨٧١ م وتلمذ عليه الشيخ وتأثر به تأثرا عميقا ويقال كان لقاء السيد جمال الدين الأفغاني أهم حادث في تربية الفتى الناشئ محمد عبده لأنه رده إلى سجيته وأقامه على جادة العلم والعمل التي استقام عليها بعد ذلك.[2] كما تأثر السيد جمال الدين الأفغاني أيضا بذكاء محمد عبده ولياقته الموهوبة. حتى قال أفغاني بنفسه عنه وهو مفارق مصر: "إني خلفت في مصر خيرا كثيرا في علم الشيخ محمد عبده"، [3]

محمد عبده رائد النثر الحديث

إن الشيخ محمد عبده بدأ حياته الأدبية والعلمية منذ كان طالبا، هو العصر الذي كان النثر العربي في حالة الانحطاط والجمود منذ زمن بعيدة من نحو الأسلوب والموضوع والفكر وغير ذلك، توجد فيه السجع والبديع والتراكيب المعقدة وصار الأدب في هذا العصر متأثرا كثيرا بتصنع وتكلف وتشبيهات موزونة، فأصبح الأدب العربي ضعيفا بقول عبد الجواد سليمان: "النثر في هذا الزمان قد أسف أسفا شديدا وضعف ضعفا لا حد له."[4]

أسباب الجمود والتخلف الأدبي في مصر

وربما كان لهذا الجمود أسباب عديدة ولا أرى فيها إلا السببين الرئيسيين:

---

[1] ديوان النهضة الإمام محمّد عبده، ص: ٢٣٦

[2]. تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٤٢٦.

[3] نفس المرجع: ص ٤٢٥.

[4] نفس المرجع: ص ٤٢٦.

الأول: كانت مصر منذ السنوات البعيدة تحت سيطرة الأتراك، وكانت طبقة من الأتراك استولت على المناصب الكبرى لم يكن يسمح للمصريين بتولي هذه المناصب، بل لقد يحكمهم حكما مستبّدا، ليس فيه شورى ولا ما يشبه الشورى. فظل الشعب بعيدا، فأصبحوا فريسة العقدة النفسية فنشأ فيهم اليأس ولم يساهموا في رقى قومهم العربي ولم يعتن بلغتهم.

الثاني: وكانت اللّغة التركيّة لغة رسمية في مصر دون لغتها العربية، إذ لم تكن هناك بواعث سياسية ولا قومية تدفعها إلى التطوّر، وتخرجها من الظلمات إلى النور، فظلت لغتها معها متخلفة دون النمو والتطوّر، ولقد كان الحاكم يدعّم عليها اللّغة التركية في دواوينه ومنشوراته وما يطبع من كتب وآثار في مطبعة بولاق، بل كان التحدث بها بين طلاب المدارس يعتبر سبّة حتى عهد عباس الأول .

ولذا كان منهج الأدب غارقا في التقاليد المحطّمة في النصف الأول من القرن التاسع عشر وغير قليل من النصف الثاني، فلا نجد وسائل التعبير النثري سوى هذه الوسيلة الضيقة، وسيلة السجع والبديع التي تخنّق الكلام، وتحول بيننا وبين التعبير الحرّ، ولا يزال محصورا في الصناعة الراكدة الجامدة، ولم يستطع التيار الغربي أن يحرره ولا أن يخلصه من أثقاله وأغلاله.

وقد رأى أن الاتجاه الحالي لا يليق بالأوضاع السياسية والاجتماعية ولا يلائم العصر والحياة التي تعيش مصر فيها كما لا يقتضي متطلبات البحوث العلمية والأدبية والصحفية، فأحسّ ضرورة اتجاه جديد ومذهب حديث للنثر العربي يذهب إليها طبقة الكتّاب الحديثة ويتبعها الأدباء الناشئين.

محمد عبده بين الفكر والأسلوب

وقام الشيخ محمد عبده بإصلاح الأسوب الرائجة بين الكتاب ولكن في كتاباته الأولى كان يلتزم السجع على عادة المتقدمين من الأدباء، فأخذ تتطور لغته في مقالاته التي نشرت في "الوقائع المصرية" وكان هذه الخطوة كبيرة في سبيل الرقى للغة الصحفية، فخرج بها من أسلوب السجع والبديع إلى أسلوب مرسل حر، لا يضيق

بالمعاني ولا يضيق به القراء. قد فتح في "الوقائع" صفحات أدبية واجتماعية وسياسية يكتب فيها هو وتلاميذه، وهو الذي حمل لواء تطوير اللغة العربية وبذل جهوده الجبارة ل في تخليصها من قيود سجع وبديع وتراكيب معقدة في أسلوبها، وجاهد في أن ينفث في الأدب العربي الحياة الجديدة. هذه هي ثمرة صحبة جمال الدين الأفغاني الذي تأثر به عبده ونال منه علما كاملا في الأدب والمنطق والبيان، ثم سافر إلى باريس وقرأ اللغة الفرنسية وآدابها فزادت في كلامه قوة وسلاسة ومتانة وحرارة.

برزت في مقالاته الموضوعات العلمية والأدبية والدينية التي نشرها في "المقتطف"، و"الأهرام" و"العروة الوثقى" و"المنار". التي تدل دلالة واضحة على سعة علمه ونضاج عقله، وعمق فكره وتبحره في شتى العلوم. ومن مآثره أنه جعل الصحافة العربية مطلبا مفيدا وذلك بمقالاته القيمة والمهمة وجعل الصحافة مطية للصحوة السياسية والوطنية والاجتماعية بالإضافة إلى ذلك أخرجها من طور ناقلة الأخبار إلى أن صارت ترجمانا للحركات الاجتماعية والقومية. ثم أحدث ثورة صحفية في الأدب العربي شارك فيها عدد كبير من الأدباء والشعراء والصحفيين، وتغلغلت الحركة واليقظة في عامة الناس بسبب هذه الثورة، كما أنه قام بخدمة عظيمة بقوة قلمه في تاريخ الصحافة العربية سيذكرها التاريخ إلى الأبد. وحينما تولى الخديوي "توفيق" العرش تقلد "رياض باشا" رئاسة النظار فاتجه إلى إصلاح "الوقائع المصرية"[١]، واختار الإمام محمّد عبده ليقوم بهذه المهمة فضم محمّد عبده إليه سعد زغلول، وإبراهيم الهلباوي، والشيخ محمّد خليل، وغيرهم، وأنشأ في الوقائع قسما غير رسمي إلى جانب الأخبار الرسمية، فكانت تحرر فيه مقالات إصلاحية أدبية واجتماعية، وكان محمّد عبده هو محررها الأول، وظلّ محمّد عبده في هذا العمل نحو سنة ونصف استطاع خلالها أن يلعب دورا هاما في توجيه الرأي العام بسلسلة من المقالات عن

[١] لون، عبد الحميد: إمام محمد عبده حيات وخدمات، تكبير پبلكيشنز، گاو كدل سرينگر،٢٠١٤، ص:١٨٧

النظام الاجتماعي وخاصة عن التربية الوطنية،[1] وتناولت مقالاته أمور أساسية في حياة الأمة الاجتماعية والقانونية، والشرعية، فكتب عن تفشي الربا والرشوة، وناقش المواءمة بين القانون والقوة، وحاجة الإنسان إلى الزواج وتعدد الزوجات، واستجاب للنوازع الوطنية الثائرة فيه، فهاجم التدخل الأجنبي في شئون البلاد ودعا أبناء الوطن إلى الوحدة والتماسك ومؤازرة الجيش المصري.

أولى الشيخ محمد عبده اهتمامه الخاص بإصلاح حال اللغة العربية بأن اللغة العربية ليست بضرورة للإسلام فقط بل هذه ضرورية لتطور مسلمي العالم وكان يرى "أن اللغة العربية هي أساس الدين وأن حياة المسلمين بدون حياة لغتهم من المحال."[2] كما قال في أحد خطابه:

"فإن إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم ففي اللغة العربية الفصحى من ذخائر العلم وكنوز الأدب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بتحصيل ملكة اللسان"[3]

وأنشأ عبده جمعية لإحياء العلوم العربية التي لعبت دورا عظيما لإحياء اللغة العربية وآدابها، ومن أغراضها إنشاء الكتب التي طبع في العصر الذهبي للمسلمين، فقد نشر من كتب البلاغة "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني بعد تحقيق دقيق. ونشر ملخص "اللغوي الأندلسي" لابن سيدة بتعاون الشيخ محمد محمود شنقيطي، كما شرع "الموطأ" للإمام مالك،[4] وشرح نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني ليسهل على الناس القراءة والإفادة منها، بينما رغب تلاميذه لمطالعة تصانيف الغزالي وابن تيمية وابن قيم وغيرهم، وقد شجع كل من كان راغبا إلى التأليف

---

[1] The intellectual origins of Egypt Nationalism, P:20

[2] مجلة المنار ج \ ٨ ص ٤٩١.

[3] العروة الوثقى للإمامين الحكيمين نشرها محمد جمال الدين مقدمة، ص ٢٩-٢٨.

[4] الالتزام في الشعر العربي للدكتور أحمد أبو حاقة ص ١١٤.

والتصنيف والترجمة من اللغة الأخرى، وهنا جدير بالذكر إنه شاهد الممالك المختلفة من الشرق والغرب وله شرف لمطالعة علومها وآدابها، وكتب مقالات مختلفة لإفادة الناس بتجربته ذاتية كانت ممتزجة بأقدار قديمة وجديدة وقد أسس أسلوبا وقيعا متانة وعلميا في الأدب العربي.

و على هذا النحو كانت هذه الطبقة من الكتّاب تجددت مصر حياتها وعقلانيتها وتدفعها خطوات إلى الأمام، فأخذ الأدب يتحرر من الضعف والمبالغة والكذب، ومن العي واللكنة، ومن الصور الباهتة، والعواطف الزائفة، ومن كل ما يتنافى مع النظرة والطبع والمواهب الأدبية الصادقة، وهجر الناس السجع المتكلف والزخارف اللفظية، وكان لجمال الدين الأفغاني ومحمّد عبده والبارودي ومصطفى كامل وسعد زغلول ولطفي السيّد أثر ضخم في تطور الأدب وتحريره من فيود القديم، وتطلعه إلى كل جديد، والى التعبير عن النفس الإنسانية في صدق وإخلاص وقوة، وكان كثير من أفرادها قد أتقن اللّغة الأجنبية وأخذ نفسه بقراءة آثار المفكرين الغربيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأهم من يوضح هذا الاتجاه هم لطفي السيّد فتحي زغلول، رشيد رضا مصري، طه حسين وعباس محمود العقاد، ومحمّد حسين هيكل ومن اليهم .

ويتضح بما قدمنا أن الشيخ محمد عبده أسهم مساهمة قيمة في اللغة العربية وآدابها حينما ملأها بالعلوم الجديدة، وجاهد في إصلاح اللّغة العربية وإحياء العلوم الإسلامية ونشر المقالات في الصحف، وكتب التعليق والشرح لبعض أمهات الكتب العربية وقد قام بإصلاح اللّغة العربية نفسه، وأخذ يكتب في الصحف والمجلات عن الموضوعات الحية والأفكار الجديدة التي تتعلق بالمجتمع المصري وإصلاحها، والحق صارت أفكاره عنصرا مقوما من عناصر تراثنا المجيد وأصبحت مدرسته حصنا للإيمان والوطنية خالية من كل زيغ وضلال، وأصبحت اليوم منارة باهرة تسطع منها النور على أرجاء العروبة والإسلام.

المصادر والمراجع:

١. السيّد، تقي الدين السيّد: محمّد عبده أديبا وناقدا، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٨٩م

٢. أدينيس وخالة سعيدة: ديوان النهضة الإمام محمّد عبده، ط: ١، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٣م، ص: ٢٢٣

٣. الزيّات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفحالة، القاهر.

٤. لون، عبد الحميد: إمام محمد عبده حيات وخدمات، تكبير پبلكيشنز، گاو كدل سرينگر،٢٠١٤،

٥. أبو حاقة، أحمد: الالتزام في الشعر العربي

٦. أمين، أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧. أمين، عثمان: رائد الفكر المصري، المجلس الأغاني للثقافة، القاهرة - مصر.

٨. أحمد، صلاح زكي: أعلام النهضة العربيّة الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة، ٢٠٠١ م.

٩. رضا، رشيد: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمّد عبده، ط: ٢، عدد أجزاء:٣، دار الفضيلة، القاهرة ٢٠٠٦.

١٠. العروة الوثقى للإمامين الحكيمين نشرها محمد جمال الدين

١١. مجلة المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، مطبعة التوفيق القبطية، القاهرة

***

الكتب التعليمية للغة العربية المتداولة في شمال الهند (محاولة لتقويمها)

د. جاويد أحمد بال
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية،
الكلية الحكومية في بلوامة

موضوع الدراسة:

ازداد الاهتمام بتعليم اللغة العربية بشكل شبه منتظم في القارة الهندية بعد أن أنشئت المدارس الدينية منذ منتصف القرن التاسع عشر، فألفت كثير من الكتب لسد حاجة الطلاب إلى المواد التعليمية، وكانت هناك محاولات فردية لتأليف مثل هذه الكتب، وكانت هذه المحاولات خدمة عظيمة لأن مؤلفو هذه الكتب بذلوا كل ما في وسعهم من الجهد والمال والوقت وكرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة في هذا البلد، وكان أكثرهم علماء الدين الذين يعرفون بجهودهم في نشر المعارف الشرعية والعلمية في الهند، وهذه الكتب كانت ذات أهمية بالغة حيث وجد بها بديل مناسب للكتب الكلاسيكية مثل كتاب سيبويه وألفية ابن مالك ومتن الأجرومية وشذى العرف وقطر الندى وغيرها التي لا تصلح إلا للدراسات المتخصصة في علم النحو ولا تصلح للنحو التعليمي، كما كانت هي بديلة للكتب التقليدية في "الدرس النظامي" مثل نحو مير وصرف مير لمير الجرجاني وهداية النحو لأبي حيان النحوي والكافية لابن حاجب النحوي وشرح ابن عقيل وغيرها. ولكن يتواصل السعي الإنساني لأجل تحسين الوضع في مجال التعليم وكذلك حال تعليم اللغات الأجنبية أو الثانوية، فعلينا أن نراجع هذه الكتب التي ألفها هؤلاء العلماء لخدمة هذه اللغة الكريمة لأن المواد التعليمية أو الكتب الدراسية المتداولة في شمال الهند عامة وفي كشمير خاصة لا تحقق أهدافها المنشودة في تعليم اللغة ونشرها كما ينبغي، فاللغة العربية ليس لها وجوداً ملموساً في شمال الهند على ساحة الاجتماعية أو الاتصالية بين المسلمين، فمع كل الاحترام والتقدير لهؤلاء، هناك حاجة ملحة لمراجعة هذه الكتب وفق معايير جديدة لتعليم اللغات الأجنبية، هذه الدراسة تبحث في جوانب إيجابية وسلبية لهذه الكتب وفق المعايير الموضوعية الحديثة المقتبسة من علم اللغة التطبيقي. وهي محاولة لإجابة

عن السؤال التالي: لماذا تزيد هذه الكتب المتداولة الكفاءة اللغوية إلى حد ما ولكنها لا تطور الكفاءة الاتصالية للطلاب، ولماذا تزيد مهارة القراءة فقط ولا تزيد مهارة الكلام والتعبير؟ وأعترف بأن هذه الدراسة تفتقر إلى دراسات أخرى شاملة لأن عملية تعليم اللغة لا تقتصر على الكتب المقررة فقط بل تشمل أركانها أو محاورها الأخرى مثل الطالب والمعلم والبيئة أو الأسرة والمجتمع المدرسي، وأن هذه الدراسة لا تشمل الكتب التي ألفت بالوسيط الإنجليزي أيضاً، ولعل هذه الدراسة تمهد السبيل إلى الدراسات المتتالية في هذا المجال المهم.

أهداف الدراسة

من أهداف هذه الدراسة:

١- تحليل الكتب الدراسية المشتملة على القواعد النحوية أو النصوص وفق معايير حديثة لتدوين مثل هذه الكتب.

٢- إبراز ضرورة إعادة ترتيب هذه المادة وفق المعايير الحديثة لتعليم اللغة الأجنبية.

٣- إبراز أهمية الإفادة من قوائم الألفاظ الشائعة وقوائم التراكيب النحوية الشائعة في تأليف الكتب التعليمية.

٤- عرض أهم الملامح التي ينبغي للمؤلف أن يراعيها خلال تصديه لعملية تأليف الكتب التعليمية.

٥- إبراز أهمية الاعتناء بكل المهارات اللغوية في توازن تام في إعداد المواد التعليمية.

٦- إبراز أهمية ترتيب الكتب بطريقة شائقة مستعيناً بالصور والرسوم والأشكال والجداول والتدريبات والورقات الاختبارية وقوائم المفردات والتعبيرات الواردة في الكتاب.

٧- ومن أهم الأغراض من مراجعة الكتب، تحسين وضع عملية التأليف والتدوين لأجل تعليم اللغة العربية في المستقبل.

منهج الدراسة

ستتناول هذه الدراسة بعض الكتب المختارة لتعليم اللغة العربية تحليلاً ونقداً بما في ذلك بعض الكتب للنحو والقواعد والتي ألفها المؤلفون الهنود في العصر الحديث. وستكون هذه المراجعة في ضوء بعض الأسس التي أشار إليها التربويون والخبراء في مجال تدريس اللغات الأجنبية. وتنطلق هذه الدراسة من فكرة التربية الحديثة حول تعليم اللغات ومن إفادات علم اللغة التطبيقي الحديث، فالتربية الحديثة ترى أن المهارات اللغوية تتمثل في المحادثة والاستماع، والقراءة والكتابة، وأن المحادثة والكتابة تمثلان الإرسال للمعاني، في حين أن القراءة والاستماع تمثلان الاستقبال لها، ولا بد أن يتعلم الدارسُ اللغةَ في إطار التكامل دون أن يهمل أياً من هذه المهارات. وقد أقر الخبراء بأهمية المشافهة والمحادثة وأسبقيتهما في تعليم اللغات. لا بد أن يتم بناء طرق التعليم على أسس علمية وتكون الدروس مبنية على أسس العقل والتجارب لا على التقليد والتلقين الذين يطفئان جذوة النشاط لدى التلاميذ. وكذلك المسايرة مع التلاميذ من السهل إلى الصعب، ومن الجزئي إلى الكلي ومن البسيط إلى المركب ومن المعلوم إلى المجهول ومن المحسوس إلى المعقول ومن الشائع إلى النادر مهم جداً للنجاح عملية التعليم، بالإضافة إلى الفاعلية الذاتية التي لها دور إيجابي في تنشيط التلاميذ خلال الدرس. فلب المسألة هنا اختيار المادة للتعليم، يقول الدكتور عبده الراجحي: "أن ثمة اتفاقاً بين العلماء على أن أفضل نموذج يمكن اختياره من اللغة هو النموذج الذي يمتاز بالعمومية والشمول بأن يكون أوسع انتشاراً وأكثر استعمالاً وأقل تقييداً، وأن تكون له جذور تاريخية وامتداد ثقافي"[1]. بناء على ذلك نفترض أن هذه الكتب التي كتبت في العصر الحديث تنقصها منهجية مدروسة في تدوين الكتب التعليمة في مجال تعليم اللغات الأجنبية، والمراجعة ستكون وفق هذه الأسس العلمية والمعايير الموضوعية. وسيتناول الكتب في جزئين: (أ) كتب

[1] عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٣٩

دراسية للغة العربية (ب) كتب النحو والقواعد

(أ) كتب دراسية للغة العربية:

تشمل هذه الدراسية الكتب النموذجية التي ألفت لأجل تعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد الدينية والخاصة. سأكتفي بالحقائق العامة عن هذه الكتب لأبرز جوانب إيجابية وسلبية لها. ولا بد من الاعتراف بأن هذه الكتب ناجحة من حيث تأصيل مهارة القراءة في الطلاب لأجل تسهيل النصوص الدينية لهم، والنظرة الشاملة إليها تجلي بعض الجوانب الإيجابية والسلبية.

١- (منهاج العربية) لسيد نبي الحيدر آبادي خمسة أجزاء

٢- (مفتاح العربية) لمولانا نور عالم خليل الأميني

٣- (القراءة الواضحة) لمولانا وحيد الزماں القاسمي الكيرانوي

٤- (القراءة الراشدة) لسيد أبي الحسن الندوي

٥- (اللغة العربية الوظيفية) لمجموعة المؤلفين

٦- (منطق الطير) لد. عبد الرحمن وار

تحليل هذه الكتب:

قضية التدرج والاختيار

مراعاة التدرج مهم جداً في ترتيب الكتب التعليمية، فلا بد أن ينقل الدارس من السهل إلى الصعب ومن الشائع إلى النادر بل لا بد من أن يؤخر النادر للمرحلة الأخيرة، فالكتب السالفة الذكر تراعي هذه القاعدة من منظورهم الخاص ولكن لم تتم مراجعة قوائم الألفاظ والتراكيب الموجودة في العالم العربي لتأكيد من درجة الشيوع والتوزيع للمفردات والبنى النحوية والأسبقية للكلمات والبنى النحوية الشائعة، ينظر للتفصيل من أجل المفردات والبنى النحوية الشائعة في القوائم المطبوعة[١] والمتاحة

[١] ومنها قائمة البنى النحوية أو المحتوى النحوي في كتاب " تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" تأليف محمود كامل الناقة، طبعته جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٥م من ص ٢٩٣ إلى ٣١١. ومنها

على الإنترنت، انظر في الدرس الأول من (القراءة الواضحة) تجد المفردات: منضدة، ودواة ومرسام وفي الدرس الأول من (مفتاح العربية) تجد المفردات: دواة وشباك ومحبرة وهلم جراً، وطبعاً هذه المفردات لا يصح عرضها مع المفردات الشائعة الواردة في هذه الدروس نفسها، ويدل ذلك على أنه لا تتم المراجعة للقوائم قبل تأليف الكتاب لأجل النظر في درجة الشيوع للمفردة، وكذلك لم يراعوا التدرج في التراكيب أو النصوص المتنوعة المرتبة حسب درجة سهولتها وجاذبيتها للطلاب، باعتبار السهولة يأتي الحوار والقصص أولا وتأتي نصوص ثقافية ودينية في المرحلة التالية، لكن وضعت الدروس في هذه الكتب على أساس المبتدأ والخبر وأنواعهما من حيث الإفراد والتركيب اللهم إلا صاحب (منطق الطير) فإنه يراعي منهج كتب تعليمي للأطفال، ولم تعرض هذه الكتب حتى الجمل الأساسية الذي تستعمل في الكلام العربي عند اللقاء والتحية والتعارف، وكذلك لم يتم تحديد المادة وترتيبها ترتيباً زمنياً أو وفق مستويات الدارسين، فلا نعرف لمن ألفت السلسلة فلا نعرف مستوى القارئ ولا زمناً يستغرقه تعلم هذه المادة. ولم يتبع المؤلفون التدرج في تقديم البنى النحوية في الدروس، فلا يأخذون النواة العامة المشتركة التي تمثل العناصر الأساسية في اللغة بعين الاعتبار، وتعلم كل اللغة أمر مستحيل وأن الاختيار مبدأ جوهري في تدوين هذه المادة، والمشكلة تكمن في أن هذه الكتب لا تبني على معايير علمية تجعلها محكومة بضوابط يمكن الاحتكام إليها عند اختيار موادها، ولو قارنا بين هذه الكتب وبين بعض الكتب مثل (سلسلة - العربية بين يدي أولادنا، سلسلة - إقرأ وغيرهما) التي ألفت لغير الناطقين بالعربية وفق معايير موضوعية لاتضح لنا الأمر، المفرد أكثر شيوعاً من المثنى والجمع، والمثنى يأتي آخراً في المرتبة، وكتاب (منطق الطير) يجعل الجمع جزءا مهما لكل الدرس من الدرس الأول، ولو رأيت تمارين الترجمة في (منهاج العربية) لأحسست بأن الدارس مكلف بأصعب مشروع الترجمة على وجه الأرض.

قائمة المفردات في كتاب "الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" تأليف رشدي أحمد طعيمة، طبعته جامعة أم القرى سنة ١٩٨٢م، من ص ٧٦ إلى ١٣١

قضية التوازن والتكامل

ليس هناك كتاباً واحداً من هذه الكتب يراعي تنمية المهارات اللغوية الأربعة بشكل متزن، فهي تهمل مستوى المنطوق بأكمله ومستوى الكتابة إلى حد كبير، وإهمال الوظيفة الاتصالية للغة يخفق عملية التعليم، ولا تستمد من علم اللغة النفسي والاجتماعي شيئاً لتنظيم المواد. والتركيز المفرط على الترجمة والقراءة يثير كثير من التساؤلات، هدف معظم هذه الكتب هو تعليم اللغة العربية لأجل فهم النصوص الدينية ومعرفة الدين الإسلامي، وكانت الأسبقية عند المؤلفين أن تزيد قدرة الطلاب على قراءة الكتب الدينية فأهملوا مهارتي الاستماع والكلام، فكل التركيز على لغة التحرير وهذا جيد لا غبار عليه ما دمنا نقتصر أمر اللغة على القراءة فقط وإذا أردنا أن نهتم بكل جوانبها فهذا منهج ناقص البتة. ومعظم هذه الكتب تعطي للطلاب تمارين للترجمة لأن منهجها منهج القواعد والترجمة ما خلا (القراءة الراشدة) فهو كتاب مشتمل على النصوص الثقافية والإسلامية ولا يشبه كتاب مدرسي لتعليم اللغة العربية، وكتاب (منطق الطير) أيضا لا يعطي تمارين للترجمة، وكل هذه الكتب تهمل مهارة المحادثة ما عدا كتاب (القراءة الواضحة) الذي توجد فيه تدريبات ضئيلة جداً عن المحادثة. كل مؤلف يركز على جانب ويهمل جوانب أخرى فبينما يركز سيد أبو الحسن الندوي على الجانب الإسلامي والثقافي، اعتقد الآخرون، "بأن في تعليم قواعد اللغة تعليماً للغة"[1] فاهتموا جانباً نحوياً ولم يربطوا الدروس بتجارب الحياة عند الطالب، فنظموا كتبهم على أساس الفصائل الصرفية والنحوية فهذا سيد نبي الحيدر آبادي في (منهاج العربية) الجزء الثاني يضع عناوين هكذا: درس١: مؤنث أسماء إشارة، درس ٢: جمع مكسر، درس ٣: مضاف ميں تأنيث وهلم جرا. ولكن لم يتم المراجعة لهذه الطريقة التقليدية فسار معظمهم على هذا الاعتقاد بأنها طريقة مثلى لتعليم اللغة بينما هي طريقة محبطة لهمة الطفل ومخلة بذوقه، يشير الدكتور رمضان عبد التواب إلى هذه الحقيقة قائلاً: "إن اهتمامنا بتعليم القواعد النحوية في

[1] رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/١، ١٩٨٢م ص ١٦٨

مرحلة مبكرة من حياة الطفل، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة، هو البراعة في حفظ المصطلحات النحوية، والتفنن في عد مسوغات الابتداء بالنكرة، مجيء الحال معرفة، وأحوال الصفة المشبهة وما إلى ذلك"[1] ولكن هذا الاهتمام لا يؤدي إلا إلى الإخفاق في تعليم اللغة. إذاً اعتقاد الكثيرين بأن إتقان قواعد اللغة هو العنصر الجوهري في إتقان اللغة اعتقاد خاطئ، والتر كيز على القواعد اللغوية يؤدى إلى أن يكون الكتاب ناقصا من حيث المعجم اللغوي، مما يجعل المتعلم غير قادر على استعمال ما يتعلمه، وقد نسى أصحاب هذه الكتب المواقف والبيئة الطبيعية التي يجرى فيها الاستعمال اللغوي، ثم الوظائف التي تساعد على وضع اللغة في إطار طبيعي، ليتمكن من المتعلم الوصول إلى القدرة الاتصالية، وعلى جانب آخر يركز كتاب (اللغة العربية الوظيفية) على المدخل الوظيفي، لا يهتم بالتدرج النحوي ولا بالتدرج الموقفي، ولا يبالي كثيراً بمسايرة الطالب خطوة خطوة. خلاصة القول إن هناك شعور بفقدان التكامل بين الأنماط النحوية والموقفية والوظيفية حيث يكون الكتاب راقياً من حيث التدريج النحوي وينقص في المعجم اللغوي، أو يكون راقياً من حيث المعجم ولكنه لا يتبع استعمال واقعي للغة مما يجعل عمل تعلم المادة عملاً مصطنعاً متكلفاً.

قضية التوسع والتعدد

كان من الواجب أن ينظر هؤلاء إلى اللغة العربية على طول امتدادها التاريخي كلغة يربط ماضيها بحاضرها وهي لغة قبلت تنوعاً كبيراً وتعدداً مفهوماً خلال تاريخها العظيم، فحصروا اللغة على المعادلة الكلاسيكية فقط وأغفلوا أسس الشيوع والذيوع للمفردات وللبنى النحوية لأنها مقتبسة من المعادلة المعاصرة، فأصبحت الكتب ناقصة في المعجم اللغوي الحي. والسبب أن هذه الكتب ألفها العلماء الدعاة فكان مجال الدين بمفهومه الفقهي عندهم أهم من مجالات الحياة الأخرى، فتضيق

[1] رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص ١٦٨

بهذا المفهوم مجال اللغة عندهم، وهذا أمر طبيعي لأن منهج تعليم اللغة في المدارس الدينية يختلف عن المنهج العام لتعليم اللغة عند الأمم، حيث يكون نصب أعينهم في الأول تسهيل النصوص الدينية للطلاب، وهذا لا مشكلة فيه، لأن النصوص الدينية تجعل لغة ما محفوظة مصونة حيث يمكن إخراجها إلى ساحة الواقع إذا أراد قومها، ومع ذلك فإن انكماش اللغة من ساحة الواقع وغيابها من حياة القوم يؤثران على دورها الفعال في بناء الحضارة، ويتم بذلك تهميش هذه الحضارة مع كل مكوناتها المعنوية، ولذلك يطلب أصحاب هذه الأمة المخلصين أن تكون للعربية سيادة ووجود في أرض الواقع وليس في الكتب الدينية فقط، وكذلك للغات الشرقية الأخرى مثل الفارسية والأردية كي تلعب هذه اللغات دورها في المجال الحضاري المعاصر مقابل اللغات الأجنبية التي لا تحتضن إرثاً أدبياً ودينياً للأمة الإسلامية، فقد أحسن كتاب (اللغة العربية الوظيفية) بربط اللغة بشؤون الحياة ومجالاتها لتساير العربية الركب الحضاري وتكون لها وجوداً حياً في هذا العصر.

(ب) كتب النحو والقواعد:

في هذا المجال وقع اختيارنا على الكتب الشهيرة في مادة النحو التي هي متداولة في شمال الهند وخاصة في كشمير، ولكن الفحص المفصل للموضوعات والمحتويات لا يمكن، نكتفى بالحقائق العمومية عن هذه الكتب لنبرز جوانب إيجابية وسلبية لها، والحقيقة أن تطويع علم النحو للأغراض التعليمية ثم تطويعه لخدمة نشر اللغة نفسها قبل أن ينشر علم النحو نفسه أصل أصول تعليم اللغة، ثم إخضاعه لمعايير أخرى تستعين بعلم اللغة النفسي في السلوك اللغوي عن الفرد، وبعلم اللغة الاجتماعي في الاتصال اللغوي، وبعلوم التربية في نظريات التعليم وإجراءات التعليم، أما وصف علمي دقيق للغة ما يسمى بعلم النحو فهو لا يصلح لمقررات تعليم اللغة أو نشرها بين المتعلمين، يقول الدكتور محمد إبراهيم الطاؤوسي: "صعوبة القواعد في هذه اللغة ترجع إلى سببين: الأول: إلى المادة النحوية ذاتها، وهو حشوها بما لا حاجة لنا به من التفصيلات والتفريعات والتعليلات والتعريفات التي لا ينبغي أن يعنى بها إلا

المتخصصون الذي يريدون أن يتعمقوا في دراسة الفلسفة اللغوية، والسبب الثاني الذي ترجع إليه صعوبة هذه اللغة في قواعدها ويتصل بطرائق تعلم اللغة وتعليمها وأساليب تأليف كتبها ومناهجها. وهذا كله يتطلب منا مراجعة جدية ونظراً جديداً في قواعد هذه اللغة بإبقاء ما هو صالح من موضوعات النحو ومسائله والاستغناء عما لا يفيد منها، ثم البحث عن الطرق والوسائل المفيدة السهلة التي تمكن شبابنا وأبنائنا من معرفة هذه اللغة وتحببهم فيها بل وتشوقهم إليها وإلى تراثها وعلومها"[١]، منطلقاً من هذه الأسس نحاول أن نراجع الكتب التالية:

١- عربى كا معلم لمولانا عبد الستار خان أربعة أجزاء
٢- كتاب النحو لمولانا عبد الرحمن الأمرتسري
٣- معلم العربية لمولانا نديم الواجدي، جزءان
٤- تمرين النحو لمولانا محمد مصطفى الندوي

تحليل هذه الكتب:

قضية التلقين والترجمة والحفظ

حاول المؤلفون قدر الإمكان لتقديم النحو باللغة المحلية بأسلوب سهل، فإذ قارنا بين الكتب التقليدية التي كانت تدرس في "الدرس النظامي" وبين هذه الكتب أحسسنا بالتعديلات التي أجراها هؤلاء لتسهيل هذه المادة لطلاب العلم ولا شك أنهم شعروا بأن علم النحو اختصاص علمي منفصل عن سياق الاستعمال في غالب الأمر، لا بد من صياغة جديدة لتقديم قواعد النحو في أسلوب سهل للمتعلمين، ولكن مع ذلك تفقد هذه الكتب معايير موضوعية لتنظيم موادها، ولا تساهم في نشر اللغة على المستوى الوظيفي والاتصالي إلا قليلاً، وهي لذلك لا تسعى إلى تنمية القدرة لدى الطالب على الأداء كتابة أو كلاما كما ينبغي. لأن هذه الكتب تركز على التلقين

[١] واقعنا اللغوي المعاصر (محاولة للتقويم): محمد إبراهيم الطاؤوسي، فعاليات الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي، حائل، المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص ٦٢

والترجمة والحفظ لترسيخ القواعد في أذهان الطلاب دون مراعاة الأسس النفسية للتعليم، فالطالب العادي يحب أن يعتمد التعليم على المواقف الواقعية للحياة والسياقات اللغوية الطبيعية، وأن يعطى فرصة ليعلم الجمل الأساسية بأسلوب فطري قبل أن يكلف بحفظ القواعد وترجمة الجمل، خذ كتاب (عربي كا معلم) فسترى مواصفات تفصيلية وتنبيهات كثيرة حول جزئيات نحوية، ثم يكلف القارئ بالتدريبات حول القواعد نفسها أو تطبيق القواعد والترجمة، وكل الدروس مذيلة بتمرينات (اردو سے عربي) و(عربي سے اردو)، وكتاب (معلم العربية) يتبع منهج (النحو الواضح) لعلي الجارم ومصطفى أمين في الشرح النحوي وتقديم القاعدة النحوية لتأصيل مفهومها في ذهن القارئ، ثم يأتي بالتدريبات التطبيقية بعدد غير قليل لممارسة القاعدة، ولا يفوته التدريبات على الترجمة، ومن المعقول أن يعلم الطالب توجيهات عقلية للقواعد ولكن سرعان ما يحس بأنه وضع مصطنع ورتيب للتعليم لا يربطها الرابط بالحياة فيكره تعليم اللغة إلا إذا كانت عنده معلومات سابقة عن اللغة العربية أو الكفاءة الاتصالية، وكذلك الحال مع (تمرين النحو) الذي يتبع منهج (النحو الواضح) بمزيد من الدقة حيث يقدم الأمثلة ليستنتج القاعدة منها على الطريقة الاستقرائية، هذه الطريقة أنشط لما يشارك الطلاب في عمل صياغة القاعدة واستخراجها ولكن الشعور بالاصطناع موجود هنا أيضاً ولو بالقليل. وصاحب (تمرين النحو) اعتمد على الوسيط الأردي مما جعل كتابه أقل فائدة من (النحو الواضح) نفسه إلا للطالب الذي يقوم بتعلم العربية تعلماً ذاتياً ولا يتعلمها ممارساً المهارات اللغوية الأربعة، فالترجمة تقل من قيمة هذه الكتب وكذا اعتمادها على التلقين والحفظ.

قضية التدرج والاختيار

التدرج موجود في بعض هذه الكتب بدرجات متفاوتة ولكن هذا التدرج لا يبني على أسس الشيوع والتوزيع لترتيب البنى النحوية، ومن المعلوم أن البنى النحوية لا تساوي بعضها بعضا في درجات الشيوع والتوزيع، فهناك بنى مركزية لا يستغني عنها

الاستعمال اللغوي، ثم ينبغي أن تربط هذه البنى والتراكيب بالأحداث الاتصالية، إذن لا بد من اختيار البنى النحوية التي لها شيوع حتى لا يستنفد جهد المتعلم قبل أن يتعلم اللغة. جل الكتب وخاصة كتاب (عربي كا معلم) وكتاب (كتاب الصرف) تقدم جزئية أو مفردة حول موضوع ما من النحو دفعة واحدة فتقدم كل التفاصيل عن الجزئية ليتقنها المتعلم قبل الانتقال إلى الجزئية الأخرى، فإذا قدم المؤلف في الدرس الأول في كتاب (عربى كا معلم) على الاسم حاول أن يتفرغ منه بتقديم نوعيه من حيث التعريف والتنكير ثم سبعة أقسام للمعارف، ثم علامات التعريف والتنكير وما إلى ذلك، صحيح أن هذه الطريقة تساعد في توفير وقت الطلاب إذ يعلم كثيراً من الأشياء عن القواعد والبنى النحوية في قليل من الوقت ولكنه مع ذلك يضطر إلى أن يتعلم الأشياء التي تنفذ بها همته وهو لا يحتاج إليها في استعمالات لغوية إلا قليلا، وقد ينسى المتعلم كثيرا من هذه التفاصيل لأنه لا يطبقه عملياً في استخدام اللغة نطقا وتعبيراً وتسقط كثير من هذه التفاصيل في النسيان والتجاهل. ولم يراع أيضا التدريج من حيث كفاءة المتعلم التي تزداد كل مر اليوم، خذ مثالا في هذا الباب من (كتاب النحو). يقدم هذا الكتاب كل المعلومات حول الجزئية النحوية بطريقة مكثفة في باب واحد، فقد تناول المؤلف في الدروس الأولى كل التفاصيل عن المعرب والمبنى والمنصرف وغير المنصرف، وأقسام الإعراب وأسباب منع الصرف، فالكتاب يشبه دليلاً أو فهرساً لمواضيع علم النحو، ولا يشبه كتاباً للنحو التعليمي، وقد أحسن الأستاذ نديم الواجدي في ترتيب كتابه وفق هذا المعيار حيث قدم السهل والشائع على الصعب والنادر، فمثلاً لا يذكر من حروف الجر "رب وخلا وعدا وحاشا والتاء والكاف والواو ومذ ومنذ)" بل اكتفى ب" من وفى وعلى وإلى وعن والباء واللام"، فالدارس لا يحتاج إلى المجموعة الأولى من حروف الجر كما يحتاج إلى المجموعة الثانية. وكذلك اتبع صاحب (تمرين النحو) التدرج من وجهة نظره، ولكن المؤلفين لم يتبعوا في ذلك قوائم البنى النحوية الشائعة، مثلاً تأتي رتبة المفرد في الشيوع قبل المثنى والجمع، وتأتي رتبة الجمع قبل المثنى، وجمع المكسر قبل الجمع السالم، وكذلك الحال في البنى

الصرفية مثلاً فليست كل الصيغ الفعلية في العربية مثلا متساوية الشيوع، وثمة صيغ ينخفض شيوعها انخفاضاً واضحاً فليس هناك ما يدع إلى اختيارها في المحتوى كصيغة افعوعل "اخشوشن" وافعالّ "اخضارّ" وصيغ كثيرة في جموع التكسير يجب إسقاطها عند الاختيار وإلا فعدم مراعاة التدرج سيسبب الإحباط لهمة الطالب وإخماد لذكاوته مما يؤثر تأثيراً سلبيا على دافعيته نحو تعلم اللغة. وتحديد الزمن الذي يستغرقه الكتاب مفقود في منهجية أصحاب هذه الكتب وبعض المؤلفين يدعون أن كتبهم تصلح لكل المستويات -للأطفال في الكتاتيب وللتلاميذ في المدارس وللطلاب والباحثين في الكليات والجامعات، ويوصون أن توضع في المقررات الدراسية على كل المستويات،

قابلية التعلم والتعليم

قابلية التراكيب النحوية للتعليم بأن لا يصعب على المعلم تعليمها مثلاً تعليم نون الثقيلة والخفيفة في تصريف الفعل المضارع، فقد تؤثر أبعاد البنى النحوية مثل طولها وقصرها وشيوعها وشذوذها على قابليتها للتعليم أو التعلم، انظر مثلاً منظومة مائة عامل في (كتاب النحو) صفحة ٦٤، هذه المنظومة تصلح فهرساً لمواضيع علم النحو ولكنها لا تصلح أن تكون جزءا لكتاب مدرسي.

الخاتمة

الكتب التي بين أيدينا لتعليم اللغة العربية لعبت دوراً كبيراً في تسهيل عملية تعليم اللغة في هذه البلاد، ولكنها مع ذلك ليست حرفاً نهائياً في هذا المجال، الإنسان يتواصل سعيه من أجل تنمية الموارد والمواد. وتعليم اللغة نشاط عملي يتجدد كل يوم وهو يفرز تجارب وخبرات جديدة ويكشف عن مشكلات لم تكن معروفة، ويقترح حلولا كانت غائبة، ولكل لغة خصائصها ولكل تعليم أهدافه، فينبغي أن تكون صياغة الكتب في المستقبل وفق منهج علمي يتخذ معايير موضوعيه وتتكامل فيه مجالات التخصص لأن اللغة قبل كل شئ نظام من الأنظمة ونحن لا نعرف شيئا ما من اللغة إلا بعد أن نعرف العلاقات التي تربطه بالأشياء الأخرى، فإذا نتصدى لتعليم النحو

فكان من الضروري أن لا نقدم الجزئية مع كل تفاصيلها دفعة واحدة بل يقدم منها جانباً واحداً مع جوانب أخرى لمفردات أخرى، نم نعود إليها مرة أخرى ونقدم جانبا ثانياً ثم ثالثاً وهكذا. وكذلك نركز على قواعد الاستعمال أكثر من قواعد اللغة ونعلم اللغة بهدف إتقان الاتصال لأن كثيراً من هذه القواعد لها قيمة معرفية ومعلوماتية أكثر من قيمة تعليمية.

وأما بالنسبة للكتب الدراسية فلا بد أن نراعي المداخل التعليمية الحديثة التي تناسب روح العصر وتقضي على المشكلات التي تعاني منها تعليم اللغة العربية في شمال الهند لتكون مادتها مدرجة بالتدريج التكاملي ومرتبة بالترتيب الزمني مصاحبة بالتسجيلات الصوتية أو المواد السمعية والبصرية مزودة بالرسوم والأشكال التوضيحية والخرائط التوضيحية منتهجة بالمنهج الدوري المتسلسل فتجعل المعلومات واضحة ميسرة تجعل من المتعلم أن يجتاز مراحل الدرس من خطوة إلى خطوة بعد التثبت من استيعاب الوحدة السابقة وأن تكون هذه الكتب مبنية على المداخل النحوية والوظيفية والاتصالية والانتقائية والمهارية والتقنية بشكل متزن فإذا كان الدرس مبنياً على قاعدة نحوية معينة فلا بد من ممارستها في مواقف الحياة بصورة طبيعية أو في سياق تام للنص حتى لا ينقص الدرس من ناحية المعجم اللغوي أو من ناحية المجال الوظيفي، وهذا المنهج التكاملي مهم جداً ليكون لدى المتعلم قدرة على المهارات اللغوية بأكملها وليكون عنده الكفاءة اللغوية والكفاءة الاتصالية على حد سواء.

المراجع:

١- داود عبده: المفردات الشائعة في اللغة العربية، الرياض, جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

٢- رشدي أحمد طعيمة: الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، طبعته جامعة أم القرى سنة ١٩٨٢م

٣- رشدي أحد طعيمة: مشكلات القراءة في كتب تعليم العربية لغير الناطقين

بها دراسة مقدمة إلى ندوة بعنوان تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، الرباط، مارس ١٩٨٠م.

٤- رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/١، ١٩٨٢م

٥- عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٠م، ص ٣٩

٦- مجيد إبراهيم دمعة: منهج ومواصفات الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بغيرها، دراسة مقدمة إلى ندوة بعنوان تأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى، الرباط، مارس ١٩٨٠م.

٧- محمد إبراهيم الطاؤوسي: مقالة بعنوان "واقعنا اللغوي المعاصر (محاولة للتقويم)"، من كتاب "فعاليات الندوة العامة لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي"، حائل، المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع.

٨- محمود كامل الناقة: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، طبعته جامعة أم القرى، سنة ١٩٨٥م

٩- محمود كامل الناقة: أساسيات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، تطوير تعليم اللغة العربية، المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب، ١٩٧٦م

١٠- محمود رشدي خاطر: قائمة المفردات الشائعة في اللغة العربية، مصر، المركز الدولي للتربية الأساسية في العالم العربي، ١٩٥٥م.

١١- موسى بريل: قاموس الصحافة العربية: القدس، الجامعة العبرية ١٩٤٠م.

* * *

منهج تدريس اللغة العربية وطرقها في المدارس الشهيرة

دكتورة عرفاني رحيم
الأستاذة المساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بورة

طفيل محمد بت
الباحث، قسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بورة

الملخص:

لا شك فيه أن الهنود أدوا خدمات جليلة في نشر اللغة العربية وترويجها في الهند داخلها وخارجها، واهتموا باللغة العربية اهتماما بالغا. أنشأوا المدارس والمعاهد الدينية التي يركز فيها الأساتذة والعلماء على اللغة العربية بنظرة الدين، وألفوا كتبا دراسية أدبية لتعليم الطلاب الناشئين الهنود هذه اللغة. والحق أن الكتب الدراسية التي تتضمنها مناهج المدارس الدينية لعبت دورا بارزا في نشر اللغة العربية وتدريسها وهي تتصف بالمحاسن العديدة ولكن هناك بعض النقائص التي توجد في هذا المناهج. تهدف هذه المقالة بيان منهج تدريس اللغة العربية وطرقها في المدارس الشهيرة مع ذكر المحاسن التي تتصف بها والنقائص التي توجد في هذه المناهج.

في القرن التاسع عشر الميلادي كانت المناهج الدراسية تتمحور حول منهاج شاه ولي الله الدهلوي، ومنهاج الملا نظام الدين اللكنوي وحول بعض الكتب التي ضمها فضل الحق الخير آبادي في هذا المنهج. ولم تكن العناية بالأدب العربي كافية في هذا النظام، كما أ شار إليه صاحب تاريخ ندوة العلماء: "كان الجزء الخاص بالأدب العربي في هذا المنهج محصوراً في شرح المفردات ومقامات الحريري والمعلقات، وديوان الحماسة وديوان المتنبي. وهذا المنهج لم يستطع أن يبين ذوقا أدبيا لدى المتلقين، ولا يدرك الطالب مهارة في هذا المنهج ولو بذل جهده عشرات السنين."[١]

إذا أمعن الباحث في المنهج الدراسي لدار العلوم بديوبند[٢] وقرأ الكتب الدراسية الأدبية في المقررات الدراسية وطالع كلما كتب عن دار العلوم ومنهاجها

---

[١] تاريخ ندوة العلماء للشيخ محمد إسحاق جليس الندوي ج ١ - ١٧٠

[٢] قد أسس بنيان لدار العلوم بديوبند ١٢٨٣هـ ١٨٦٦م

التعليمي يتضح له أن دار العلوم ما كانت تهتم باللغة العربية والأدب العربي حق الاهتمام، وأن المنهاج لا تمت بصلة اللغة العربية وآدابها، لأن الكتب المقررة في المنهاج لا تكفي بأن تخلق في الطالب رغبة في تعلم اللغة العربية ولا تحثه على تعلمها. ولكن بعد فترة شهدت دار العلوم تغييرا حسنا في منهاجها لتعليم اللغة العربية بعناية الشيخ وحيد الزمان الكير انوي والشيخ خليل أحمد الأميني، إنهما بذلا قصارى جهودهما في تطوير الأدب العربي لما صنف الأول كتاب " القراءة الواضحة" والثاني كتاب "مفتاح العربية" ولكنها صارت الآن لا تنفع الطالب ولا تساعده في سبيل تعليم اللغة العربية.

إن منهج تعليم اللغة العربية في مدرسة الإصلاح (١٣٢٧هـ١٩٠٩م) يختلف عن المناهج الأخرى لأنه يشتمل بكتاب أسباق النحو في تدريس القواعد النحوية، وكتاب القراءة العربية (جزئين) وكتاب كليلة ودمنة، وكتاب جمهرة خطب العرب، والمعلقات السبع، وكتاب أمثال آصف الحكيم في الأدب العربي. أما طريقة تدريس اللغة العربية، وهي أيضا مثل طريقة قديمة تقليدية في جميع المدارس الإسلامية في الهند التي فشلت في مجال تعليم اللغة العربية.

أما منهج تدريس اللغة العربية في جامعة الفلاح[١] لا يختلف من المدارس الأخرى أيضا. لأنه يتضمن طريقة محافظة في تدريس النحو والترجمة، أما كتب الأدب فهي تشتمل على القراءة الرشيدة، وجمهرة أشعار العرب وغيرها هي الكتب التي استعارتها الجامعة من مصر، والبيئة المصرية والهندية تختلفان تماما، وأما أبناء مصر فلغتهم الأم هي اللغة العربية، وأما الهنود فاللغة العربية لديهم بمثابة لغة ثانية، ومستوى الطلاب الهنود يختلف عن مستوى الطلاب المصريين، وكذلك خلفيتهم الاجتماعية والمدنية تختلف أيضا عن الهنود فلذلك الكتاب لا يوافق خلفية الهنود.

---

٣ برزت جامعة الفلاح على منصة الشهود بشكل ابتدائي، عام١٩١٤ في بلدة بلرياغنج، الواقعة في شمال مديرية أعظم جراه بولاية اترابراديش .

إذا قام الباحث بتحليل الكتب الأدبية التي يتضمنها منهج الجامعة السلفية[1] وجد أنها مستعارة من المناهج الأخرى، فمثلا أخذت كتاب قصص النبيين من ندوة العلماء وكتاب القراءة الرشيدة من الكتب المصرية كما اختار ت كليلة ودمنة وديوان الحماسة من الكتب القديمة، ولم تستطع الجامعة أن تعد منهاجا جديدا مستقلا، والكتب المذكورة سابقا لم تكتب تحت سلسلة واحدة بل كتبت لأغراض مختلفة ولجيل مختلف، وإذا جمعت الكتب المختلفة تحت منهاج واحد فبالطبع أن توجد بينها فجوة في المواد والمستوى.

ويتضح هنا أن المنهج الذي اختارته الجامعة السلفية لا تختلف عن مناهج المدارس السابقة بل هي أيضا تحذو حذوها وتمسكت بالترجمة والنحو والأدب كالمناهج القديمة. وهذه حالة جميع المدارس الإسلامية الهندية الكبرى. فهناك حاجة ماسة إلى تغيير المقرر الدراسي لجميع المدارس الإسلامية في الهند.

تحليل الكتب الأدبية لتعليم اللغة العربية في المدارس الدينية

هناك بعض الكتب الأدبية التي تدرس في المدارس الهندية الشهيرة، وسأقدم موجزا عن إيجابياتها وسلبياتها فعلى سبيل المثال.

نفحة الأدب: هذا الكتاب مجموعة من النصوص الأدبية من النظم والنثر، اختارها وجمعها الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي – رحمه الله – من مختلف الكتب الأدبية والعلمية ولم يذكر المصدر والمرجع التي انتخب منها هذه النماذج الأدبية. يشتمل الكتاب على مقدمة وواحد وتسعين درسا، في خمس وتسعين صفحة[2] وقام بطباعته ونشره إدارة النشر والتوزيع، بدار العلوم، بديوبند. ثم تعددت طباعته.

---

[1] كان العلماء ومسئولون للجامعة يريدون أن يضع الحجر الأساسي لدار العلوم المركزية جلالة الملك سعود بن عبد العزيز، ولكن بسبب مرضه لم يستطع أن يحضر في حفل التأسيس بل أرسل سفيره الذي وضع الحجر الأساسي لدار العلوم المركزية في اليوم التاسع وعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٦٣ء في بلدة نوغدة. التي هي الآن الجامعة السلفية.

[2] راجع فهرس كتاب نفحة الأدب

وأما الدروس لهذا الكتاب فهي متنوعة الموضوعات ومختلف الألوان ولكن يغلب عليها الموضوعات المتعلقة بالدين وتعاليم الإسلام والأخلاق النبيلة والصفات الكريمة كما يبدو في دروس "الإخوان المتحابان، والمرأة الباسلة، النميمة، الولد الأمين، بنت صادقة. وبعض الدروس تتعلق بالشخصيات الإسلامية وصفاتهم الحميدة كدرس كرم السيدة عائشة، وسخاء عثمان الغني، وعدل عمر الفاروق، - رضي الله عنهم- وهكذا جاء المؤلف فيه ببعض الدروس عن الحيوانات وصفاتها مثل وفاء الكلب، ذكاء الديك، حوار بين ذئب وثعلب، الذئب والكلب. وخلاصة القول أن الدروس مختلفة متنوعة.

ومن محاسن الكتاب أنه يتسم بالروح الحقيقي لتعاليم الإسلام، ويحمل نصوصا صالحة مشتملة على الصفات الحميدة والتعليم الإسلامي. ومن أكبر محاسن هذا الكتاب أن جميع الدروس قصيرة لا يزيد حجم أي درس من صفحة واحدة والدروس القصيرة تزيد روعة الكتاب ورغبة الطالب فيه لأن كل يوم يقرأ الطالب درسا جديدا يجد فيه متعة وفكرة جديدة. ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن المؤلف لم يشر إلى أي كاتب من كتاب النصوص كما لم يذكر المصادر والمراجع التي استفاد منها ولم يذكر المؤلف أسماء الأدباء والكتاب، وهذا الكتاب يخلو من التمارين والتدريبات والصور والمصادر والمراجع، ويبدو من دراسة هذا الكتاب أن المؤلف لم يقض أوقاتاً كثيرة ولم يبذل جهودا واسعا. وهذا الكتاب يحتاج إلى اهتمام الباحثين للإخراج من جديد في أحسن أسلوب وفي شكل جذاب مع مواد شاملة.

القراءة العربية: أول كتاب يدرس لتعليم اللغة العربية في مدرسة الإصلاح في الصف الأول من الصفوف الابتدائية، ألفها خريج مدرسة الإصلاح وأستاذها عبد المجيد الإصلاحي، وله جزءان يتكون من مئة صفحة ويشتمل الجزء الأول على الموضوعات النحوية، منها درس " ليالي مع الذئب، الطفل والنحلة، والكلب والدجاجة". وهكذا الجزء الثاني فهو يشتمل على الدروس الأدبية مثلا " يوم العطلة، القرود وبائع الطرابيش، والقطار السريع".

ومن سلبيات هذا الكتاب أنه أيضا يحمل بعض الألفاظ والجمل غير المستعملة اليوم مثلا كلمة " جنية الحيوانات"[1] لا تستعمل عند العرب الآن. " القطار سائر على عجل فوق قضيب من حديد"[2] وكلمة قضيب من حديد إن كانت كلمة فصيحة ولكن لا تستخدم الآن في المكان المذكور بل تستخدم كلمة سكة الحديد وأما من ناحية المفردات والتعبيرات فهذا الكتاب لا يعتني بها بل يركز جل عنايته بتمرين القواعد. أما التمارين في هذا الكتاب فهي غريبة ومنفردة المثال.

أمثال آصف الحكيم: كتاب أمثال آصف الحكيم من الكتب المهمة التي يتعلمها طلاب مدرسة الإصلاح، وهو مجموعة الأمثال والحكم على لسان الحيوانات والجمادات، نقله العلامة عبد الحميد الفراهي في أوائل عمره من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، وكان منثورا في مخطوطاته فطبع بعد وفاته حتى أدخل في المقرر الدراسي لمدرسة الإصلاح. يتكون الكتاب من خمس وسبعين صفحة ويشتمل على مئة وست وثلاثين درسا تحت عنوان مستقل وفي الحقيقة أن هذا الكتاب رائع جدا من حيث المواد وهو يلائم مع نفسية الطالب المبتدئ فهو يجد فيه أنواعا كثيرة من مفردات الألفاظ والجمل المختلفة.

ومن ميزات هذا الكتاب أن اللغة المستخدمة في الكتاب لغة جميلة لا يمكن للقارئ أن يعرف أن الكتاب مترجم من لغة إلى أخرى بل يشعر أنه كتب في اللغة العربية. لأن الكتاب مليء بقصص الحيوانات والحوار بينها فيجد الطالب فيه كثرة الألفاظ المتعلقة بالحيوانات، ومما يؤخذ على هذا الكتاب أنه يخلو تماما من التمرينات والتدريبات وهو مصبوغ بصبغة واحدة مع أن الكتب الدراسية لا بد أن تكون متنوعة الموضوعات لكي تزداد ذخيرة الألفاظ والتعبيرات لدى الطالب.

القراءة الرشيدة: هذا من الكتب التي استعارها الهنود لتعليم أكبادهم اللغة العربية، ألفه كاتبان مصريان لتعليم أبنائهم المصريين اللغة العربية وقررت وزارة

---

[1] القراءة العربية، للشيخ عبد المجيد الإصلاحي ج ١ ص ١٠

[2] نفس المصدر ص ١٢

المعارف العمومية استعمال هذا الكتاب بمدارسها الابتدائية، يتكون الكتاب من أربعة أجزاء قد كانت داخلة في بعض المدارس الإسلامية الهندية ولكن الآن يُدرس الجزءان منها: الأول والثاني في بعض المدارس والجامعات الهندية.

ومما يمدح على هذا الكتاب أنه يتضمن الألفاظ الفصيحة، وحسن العبارة، ورشيق الأسلوب. ومناسب فهم الطلاب ونفسيتهم للطلاب المصريين، وهذا الكتاب مفيد وصالح جدا وأما بالنسبة للطلاب الهنود لا يصلح هذا الكتاب لأنه لا يلاحظ بمستواهم العلمي والتاريخي والاجتماعي. وفي الحقيقة أن هذا الكتاب رائع جدا من حيث المواد وهو يلائم مع نفسية الطالب المبتدئ فهو يجد فيه أنواعا كثيرة من الموضوعات والعبارات. وما يؤخذ على هذا الكتاب أنه مصبوغ بصبغة مصرية وهذا شيئ محمود بالنسبة للطلاب المصريين ولكن شيئ لا يمدح بالنسبة للطلاب الهنود، فالدروس مثل "مصر العزيزة، والذهاب إلى جزيرة الروضة، والآثار القديمة لا تنفع الطالب الهندي كما تنفع الطالب المصري. وخلاصة القول: أن الكتاب ولو هو فصيح الكلمات وبليغ الألفاظ والتعبيرات لا يناسب للطالب الهندي المبتدئ، لأن خلفيته تختلف عن خلفية الطالب المصري.

كليلة ودمنة: يعد كتاب كليلة ودمنة من أهم الكتب التي تدرس في معظم المدارس الإسلامية في الهند وهو كتاب مهم ألفه أو نقله من اللغة البهلوية(الفارسية القديمة) إلى العربية الأديب البارع الفذ عبد الله بن المقفع في أوائل القرن الثاني الهجري، وهو يعتبر قطعة أدبية ممتعة فذة منفردة المثال ولا نظير له في فصاحة الألفاظ وجلالة التعبيرات وإشراق البيان ورشاقة الأسلوب. يقول الدكتور خالد خليفة السعد: " فابن المقفع في هذا الكتاب تكلم على لسان بيدبا الفيلسوف وجعل موقفه مع الخليفة المنصور موقف بيدبا من الملك دبشليم ليكون الكتاب نصيحة مباشرة للخليفة"[١]. وهذا الكتاب لا يوجد نظيره في الكتب العربية في وضوح بيانه

[١] كليلة ودمنة، للشيخ الدكتور خالد خليفة السعد، مجلة البعث الإسلامي، العدد ٦ أبريل ٢٠٠٧ ص ٧٦-٧٥

ومرونة كلامه وعذوبة أسلوبه ومتانة عبارته، فهو يدرّس في معظم المدارس الإسلامية الهندية بما فيها ندوة العلماء ومدرسة الإصلاح وجامعة الفلاح والجامعة السلفية ودار العلوم بديوبند، في مختلف المراحل التعليمية. وفي الحقيقة أن الكتاب له أهمية قصوى وهو يعد درة قيمة في الأدب العربي، ويصلح لطالب اللغة العربية أن يقرأه في مرحلة من عمره التي يتأهل لفهمه والاستفادة منه. وهذا نقص في المقرر الدراسي الهندي أن كتاب كليلة ودمنة وإن كان على قمة في الأدب والروعة والجمال الفني لكنه يدخل في الصفوف الابتدائية للمرحلة الثانوية بل في مدرسة الإصلاح وجامعة الفلاح يدرس الكتاب في الصف الثالث. لذلك لا يستطيع الطالب أن يستفيد منه.

نفحة العرب: كتاب نفحة العرب من الكتب التي ألفها الأديب الهندي إعزاز علي الديوبندي لطلاب اللغة العربية في الهند وجمع فيها النصوص الأدبية من مختلف العصور وهي تدرس في المدارس الإسلامية المتبعة للمنهج النظامي وعلى رأسها دار العلوم بديوبند، وكان الغرض المنشود وراء تأليف هذا الكتاب كما يقول المؤلف " واقتبست من كتب المتقدمين نوادر ما أردت أن أعرض على إخواني من طلبة العلم وما قصدت بهذه الأوراق إلا تطهير الأخلاق ولم أرد بهذه الحكايات والأمثال إلا تحصيل الفضائل، فإن الصبيان ألواح قلوبهم أشد قبولا لما نقش عليها"[1].

ومما يمدح للكتاب أنه يجمع مختلف النصوص الأدبية من النظم والنثر من العصور المختلفة وهو حافل بالدرر الأدبية الممتعة التي تهذب الأخلاق والسلوك، وهو نص يمكن الاستفادة منه لتعليم اللغة العربية. ومن سلبيات هذا الكتاب أن المؤلف جمع فيه نصوصا من العصور المختلفة ولم يراع بالتدريج الزمني كما لم يشر إلى المصادر والمراجع التي استفاد منها، ولم يذكر أسماء الأدباء والشعراء.

مجموعة من النظم والنثر: ألفه محمد شريف سليم من مصر لطلاب السنة الرابعة في المرحلة الابتدائية تحت المنهاج التعليمي المصري، وتعددت طباعته من

[1] نفحة العرب، للشيخ إعزاز علي الديوبندي ص ٧

مصر إلى الهند وهي جزء للمقرر الدراسي في بعض المدارس الإسلامية. ينقسم الكتاب إلى قسمين: قسم يتعلق بالشعر وقسم يتعلق بالنثر كلاهما يحملان أهمية قصوى كما أنهما على قمة في الروعة والجمال. يتضمن الشعر والنثر من جميع العصور الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ولكن بدون مراعاة الترتيب في العرض. وتأتي تراجم الأدباء والشعراء في هامش الكتاب كما يأتي شرح الكلمات العامة. وهذا الكتاب جيد ليكون جزءا في المقررات الدراسية في نهاية المراحل المتوسطة في الصف الرابع أو الخامس حسب مستويات الطلاب.

منهج دار العلوم التابعة لندوة العلماء في تعليم اللغة العربية.

حينما قرأ الباحث المنهاج الدراسي لدار العلوم التابعة لندوة العلماء وحلل الكتب الدراسية الأدبية لندوة العلماء وطالع كلما كتب عن دار العلوم ومنهاجها التعليمي اتضح أمامه أن ندوة العلماء أول مدرسة في مجرى التاريخ الهندي تهتم باللغة العربية كما كان حقها. يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي: "كان موقف دار العلوم لندوة العلماء إزاء اللغة العربية موقف لغة حية تكتب ويخطب بها لا كلغة أثرية عتيقة كما كانت في الدرس النظامي وأعدت لذلك منهجا دراسيا"[1] وكانت ندوة العلماء أول مدرسة في الهند التي استخدمت اللغة العربية كلغة متدفقة ذات نشاط وحيوية وكلغة الكتابة والخطابة ولغة النطق، ولغة تبعث الروح الإسلامية. وخلاصة القول أن الكتب الدراسية المقررة في منهج ندوة العلماء كتب قيمة ولكن معظمها صارت قديمة مرت عليها عقود فتحتاج إلى تغيير. لكي يثمر المنهج بالنتائج الحسنة وليكون منهجا ناجحا شاملا في التدريس ويواكب العصر ويسد حاجاته. سأحلل مساهمات ندويين في وضع منهج تعليم اللغة العربية.

القراءة الراشدة: من أهم الكتب العربية التي ألفت في الهند لتعليم اللغة العربية، كتبها العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي- رحمه الله- للطلاب الناشئين

[1] حركة التعليم الإسلامي وتطور المنهاج للشيخ واضح رشيد الندوي ص ٩٨

الهنود ويهدف تأليف الكتاب تزويد الطلاب بالأفكار الإسلامية وتوفير المعلومات عن الشخصيات الهندية والأشياء التي يمر بها الطالب صباحا ومساء.[١] يتكون من ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يحتوي على واحد وثلاثين درسا، والجزء الثاني يشتمل على الاثنين وأربعين درسا، والجزء الثالث يحيط بخمسة وخمسين درسا وتتكون الدروس من النظم والنثر في جميع الأجزاء، ويغلب النثر في الدروس.

ومما يمدح على هذا الكتاب أن المؤلف استخدم لغة أدبية ودينية يغلب عليها جمال أدب القرآن والحديث. ومن ميزات هذا الكتاب أن المؤلف تفنن في اختيار المواد الدراسية فأدخل في الكتاب دروسا متنوعة ولم يقتصر على نوع خاص، كما يتجلى بعناوين دروس الكتاب.[٢] ومن أكبر خصائص هذا الكتاب أن أسلوب المؤلف في هذا الكتاب يتغير بتغير المواد ولم يتخذ المؤلف أسلوبا واحدا في تقديم جميع الدروس بل ينوع أسلوبه ويجعل الدرس خلابا يجد الطالب المتعة فيه مثلا يستخدم المؤلف في جميع الدروس للجزء الأول الأسلوب الوصفي يذكر فيه الأشياء بطريقة متوالية.[٣] ومن سلبيات هذا الكتاب قد استخدم بعض الكلمات والتعبيرات التي تغير مدلولها أو لا تستخدم حاليا في المعنى الذي استخدمها المؤلف. ومن سلبياته أنه كان يخلو عن التمارين والتدريبات، ثم التفت إليها بعض المنتمين إلى الكتاب وزينوها بالتمارين ولكن هذه التمارين لا تكفي للناشئين. والشيء المهم أن كتاب "القراءة الراشدة " كتاب مهم ولكن أصبحت بعض الدروس قديمة وتحتاج إلى تغيير بسيط وإلى حذف بعض الدروس وإدخال بعض الدروس الجديدة لتلبية متطلبات العصر الراهن.

قصص النبيين: يتكون الكتاب من خمسة أجزاء صنفها سماحة العلامة أبو

---

[١] القراءة الراشدة، للعلامة الندوي، ج١ ص ٩

[٢] القراءة الراشدة، للعلامة الندوي، مقدمة الكتاب ج١ ص١٢ (أخذت بعض الأفكار من المصدر بقد من التصرف)

[٣] نفس المصدر

الحسن علي الندوي وكان الهدف وراء تأليف الكتاب وقاية الطلاب الناشئين عن الكتب العربية التي كانت تعلم اللغة العربية عن طريق حكاية الخرافات والأساطير والحيوانات من الأسد والذئاب حتى الخنازير، ويكتب المؤلف عن الكتاب مخاطبا للأطفال " وقد بدأت تتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والرسول ولغة الدين ولك رغبة رغيبة في درسها، ولكني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية إلا قصص الحيوانات والأساطير والخرافات. فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم صلاة الله وسلامه) بأسلوب سهل يوافق سنك وذوقك ففعلت"[١]. وهذا الكتاب يحتوي على خمسة أجزاء.

ومن ميزات الكتاب أن المؤلف قد ركز فيه أسلوب الأطفال وطبيعتهم فلجأ إلى تكرار الكلمات والجمل وسهولة الألفاظ وبسط القصة كما أشار إلى ذالك المؤلف في المقدمة. ومما يحمد على هذا الكتاب أنه يعلم اللغة العربية بتراجم حياة الأنبياء والمرسلين وتقرب الطالب بصفاتهم وأخلاقهم وطريقة دعوتهم إلى الدين. ومما يؤخذ على هذا الكتاب أن الجزء الرابع للكتاب وأسلوبه أصعب من الجزء الخامس وهذا لا يناسب في الكتب الدراسية أن الأول يصعب من الثاني بل لا بد أن يكون العكس كما في الأجزاء الأخيرة. وخلاصة القول إن الكتاب مفيد ونافع في تعليم اللغة العربية ولكن لا يمكن أن ينحصر التدريس على هذا الكتاب فقط لأن مواده لا تتنوع والطالب يحتاج إلى التراكيب والمفردات المتنوعة. هذا الكتاب قد يكون مساعدا للكتب الدراسية العربية في مجال التعليم والتربوية.

مختارات من أدب العرب: كتاب رائع يتضمن على جزئين ويحتوي على النصوص الأدبية من مختلف العصور من العصر الأول إلى العصر الحديث، ألفه فضيلة الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي-رحمه الله-لتدريس طلاب اللغة العربية وآدابها، وجمع فيه من كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكتب الطبقات والتراجم

[١] قصص النبيين للعلامة الندوي ج١ ص١٩

والرحلات ومن الكتب التي ألفت في الإصلاح والدين والأخلاق والاجتماع. وكان هدفه وراء تأليفه أن يعرف طلاب اللغة العربية وآدابها أدبا حقيقيا. وذكر المؤلف في المقدمة بعض النصوص والقطعات الأدبية التي كانت مغمورة في أوراق من كتب ومؤلفات لا تعد من مؤلفات أدبية ولا تعتبر نموذجا أدبيا.[١] وبالطبع أن هذا الكتاب منفرد رائع وجميل جدا ويقول الشيخ علي الطنطاوي " إذا كان الدليل على ذوق الأديب اختياره، فحسب القراء أن يعلموا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية لنتخير واحد منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعة في الشام، وذهب كل واحد من أعضاء اللجنة- كلهم من الأدباء- يبحث ويفتش، فعدنا جميعا وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات وأجمعها لفنون القول وألوان البيان، مختارات أبي الحسن"[٢].

منثورات من أدب العرب: كتاب من الكتب التي كتبت لتحقيق، ألفه سماحة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس دار العلوم لندوة العلماء، وهو جزء في المقرر الدراسي لندوة العلماء. ومستوى هذا الكتاب أحسن بكثير من مستوى الكتاب سابق الذكر وهو يشابه كتاب "المختارات من أدب العرب" مع أن مستواه أدنى من المختارات. ويشتمل الكتاب أيضا من النظم والنثر ولكن النثر يزداد كمية من النظم ومما يميز الكتاب من الكتب الأخرى أنه يحمل نماذج الأدباء الهنود كما يحمل كتاب المختارات ويوجد في هذا الكتاب تراجم الكتاب والأدباء والشعراء وشرح الكلمات الصعبة.

الأدب العربي بين عرض ونقد: كتاب "الأدب العربي بين عرض ونقد" فاتحة الكتب الأدبية النقدية للطلاب الهنود وهو أول كتاب تم تأليفه في الهند، ويناقش الأدب والنقد معا ويشرح الأساليب الأدبية واختلافها حسب العصور ومن حيث الكتاب والأدباء، ألفه فضيلة الأستاذ رئيس ندوة العلماء محمد الرابع الحسني الندوي. يقول أبو الحسن علي الندوي بصدد هذا الكتاب: " وهو الكتاب يجمع بين

---

[١] مختارات من أدب العرب للعلامة الندوي ج١ ص ١٦

[٢] مقدمة للشيخ الطنطاوي في كتاب مختارات من أدب العرب للعلامة الندوي ص ٥

النصوص الأدبية وبين لمحة من تاريخ الأدب العربي وما مر به من أدوار وأطوار وما واجهه من نزعات وتيارات وأحداث وعوامل، تصبغ عليه لونا جديدا وتجعل القارئ على بصيرة من أمر هذا الكتاب الذي لم يزل يمر بأدوار من الطفولة والشباب والكهول، ومن الآفات والعلل والمؤثرات الخارجية والصحيح والسقيم"[١]. وهو يضيف قائلا: " وجاء هذا الكتاب وسطا بين العرض والنقد والجمع والتاريخ وهي الحلقة الأخيرة في سلسلة تدريس الأدب العربي والحلقة الأولى في سلسلة تدريس النقد الأدبي"[٢]. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول تحدث فيه المؤلف عن حقيقة الأدب وفي القسم الثاني ناقش التحليل والنقد وكما قدم في القسم الثالث نماذج الأدب العربي مع الإشارة إلى القيمة الفنية ومكانة أصحابها الأدبية.[٣]

ومن محاسن الكتاب أنه أحاط في أقل من مئتين وخمسين صفحة جميع العصور الأدبية من الجاهلي والإسلامي والأندلسي حتى العصر الحديث بالإضافة ذكر خصائص شعراءها وأدباءها، كما لم يترك إسهامات الأدباء الهنود في الأدب العربي والشعر. والشيء الذي يقلل أهمية الكتاب أنه لم يعتن بذكر الحركات والمدارس الأدبية وشعراءها مع أن الحركات الأدبية تلعب دورا مهما في فهم أسلوب الأدباء في العصر الحديث. رغم كون الكتاب مختصرا وموجزا يستطيع الباحث أن يقول هذا الكتاب قيم مفيد للغاية وصالح أن يكون جزءا من المقررات الدراسية في جميع المدارس الإسلامية في الهند. ومما يؤخذ على هدا الكتاب أنه لم يهتم بذكر الألفاظ الغامضة في الهامش، كما ذكر المصادر والمراجع وكذلك لم يشرح بعض المصطلحات الأدبية الشعرية كما ذكر تعريف البعض، على سبيل المثال ذكر المؤلف تعريف النسيب والتشبيب ولم يذكر تعريف الهجاء والوصف والمدح والهجاء.

---

[١] مقدمة الكتاب الأدب العربي بين عرض ونقد للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ص ٦

[٢] أيضا ص ٧

[٣] كلمة المؤلف

المصادر والمراجع

- ابن المقفع، عبد الله، كليلة ودمنة، الطبعة الثالثة، مكتبة إحسان لكناؤ ٢٠١٠
- الإصلاحي، عبد المجيد، القراءة العربية، جميع الحصص، دائرة حميدية أعظم جراه، ٢٠١٢
- الأميني، نور عالم خليل، مفتاح العربية، مكتبة دار العلوم ديوبند، الطبعة الأولى ١٩٩٧
- الديوبندي، إعزاز على، نفحة العرب، كتب خانه إعزازيه ديوبند، عام الطباعة ١٩٨٣
- الصبري، عبد الفتاح، وعلي عمر، القراءة الرشيدة، جميع الأجزاء، جامعة السلفية بنارس عام الطباعة لم يذكر
- الفراهي، عبد الحميد، أمثال آصف الحكيم، الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح، ٢٠٠٧
- الكيرانوي، وحيد الزمان، نفحة الأدب، ملتزم الطبع والنشر مكتبة حسينية ديوبند، الطبع والعام لم يذكر
- الندوي، أبو الحسن على الحسني، قصص النبيين جميع الأجزاء، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ٢٠٠٨
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، القراءة الراشدة جميع الأجزاء، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ٢٠٠٨
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، المسلمون في الهند، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء لكناؤ،PDF
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مختارات من أدب العرب، جميع الأجزاء، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ٢٠١٠
- الندوي، سعيد الرحمن الأعظمي، محاضرات في فن التدريس، مكتبة الفردوس لكناؤ، الطبعة الأولى ٢٠١٤
- الندوي، محمد الرابع الحسني، منثورات، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ٢٠٠٩
- الندوي، محمد الرابع الحسني، الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء ٢٠١٢
- الندوي، واضح رشيد، حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهاج، المجلس الإسلامي العلمي ندوة العلماء الطبعة الأولى ٢٠٠٦
- الإصلاحي، الدكتور شرف الدين، ذكر فراهي، دائرة حميدية مدرسة الإصلاح، ٢٠٠١

- الإصلاحي، ظفر الإسلام، تعليم عہد اسلامي کےہندوستان میں، دار المصنفين شبلي اکيڑمی اعظم گڑھ، ٢٠٠٤
- الفلاحی، ضاء الدين ملک، تاريخ جامعة الفلاح، إداره علمية جامعة الفلاح، ٢٠١٢
- الفيضي، محفوظ الرحمن، تاريخ مركزي دار العلوم(الجامعة السلفية)، مكتبة الفهيم مئوناته بهجن٢٠١٣
- الندوي، سيد رياست علي، اسلامي نظام تعليم، دار المصنفين شبلي اکيڑمی، اعظم گڑھ، عام الطباعة لم
- الندوي، محمد اسحق جليس، تاريخ ندوة العلماء، مجلس الصحافة والنشر ندوة العلماء بلكناؤ عام الطباعة٢٠١١
- دستور العمل لمدرسة الإصلاح رضوي، السيد محبوب، تاريخ دار العلوم الديوبند، مكتبة دار العلوم ديوبند ٢٠١٣
- الموقع الرسمي لدار العلوم بديوبند الرابط:-http://darululoom/deoband.com/ Arabic
- الموقع الرسمي لدار العلوم التابعة لندوة العلماء. الرابط http://www. nadwatululama.org
- الموقع الرسمي للجامعة السلفية، الرابط :http://aljamiatussalafiah.org/?p=496&lang=ar
- مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة باللغة الأردية .http://www.hindawi.org

* * *

الفن في روايات جرجي زيدان
(الحلقة الثالثة: الحبكة)

أ. د. منظور أحمد خان
الأستاذ في قسم اللغة االعربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

تتكون الحبكة عند زيدان عادة من بعض الوقائع التاريخية المتصلة بجماعة أو جماعات من الناس، ثمّ من القصة الغرامية للعاشقين المفتونين. وعلاوة على هذا تتناول أحيانا حكايات متشتتة متفرقة لا رابط بينها وبين حوادث الرواية من التاريخية والخيالية. وهذا ما نراه في "الحجاج بن يوسف" التي ومع أنها عبارة عن وصف نزاع بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان، ثم عن وصف مهمّة البطل الخيالي وحبه وسعي الوغد وراء التفريق بين الحبيبين، يدخل المؤلِّف في أحداثها قصص العشاق المشهورين كليلى الأخيلية وتوبة، ثمّ كجميل وبثينة على نحو مفتعل كل الافتعال. كذلك يبدو جانب الحب للحبكة دخيلا على الوقائع التاريخية فلا ينطبق عليها من حيث المنطق ولا العاطفة (١). على هذا النحو تتنوّع الأحداث والشخصيات إلى حدّ تصبح الرواية مجرّد مجموعة من الأحداث العرضيّة حيث لا يوجد شيء موحِّد اللهم إلاّ شخصية أو شخصيات تتواصل أن تظهر على مسرح الأحداث حتى النهاية.

وفي "العباسة" لو لم يُكثر المؤلف في حشد المواد الجامدة واستطراد المواقف وتكرارها سردا ومشهدا، لكانت هذه الرواية أحداثها متعقبة بحاسة السببية أحسن التعقّب، ومن ثمّ حبكتها مثالا في تنظيم عال. ونرى المؤلف يرتّب أحداث الرواية على النحو التالي، فإنه في بداية الأمر يكشف أمر البطلة العباسة وولديها، ثم يقدم جعفر بن الهادي والفضل بن الربيع وهما يسعان وراء الإيقاع بحبيب البطلة جعفر البرمكي. ثم نعلم أنّ زبيدة زوج هارون الرشيد هي أيضا ناقمة على جعفر، ثمّ تتقدم الأحداث حتى نرى الرشيد يتأسّف على ردّه إسماعيل بن يحيى خائبا، إيثارا طلب جعفر في أمر تزويج بنته، ثم ينكشف له أمر جعفر في إطلاق سراح العلوي عدوه الألدّ، فيعتزم على إبادته. بينما هو متردد في الإقدام على هذا الأمر الجسيم إلى أن تدلّه زبيدة على

فضيحته الكبرى التي لا تقتضي التأخير لحظة واحدة، وهي علاقته السرّية بالعباسة وتوليده منها ولدين اثنين. إذن لا يرى بدا من القضاء على جعفر والعباسة وولديهما لينتقم من مولاه الخائن ويمحو العار إلى الأبد.

ومن الاستطرادات والمواد الجامدة في الرواية المذكورة أعلاه وصف مجلس الأمين وقصره، وما يجاوره من الحدائق والبساتين، ثم ما تحتضن هذه من الطيور والأسماك والوحوش. ومنها مجلس آخر يحضره إسماعيل بن يحيى وجعفر بن الهادي، وهما يذكران مناقب البرامكة ومثالبهم. ومنها أيضا ذكر موكب هارون الرشيد نحو الملعب، ثمّ وصف قصره غرفة تلو غرفة من الرياش الفاخر وتزيين الجدران بالذهب وغير الذهب. ومنها أيضا الوفد الهندي الذي جاء بالتحف والهدايا المتكونة من السيوف والكلاب لهارون الرشيد (٢). ولا تقتصر هذه الظاهرة على هذه الرواية، وإنما تعدّاها إلى جميع روايات زيدان. ونرى أن رغبة المؤلف الملحّة في حشد المواد الجامدة ترجع إلى ولعه الشديد بتعليم القارئ التاريخ، ومنه تفضيله عنصر الحكاية على جميع العناصر الأخرى من الخلفية والحبكة والشخصية. ونتيجة لهذه الظاهرة نجده يلخِّص الحوادث التاريخية التي لو عُني واحد ببسطها وتمديدها لملأت المجلدات بأتمّها. وفي "أبي مسلم الخراساني" نصادف عدة حوادث من هذا القبيل، ومنها انهزام مروان بن محمد، ثمّ فراره إلى مصر ومقتله هناك، ثمّ تقتيل أبي العباس السفّاح بقية الأمويين تحريضا من أبي سلمة في إحدى الولائم التي أقام بها السفّاح لهم، ثمّ قتل أبي سلمة نفسه دسيسة، ثمّ قتل سليمان بن كثير (٣).

وإذا تكون هذه حال الحبكة، فكيف نرجو أن تتضمّن سرا من الأسرار، ولا سيما إذا يندفع المؤلف في تلخيص الحوادث التي مرّ ذكرها من قبل عن طريق السرد والمشهد، وكأنه يقدِّم مسلسلة تلفزيونية، فيذكِّر المتفرّج في بداية كل حدث عرضي جديد ما حدث آنفا. وعلى سبيل المثال نلتقي بالمؤلف في "أبي مسلم الخراساني" وهو يكشف للقارئ عن أصل الضحّاك خادم الدهقان المهذار. وبعد ذكره انتمائه إلى الخوارج وكونه أحد أمرائهم يأخذ يشرح للقارئ مشروعه لنيل أهداف حزبه السياسية

بدء من دخوله في خدمة الدهقان متنكّرا، ومحاولة استغلاله كل من بنت الدهقان جُلنار وأبي مسلم، وكأنه ينسى بأن حوادث الرواية التي سبق ذكرها سردا ومشهدا قبل تعريف الضحّاك من جديد، لا تتناول شيئا سوى قصة الضحاك مع الدهقان ووساطته بين الدهقانة وأبي مسلم ومحاولة خديعته كل من الدهقانة وأبي مسلم (٤).

كذلك تتدفق روايات زيدان بالمصادفات الغريبة غير المقنعة والتي تجعلها مبتذلة تافهة كابتذال الحكايات الشعبية وتفاهتها. ففي "عبد الرحمن الناصر" نرى المؤلف يكلّف خادما خصيا بتزويد الزائر بالمعلومات عن القصر الزاهر ونفقات بنائه، وكأنه مهندس معماري خبير. وأكبر منها حادثة الفقيه ابن عبد البرّ عندما دعاه الخليفة الناصر لإلقاء الخطاب على الوفد الرومي، فيشتبه عليه الأمر وتتضارب في ذهنه الأفكار حتى يسقط على الأرض مغشيا عليه (٥). وفي "فتح الأندلس" نجد مصادفة غريبة في نهاية الرواية، وهي اجتماع شمل الأب وابنه المفقود منذ سنين بإشارة من رجل كان هو المسئول للتفريق بينهما. وأغرب منه بكاء الأب على مجرّد استماعه اسم الابن المفقود، ثمّ عدم اكتراثه لرجل هو أصل هذه المصيبة (٦).

ثمّ هناك مصادفة عامّة يهدف المؤلف من خلالها إلى حلّ العقدة في نهاية الرواية، ومنه إلى جمع شمل الحبيبين (٧). وعادة يتناول حلّ العقدة عند زيدان مكافأة الخيار وعقاب الأشرار. ففي "الحجاج بن يوسف" مثلا نلتقي بعرفجة أبي البطلة الذي يملك شخصية خبيثة ماكرة طامعة، ويقصد إلى استغلال محمد بن الحنفية بتقديم كرسي المختار المشهور له ليكسب مالا ورئاسة. ثمّ يريد أن يكافئ إحسان منجيه وخطيب بنته بالغدر والخيانة ليتخلّص منه، ويتوسّل إلى الحجاج كي يعرض بنته عليه كالعروس ليربح بأموال طائلة عن طريق المهر. ولكن أنّى له أن ينال مراده، وإنما على العكس يلقى الخزي والعار. فأولا يُهان على يد محمد بن الحنفية، وثانيا لم يُكتب له أن ينال شعرة من البطل، بل يلقى حتفه على يد الحجاج ملاذه الأخير. ومن ناحية أخرى ينجح البطل في الاتصال بحبيبته رغم وشاية الواشين أمام أشد جبابرة زمنه وأظلمهم يعني الحجاج (٨).

ونرى أن ظاهرة المكافأة والعقاب تحمل المؤلّف أحيانا على الإطالة دون مبرّر واف. ففي "عبد الرحمن الناصر" مثلا يُضيف فصلين أخيرين إلى الرواية على نحو افتعالي محض، حيث ينتحر سعيد الجاسوس في حضور الخليفة قبل أن يعاقبه الآنف الذكر على فضائحه، ويزوّج الخليفة الناصر عابدة الجارية الأديبة من أخي محظيته سالم مكافأة لاستسلامه، وتخليه من نشاطاته السياسية المحرَّمة (٩). ونلاحظ على المؤلف تأثره بمفاهيمه الدينية في الحكم على مصير شخصياته، ثمّ تأثره في الحكم على منفعة الشيء أو ضرره. ففي "أبي مسلم الخراساني" تلجأ البطلة إلى الدير وتنقطع من جنس البشر حتى الموت. والظاهر أنه لا داعي لها لهذا الانقطاع لأن البطل الذي غلب عليها اليأس من أجل قتله، لم يُظهر عن ميوله نحوها بالصراحة كما فعلت هي، بل أنه على العكس قد سلب منها تسليتها الوحيدة في الحياة، ألا وهو والدها العزيز الحنون، ثمّ أمر بسجنها هي دون أقلّ مراعاة لحبّها له وتفانيها في سبيل الدعوة التي كان يدعو الناس إليها (١٠). وفي "فتح الأندلس" نراه يلوم الملك رودريك على شرب الخمر والإكثار فيه، ولكن إذا تناوله البطل فإنه يُصبح مؤنسا ودافئا بالنسبة له، ثمّ أنه يقوم مقام الدواء على يد رئيس الرهبان لأحد الأديار (١١).

وأخيرا نأتي إلى أنواع الحبكة موضوعا وتركيبا، فنرى أنّ روايات زيدان بسيطة من حيث الموضوع، مع كونها مركّبة من الأحداث، متنوعة مختلفة شبه حكايات مستقلة. ثمّ نرى أنها مفكَّكة من حيث البناء، لا يربط أحداثها شيء، اللهمّ إلاّ بعض الحقائق الزمنية من التاريخ الثابت.

ونستنتج مما تقدّم أنّ روايات زيدان تخلو من الحبكة خلوا يكاد يكون تامّا، لا لعدم مقدرته على وضع خطوط الحبكة المتماسكة، بل لنقص تصوره لهذا العنصر الهامّ للرواية، وتقليله أهميته. وقد صرّح في "الهلال" ردّا على استفسارات القرّاء بأنّه حين نشره فصلا من رواية له، لا يكون نفسه على بيّنة من أحداث الفصول القادمة (١٢). وبواعث أخرى تساهم في تفكيك الحبكة عنده، عنايته بالأحداث دون البيئة والشخصية، ثمّ إصراره على تعليم القارئ التاريخ حيث يُدخل الحوادث متشتِّتة

متفرِّقة في أحداث "الحبكة"، كما يستطرد في بعض المواقف استطرادا. ومنها أيضا صبغه الحوادث بصبغة شعبية مبتذلة، حيثُ تبرز مصادفات غريبة تضجر القارئ وتصرف انتباهه صرفا.

المصادر والمراجع:

١- جرجي زيدان، الحجاج بن يوسف، ص: ١٣-١٧، ٤٧ و٥٦.

٢- جرجي زيدان، العباسة أخت الرشيد، ص: ٥٢، ٧٠، ٨٥-٨٨.

٣- جرجي زيدان، أبو مسلم الخراساني، ص: ١٥٨ و١٥٩.

٤- المصدر نفسه، ص: ٧٧ و٧٨.

٥- جرجي زيدان، عبد الرحمن الناصر، ص: ٣٣ و٦٧.

٦- جرجي زيدان، فتح الأندلس، ص: ١٨٠-١٨٣.

٧- محمود حامد شوكت، مقومات القصة العربية الحديثة في مصر، ص: ٩٦.

٨- الحجاج بن يوسف، ص: ٨٧، ٨٨، ١٤٩ و١٥١.

٩- عبد الرحمن الناصر، ص: ١٦٨-١٧٦.

١٠- أبو مسلم الخراساني، ص: ١٧٧.

١١- فتح الأندلس، ص: ٤٦، ٧٨ و١٢٩.

١٢- الهلال، فبراير ١٨٩٩م، نقلا عن أحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص: ٥.

* * *

الرؤية الإسلامية عند علي أحمد باكثير"سلامة القس" نموذجا

أ.د. صلاح الدين تاك
الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

محمد تنوير
باحث الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

كان علي أحمد باكثير(١٩١٠-١٩٦٩م) أديبا موسوعيا ملتزما في أدبه بطرح قضايا الأمة العربية والإسلامية بالصدق والإخلاص والشجاعة. انطلق في جل أعماله الأدبية ولا سيما الروائية من تصور إسلامي. فكان أول أديب عربي يرمز في رواياته للحركة الإسلامية رمزا إيجابيا. فهو لا يقف كغيره من الروائيين عند حدث تاريخي، بل إنما يغوص فيه بالتحليل والتفسير آخذا الموعظة والنصائح للواقع المعاصر. كتب خمس روايات مقتبسا أحداثها من التاريخ الإسلامي. ومن هذه الروايات رواية "سلامة القس" التي تشتمل على حكاية عاطفية تاريخية، حيث تدور أحداثها بين الناسك العابد عبد الرحمان بن عمار القس الذي كان رمزا للعفة والطهارة والزهد والتقوى، وبين الجارية المغنية سلامة التي كانت من أشهر النساء المغنيات في عهد عبد الملك بن مروان. يحاول المؤلف من خلال هذه الحكاية أن يصور الصراع بين الهوى والتقوى، ممثلا شخصية "سلامة" وانحرافها الديني وبعدها الخلقي، وشخصية عبد الرحمان بن عمار القس، وتشدده الديني، والتزامه بالمحافظة على الصلوات وحرصه الشديد على إجراء أوامر ربه واجتناب نواهيه. تنقسم هذه الرواية إلى ثلاثة عشر فصلا مستقلا. وكل فصل يقدم شخصية معينة. وتتمثل جميع الشخصيات بصورة مختلفة. حيث تمثل البعض منها تيار الفكر الإسلامي والخلق الديني، والبعض الآخر تمثل البعد الديني والانحراف الخلقي، بينما تمثل البعض الآخر الوسطية في الإسلام. ومن أهم هذه الشخصيات:

عبد الرحمان بن عمار القس:

إنه كان عنوانا للشباب العفيف الناشئ في عبادة الله الفقيه في دين الله المتمسك بأوامر الله والمتجنب عن نواهي الله. ربته أمته الصالحة منذ صغره على التقوى والعبادة. وقد حفظ القرآن ولم يبلغ عاشرة من عمره. وكانت أمه تريد أن يكون

ابنها عالما وفقيها كمثل سعيد بن المسيب أو العطاء بن الرباح. وكانت تدعو الله في الهزيع الأخير من الليل أن يحقق الله لها هذا الأمل، فاستجاب الله دعوتها، حيث أصبح مضرب المثل لزهده وورعه وتقواه في أنحاء مكة وما يليها، حتى لقبه أهل مكة "القس" لزهده وعبادته وملازمته في المسجد، على هذا النحو كانت حياته تمر على وتيرة واحدة، حيث كان يذهب من البيت إلى المسجد ومن المسجد إلى البيت، وأحيانا كان يذهب إلى بيت صديقه أبى الوفاء ويتحدث معه. غير أن اشتد الصراع في حياته العادية عندما كان في الطريق ذات يوم إلى بيت صديق أبي الوفاء. وفي أثناء الطريق سمع فجأة صوت مغنية مطربة فارتجف خائفا من الله، لأنه كان سمع نفس الصوت في المنام، حيث رأى أن امرأة عارية تجره نحو الجهنم وهو يجره نحو الجنة. فإذا كان القس واقفا في الطريق ومتفكرا عن الصوت الذي كان سمع في المنام. ظن ابن سهيل وهو (أحد الشخصية الروائية) مستغرقا في استماع سلامة المغنية. فدعاه إلى دخول المنزل ليستمع سلامة المغنية بقرب، ويطمأن نفسه بهذا الصوت الجميل. فلما سمع عبد الرحمان بن عمار القس صوت سلامة المطرب الساحر متى قرب منها، أعجب بهذا الصوت المطرب الساحر فمالت نفسه إليها وتعشق بها، حتى نشأت بينهما علاقات ودية وعفيفة. وشاعت أمر حبهما بين أهل مكة حتى اشتهر باسم سلامة القس لحبه وولعه الشديد بها. فأراد يوما أن يشتريها من مالكها ابن سهيل، ولكن من سوء الحظ قد تم بيعها من قبل، وجن جنون حبها عليه، وعزم استردادها، فجمع مالا وذهب به إلى المدينة لشرائها، لكنه علم أن ابن رمامة قد باعها ليزيد بن عبد الملك في نفس اليوم. فلما يئس من هذا السعي أخذ يجول في شارع المدينة متذكرا إياها وسعيا لنيلها. حتى تغيرت حياته من الزهد والعبادة والتقوى إلى حياة حب وعشق، فهو يشتاق دائما إلى سماع صوت سلامة وغنائها العذبة إلى أن أصبح أقل صرامة وشدة وأكثر تفهما وتساهلا مع كل ما يحيط بسلامة من أجواء الغناء والطرب، وليس هذا فحسب بل لقد أخذ يقرض الشعر في حبها وصبابتها. فلما واجهه الطعن والانتقاد من قبل الناس قال مدافعا عن نفسه ومبررا سلامة منها:

يا قوم إني بشر مثلكم

وفاطري ربكم الفاطر

لي كبد تهفو كأكبادكم

ولي فؤاد مثلكم شاعر[١].

قدم لنا المؤلف من خلال هذه الشخصية خير مثال للحب العفيف الطاهر الذي لا يتجاوز من القلب إلى الجسد، ولا يؤدي إلى الانتحار عند الفشل والإخفاق فيه. فلما وقع في حب سلامة لم يتجاوز حدود الإسلام في حبها ونيلها، بل أراد أن ينال حبها ويتزوجها بطريقة جائزة حسنة. ولكنه عندما لم ينجح في نيلها والزواج بها، وّكل هذا الأمر إلى الله تعالى قائلا: " أجل انقطع كل أمل في صيرورتك في هذه الحياة الدنيا، أما في الحياة الأخرى فان الأمل باق يا سلامة، وانه لأمل كبير"[٢].

سلامة:

إنها كانت جارية من مولدات المدينة، نشأت وترعرعت في عهد الأمويين، ولما بلغت أشدها بيعت لرجل ثري من أثرياء مكة الموسوم بابن سهيل. وكانت تتلقي في بيته بكثير من الشعراء والمغنيين والمتغزلين، حتى مالت إلى الغناء والتغزل وقرض الشعر وأتقنت بها. كانت سلامة تخرج بشويهاتها إلى المرعى وتقضي معظم أوقاتها في الغناء والتغزل. وذات يوم لقيت جارية "جميلة" (المغنية الشهيرة) فتأثرت بها ومالت إلى الغناء أكثر مما تميل إليها من قبل. ومن خلال ذلك دعاها أبو الوفاء (أحد الشخصية الروائية) إلى تلاوة القرآن ومحافظة الصلوات والبعد عن سماع الغناء والتغزل قائلا إن الغناء من غواية الشيطان، فعليك أن تجتنب منها وتبعد عن سماعها، ولكنها لم تسمع إلى نصائحه بل رفضت ومالت إلى الغناء والتغزل، فعندما لم ينجح أبو الوفاء في ميلها إلى الدين وتلاوة القرآن ويئس منها باعها لآل رمامة. فأخذت

---

[١] علي احمد باكثير: سلامة القس، ص٩٠

[٢] نفس المصدر: سلامة القس، ص١٦٦

تسكن في بيت رمامة مائلة إلى الغناء أكثر مما قبل، حتى ازدادت شغفها بالغناء ولا سيما بسماع غناء جميلة (المغنية الشهيرة) إلى حد أنها كانت تحلم تلك الأغاني التي كانت سمعتها من جميلة في نومها، على نحو ما نعرف من الاقتباس التالي:

" وكانت تلك الليالي القصار التي أحيتها جميلة المغنية في دار مولاها نعمة كبيرة على سلامة إذ استطاعت وهي مستلقية على فراشها أن تستمع بألحانها التي كانت تترجع في سكون الليل كأنها نغمات الحر في قصور الجنان لم تتم سلامة ليلتها إلا قليلا بعد منتصف الليل، وكانت تحلم تلك الأغاني في نومها، ولم تكد مولاتها توقظها كعادتها من مطلع الفجر حتى ترنمت ببعضها خشية أن تنسى ما حفظت منها"[١].

تعد هذه الشخصية في الرواية كشخصية نامية، حيث أنها تتحول من حالة إلى حالة أخرى، تتحول من جارية تعمل وتخدم في بيت أبي الوفاء إلى راعية البهائم، ومن متعلمة الغناء لدى جارية "جميلة إلى معلمة الغناء والمتقنة لها، ومن تنافره لعبد الرحمان بن عمار القس إلى محبوبتها ومن هاربة عن مبادئ الإسلام إلى المحافظة عليه. كانت في البداية باعدة عن الدين ومنحرفة عن كل ما فرض الله عليها من الصوم والصلاة. ولكنها عندما لاقت عبد الرحمان بن عمار القس تغيرت حياتها إلى حد بعيد، فأخذت تحب الدين وتحافظ على الصلوات، وتجتنب عن الكبائر. ولعل المؤلف حاول من تقديم هاتين الصورتين المتناقضتين لهذه الشخصية أن يقدم لنا انتصار التقوى على الهوى والشيطان. بحيث أن سلامة كانت تحرض عبد الرحمان بن عمار القس إلى الغناء والتغزل وإلى كل ما نهى الله عنه، وهو على عكس ذلك يحرضها على محافظة الصلوات وإلى امتثال كل ما أمر الله به. فجرى الصراع بينهما حتى انتصر الحق على الهوى والشيطان.

بالإضافة إلى هاتين الشخصيتين الرئيسيتين نطلع في هذه الرواية على

---

[١] الأعمال الروائية لعلي أحمد باكثير، المجلد الأول، ص٤٠

شخصيات عديدة، تظهر عنها ثانوية، فان الرواية لم تتعمق في تصوير ملامحها وتبيين أفكارها، بل أنها تبدو ما تحتاج إليها في سياق أحداث الرواية. ومن أهم هذه الشخصيات شخصية أبى الوفاء الذي يمثل التشدد الديني. حيث انه كان صديقا لعبد الرحمان بن عمار القس. وهو دائما يحذر عبد الرحمان بن عمار القس عن لقاءات سلامة والتفكير عنها والانشغال بها، وينصحه قائلا: " إنك تعلم مالك من مكانة في الناس لصلاحك وتقواك وفقهك في الدين على حداثة سنك، حتى لقبك أهل مكة القس، واعتبروك بحق خليفة عطاء بن أبى رباح"[١]. وحاول المؤلف أن يقدم خلال هذه الشخصية الثبات على الدين والقيام به والعمل على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. وقد حاول المؤلف أن يشير من خلال تشدد هذه الشخصية على الدين وتمسكه في أحلك الظروف إلى موقف العلماء الربانين الذين يعطون اللينة والمرونة في التعامل مع الدين.

بالإضافة إلى هذه الشخصية نجد في الرواية شخصية أخرى، وهي شخصية ابن سهيل الذي هو خير تصوير لذوي النعمة والمال الكثير الذين يغدقون الأموال على اللهو واللعب. فعلى حد تعبير المؤلف: "ورث ابن سهيل مالا كثيرا عن أبيه، ونشأ نشأة النعمة واليسر. وكان محبا للغناء واللهو ومولعا بمنادمة الشعراء والمغنيين يستقدمهم من الآفاق ويغدق عليهم الأموال".[٢] وقد يمثل هذه الشخصية الوسطية في الإسلام، حيث انه كان يحافظ على الصلوات ويصوم رمضان ويطيع أوامر الله ويجتنب عن نواهي الله. ومع ذلك كان يعتقد أن سماع الغناء والاستمتاع به والإصغاء إليه أمر مباح. ويتضح لنا هذا الأمر بالوضوح من هذا المشهد الروائي:

" تهيأ عبد الرحمان للمشي فقال له ابن سهيل: " إلى أين يا ابن أبي عمار؟"

قال عبد الرحمان:" إلى المسجد".

---

[١] نفس المصدر، ص٣٦

[٢] نفس المصدر، ص٤٢

قال ابن سهيل: " ليس الآن يا بن عمار... لم يحن وقت الظهر بعد... هلم معي إلى المنزل فليس من الحق أن تمر بباب منزلي ولا تعرج عليه... اشهد مجلسنا اليوم فسيجتمع عندي طائفة من فحول الشعراء يتساجلون، وستسمع إن شئت من جاريتي سلامة غناء لم تسمعه في حياتك"[١].

إن الصراع الداخلي أفضل من الصراع الخارجي حيث يظهر لنا حقائق الأمور وخبايا النفس البشرية بصورة حسنة، فإذا لجأ علي أحمد باكثير إلى الصراع الداخلي ازدادت أهمية هذه الرواية إلى حد كبير. فالصراع في هذه الرواية صراع بين الهوى والتقوى، بين الجارية سلامة وانحرافها الديني وبعدها الخلقي، وبين عبد الرحمان بن عمار القس والتزامه بالأمور الديني وحرصه الشديد على الورع والتقوى. فاستطاع أن يعبر من خلال هذا الصراع المفضل عن القيم الأخلاقية والتعاليم الإسلامية مصورا جوانب اجتماعية وعاطفية كي ينصرف أنظار الشباب والجيل الناشئين عن قصص الحب والغرام الخادع الفاضح التي كانت تنشر في المجتمع العربي عن طريق ترجمة القصص الأوربية الحديثة، والتي كانت تهتم بوصف المغامرات الجنسية وكشف عورات النساء الفاحشة. ويقدم أمام الشباب والجيل الناشئين صورة صادقة للحب العذري العفيف دون التعمق في وصف المغامرات الجنسية وكشف عورات النساء الفاحشة.

تعتمد هذه الرواية على الرومانسية أكثر من اعتمادها على الأحداث التاريخية. بحيث أنها تجمع في طياتها جميع خصائص اللون الرومانسي من حزن مؤلم، وفراق طويل ونزعة مأساوية في نهاية الرواية بموت بطل. وهذه هي أهم سمات الرواية الرومانسية. ولذلك يعتقد بعض الأدباء أن هذه رواية تاريخية رومانسية. غير أنها تختلف تماما عن الرومانسية المفرطة في تصوير العلاقات الغرامية وتقديم حالات الحب والهيام الفاحشة، حيث أن الكاتب اعتمد فيها على الحب العذري العفيف

[١] علي أحمد باكثير: سلامة القس، ص٥٥

الطاهر، إذ انه صور الحب بين عبد الرحمان القس وبين الجارية سلامة دون التعمق في وصف المغامرات الجنسية وكشف عورات النساء الفاحشة، بل أنه يمر كمثل هذه المواقف بالإشارة إليها ووصفها بما يقتضيه الموضوع والفن. فإذا تحتوي على قصة عاطفية رومانسية لكن المؤلف لم يتجاوز الحدود الأخلاقية والإسلامية، بل أنه قيد نفسه في هذه المواقع على رؤية إسلامية نقية معتقدا أن الحب فطري في الإنسان وأنه مقسم بين الغني والفقير وبين الأبيض والأسود وبين الناسك والفاجر. وفضلا لذلك أن المؤلف يستخدم هذه الرواية كأداة التصالح بين الدين والفن وبين الحب والدين، حيث صور العلاقة بين الدين والفن خلال تقديم قصة حب بين عبد الرحمن بن عمار القس وبين الجارية المغنية سلامة. فكانت علاقتهما في بداية الأمر علاقة صراع وتنافر، وذلك لأن القس كان عابدا وزاهدا مائلا إلى الله وخائفا من الله، بينما كانت سلامة جارية بعيدة عن الدين ومائلة إلى الغناء والتغزل. وللتوضيح أنظر إلى الحوار التالي الذي يدور بين القس وأبي الوفاء حيث اعترف عبد الرحمن بن عمار القس أمام صديقه أبي الوفاء قائلا: "إنني وقعت في حب سلامة ولا أصبر عن رؤيتها والحديث معها، فاعتبر أبو الوفاء هذا الحب بهتانا: " فقال عبد الرحمان بهدوء: إنه ليس بهتانا يا أبا الوفاء. فنظر عليه الشيخ كأنه ينكر عليه قوله وقال:" معاذ الله أن يقع منك هذا يا ابن أبى عمار.

فسكت أبو الوفاء وهو يغالب عبرة تجول في عينيه ثم قال: إن تك قد وقعت في شيئ من ذلك فأنب إلى الله فان المؤمن إذا تاب الله عليه.

فقال عبد الرحمان بصوت متقطع: " لقد جاهدت لأصرف نفسي عن رؤية هذه الجارية وسماعها، فلم أجد إلى ذلك سبيلا.

قال أبو الوفاء: في وسعك لو شئت عن تنقطع عن دار ابن سهيل وتفرغ إلى صلاتك[1].

[1] د. حسن سالم هندي إسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث دراسة في البنية السردية، ص١١٥

إن بعض الدارسين يرون أن هذا العمل الأدبي يصلح أن يكون نموذجا رائعا في أدب الدعوة الإسلامية بالنظر إلى مضمونه وعنايته بالجوانب الأخلاقية الحميدة ومحاربة العادات الضارة. فلو انتزعت شخوص هذه الرواية أو استبدلت بها شخوصا أخرى غير شخوص التاريخ، لكانت الرواية هذه رواية واقعية اجتماعية لدلالاتها الأخلاقية التعليمية الدينية وتأكيدها على مجموعة القيم الإسلامية وإبراز علاقتها بين الرجل والمرأة وارتباطها بقضايا الإنسان من حب وألم وسعادة وشقاء. فقد عالجت هذه الرواية قضايا الحب والشوق والهيام والغرام متجنبة عن الكلمات الساقطة والعبارات الجارحة في وصف المرأة وحبها، بل أنها ارتكزت على القيم الأخلاقية في تصوير الحب والعشق.

لقد يعتقد بعض الدارسين الأدب ولا سيما الدكتور عبد الحكيم الزبيدي أن المؤلف حاول في هذه الرواية أن يمثل سيرته الذاتية على لسان شخصية عبد الرحمان بن عمار القس. بحيث يوجد التشابه وبطل الرواية في كثير من الملامح، مثلا أن كلا منهما نشأ وترعرعا في بيئة إسلامية محافظة على التمسك الديني، وكذلك هناك التشابه بين حب بطل الرواية لجارية سلامة وبين حب الكاتب لفتاة جميلة من عائلته. وقد واجه الكاتب كثيرا من المشاكل والأزمات للزواج بهذه الفتاة، مثلما واجهها بطل الرواية للزواج بسلامة، وكما لم يفلح بطل الرواية بالزواج لمعشوقته سلامة، وخابت كل محاولته للزواج بها، كذلك كان الكاتب يهوي لمحبوبته هند ويذكرها ويجذب حبها ويشتاق لقائها طول الحياة. إضافة إلى ذلك نرى التشابه بين حبهما وولعهما الشديد، بحيث كان الكاتب أيضا يحب هند حبا عذريا وعفيفا، حيث هو يريد أن يكلل هذا الحب بالزواج على سنة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم، كما يريد بطل الرواية عبد الرحمان بن عمار القس، وكما نشاهد بطل الرواية عبد الرحمان القس مقرضا الشعر في ذكريات محبوبته سلامة، كذلك نجد الكاتب يتذكر هند في قصائده الشعرية فمثلا يقول:

" حبيبة قلبي ما أرى العيش سائغا

بدون ارتحالي نحوكم ووصولي

متى نلتقي يا هند في بلدة الهنديا

ونبرد في ظل هناك ظليل[١]

فبهذا الاعتبار يمكن لنا القول إن المؤلف يتحدث في هذه الرواية عن تجربته الشخصية مختارا الحدث من التاريخ ومضيفا عليها من خياله ما زاد جمالا وتشويقا. انه لم يعتمد على كل ما نسجت حول هذه القصة في كتب المؤرخين، ولا كل ما جرت على ألسنة الناس من الأساطير والأحاديث، بل انه اختار منها ما يرى يناسب للرواية ويصلح لروعة مشاهدها ونمو أحداثها وتعبير أبطالها. فانه مزج هذه القصة بين الأخبار التاريخية والأساطير المتداولة وبين الخيالات البديعة والمهارات الفنية، مختارا من هذه وتلك، لتأليف تجربة شخصية في قالب رواية تاريخية رومانسية. كي يعبر خلالها قضية الحب العذري العفيف بين شباب المسلمين[٢].

وإن من أهم ما يلفت النظر في هذه الرواية هو القيم الأخلاقية التعليمية التي عبرت الرواية بتجربة شخصية، وصورت جوانب اجتماعية وطبقية، إلى جانب مضمونها التاريخي العاطفي الرائع الذي جعل المؤلف محورا لهذه الرواية. وأن الكاتب لم يهتم فيها التاريخ مثلما اهتم في الروايات الأخرى، بل إنما انتخب منها قصة الحب والعاطفة، وقدمها تقديما فنيا رائعا. حيث أن الحب لا يتجاوز في هذه الرواية من القلب إلى الجسد ولا يؤدي إلى الانتحار عند الفشل، بل جعل الكاتب هذا الحب أرق الناس قلبا وأغزرهم دمعا وأعلاهم خشوعا في العبادة وإقبالا على الطاعة، بسماته الفكرية وثقافته الدينية معتمدا على استخدام الوسائل الفنية من الشعر والغناء والحلم ومختارا من الشخصيات ذات الأفكار المتنوعة والأبعاد النفسية. وفي الأخير يمكن لنا القول إن الرواية تمتلك مقدرة فنية من حيث اللغة والأسلوب. وأنضج فنا

---

[١] د. أحمد عبد الله السامحي: حياة علي أحمد باكثير، ص٢٦

[٢] محمد حسن طبيل: تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، ص ٩١

من حيث تقديم الشخصيات والحوادث، وأجمل تعبيرا عن الرومانسية والواقعية الإسلامية. حيث استطاعت خلال معالجة قصة الحب والهيام تقديم الواقعية الإسلامية مستوحاة الأحداث من التاريخ الإسلامي العربي برؤية التاريخ والأبعاد الواقعية كي تخلق لدى القارئ استجابات، وتعطيه قوة الخيال والانفعال التي يجعل القارئ يعيش في التصور الديني.

المصادر والمراجع:

١- علي أحمد باكثير: سلامة القس، مكتبة مصر،١٩٤٥م

٢- ضحى علي فهد: علي أحمد باكثير وأدبه النثري، وزارة التعليم العالي بغداد،٢٠١١م

٣- محمد حسين طبيل: تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي، ط مكتبة نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا، غزة،٢٠١٦م

٤- د. حسن سالم هندي إسماعيل: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث دراسة في البنية السردية، ط دار الحامد للنشر والتوزيع/الأردن،٢٠١٤م

٥- د. أبو بكر البا بكري: روايات علي أحمد باكثير التاريخية مصادرها... نسيجها الفني... إسقاطاتها. موقع الأديب علي أحمد باكثير WWW.bakatheer.com

* * *

الاتجاهات المختلفة في القصة القصيرة العربية

د. عبد الرحمن واني
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

توصيف أحمد مير
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

الاتجاهات الأدبية هي النظريات والتيارات الأدبية التي ظهرت في العالم العربي إثر النهضة العربية وازدياد التبادلات الثقافية والمعرفية بين العالم العربي والغربي في أواخر القرن العشرين. وهذه الاتجاهات الحديثة أثرت عميقا في الأدب العربي وغيّرته قلبا وقالبا، فتجددت الأساليب والأشكال والمعاني. ومن بين هذه الاتجاهات الكلاسيكية، والكلاسيكية الحديثة، والرومانسية، والواقعية، والواقعية الاشتراكية، والرمزية، والحداثة وما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار. وقد اتجه الأدب العربي في مسيرة تطوره عبر العصور في القرن العشرين إلى كل من هذه الاتجاهات بداية من الكلاسيكية الحديثة إلى ما بعد الاستعمار١.

لقد حققت القصة المصرية القصيرة المعاصرة في الفترة ما بين بعد النهضة وحتى يومنا هذا تقدما ملحوظا نتيجة لتطورات التي شهدتها مصر بعد هجوم نابليون عليها في عام ١٧٩٨م، وتعددت ألوانها متأثرة بالمذاهب الأدبية التي ظهرت في تلك الفترة كالمذهب الرومانسي والمذهب التحليلي والمذهب الواقعي والمذهب الرمزي، وظهرت هذه المذاهب في القصة العربية في عدة اتجاهات وبخاصة في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي وتنوّعت من حيث الموضوع والفن في القصة القصيرة والرواية على سواء، ولكن هذه الاتجاهات القصصية لم تبلغ في وجودها قمة العلو في لحظة واحدة، بل تباطأت في سيرها في أولى مراحلها ثم مشت جنبا إلى جنب حتى وصلت مكان النضج والأصالة في الأدب القصصي وتبلورت مع مرور الزمن.

الاتجاه الرومانسي: لقد شهد القرن الثامن عشر تغيرا كبيرا في الأفكار الأوروبية، وشهد زوال الإقطاع وبداية التحول الصناعي، وقد برزت الطبقة الوسطى في الحياة العامة، وتطلعت إلى تغيير القوانين الاجتماعية لرعاية مصالحها، ومن هنا كان الاتجاه إلى الرومانسية ليس مجرد تعبير عن مذهب أدبي، بل هي تعبير عن نظام

اجتماعي وموقف ثقافي عام. وهي مرتبطة بمبادئ الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨م من التحرر والإخاء والمساواة"[٢].

وأما الاشتقاق اللغوي فالرومانسية والرومانتيكية والرومنطيقية كلها ألفاظ مستعربة، ووردت في الدراسات والبحوث الأدبية وكلها لفظة واحدة. وهي ليست من الألفاظ التي يسهل تعريفها. وقد ذهب النقاد فيها مذاهب شتى وبعضهم فقد أنكروا صلاح كلمة الرومانتيكية للدلالة على معنى واحد وواضح. وهي كلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية "رومانس" وهي القصة الخيالية ظهرت في القرون الوسطى. ويقال أيضا أنها كلمة مشتقة من كلمة رومانيوس (Romanius) التي أطلقت على اللهجات واللغات والآداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة. وهكذا اختلفت الأقوال في نسبة اللفظة الرومنطيقية واشتقاقها اللغوي كما يقول شيخ الرومانسية فكتور هيجو "إن كثيرا ما يخطئ الناس في تعريفها، وينبغي للناس جميعا أن يأخذوها على أنها الليبرالية في الأدب"[٣].

ويقول الأستاذ هارولد مارش عن الحركة الرومانسية في موسوعة الأدب العالمي "وما يسمى حركة رومانتيكية فيما جرت به العادة لم يبدأ إلا حوالي ١٨١٥م بعد سقوط نابليون وذهاب دولته، فقد كان الأدب والسياسة في فرنسا مترابطين إلى درجة لا نعلم لها مثيلا في الأمم الأخرى، فأصبح اصطلاح "رومانتيكي" وصفا مرادفا لليبرالي في واقع العمل والتطبيق"[٤].

وأما الآن فإن مصطلح الرومانسية يطلق على مذهب أدبي بعينه ذي خصائص معروفة، استخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوروبا في أعقاب المذهب الكلاسيكي، وكذلك على هذه الفترة وما خلّفت من إنتاج على المستوى الإبداعي. والرومانسي يرفض تقليد نماذج الأقدمين، ويريد أن يكون مخلصا لنفسه وأصيلا في التعبير عن مشاعره وقناعاته، وهو يقدم كيفية جديدة في الإحساس والتصور والتفكير والانفعال والتعبير"[٥]. وهكذا نشأت الرومانسية في الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ألمانيا ثم انتقلت

إلى فرنسا وإنجلترا، بل كانت طابع العصر كله حتى لقد سميت بمرض العصر.

يستمد الاتجاه الرومانسي التاريخي من البطولة أو المثل العربية القديمة أو أحداث التاريخ العربي أو الفرعوني أو المصري، أو يستلهم شخصية تاريخية معروفة أو يحوي أخبار العرب القدماء وأيامهم وسير أبطالهم. ويقول الدكتور محمد صالح شنطي في هذا الصدد "تأثرت القصة التاريخية بالمنظور الوطني فكانت الرؤية فيها مثالية رومانسية، اختلفت مناهجهم في كتابة القصة فبعضهم جعل من التاريخ خلفية لقصصهم واختاروا شخصية تاريخية معروفة، وكما اختلفت المناهج اختلفت الموضوعات أيضا فنجد أن بعض الكتاب يستلهمون التاريخ الفرعوني والبعض الآخر يستلهم التاريخ العربى"[٦].

وأما الاتجاه الرومانسي الاجتماعي فهو يتمثل العاطفة المثالية التي تنبع من النزعة الفردية وتتمرد على آفات الواقع موغلة في رومانسية العصر ولكنها لا تخلو من نقد المجتمع إطلاقا كما يقول د. محمد صالح شنطي واضحا خصائص الرومانسية "أن أهم خصائص الرومانسية هي تتمثل الدرجة الأولى في الاتجاه العاطفي المثالي الذي ينبع من التصور الذاتي في محاولة لتجاوز آفات الواقع والتمرد على سلبياته"[٧].

برز هذا الاتجاه في أول أمرها حينما اتجه الكتاب العرب والمصريون إلى الوضع الاجتماعي للمرأة في الإسلام وعند العرب، وفي المجتمع المصري المعاصر، سواء من الأرياف أو في المدن وخاصة بعد ثورة ١٩١٩م. واختلف الكتاب في مناهجه كما اختلفوا في موضوعاته واستمداد عناصره، فبعضهم اهتموا بالنزعة الفردية وتشبثوا بالخيال وبالمثل التي لا توجد في الواقع إلا قليلا، والبعض الآخر أخذوا نقد المجتمع سالكين الدعوة الإصلاحية مقتربين إلى الواقعية، ولكنهم لم يتجنبوا من الروح الرومانسية. وأما من حيث الموضوعات فنجد بينهم اختلافا، فمنهم من استلهم موضوعات الحب في الأدب العربي أو التاريخ العربي القديم، ومنهم من استمد عناصرها من قصص الحب العذري.

ومهما يكن من الأمر أن هذا الاتجاه في القصص القصيرة تمثل المجتمع المصري

أو العربي خير تمثيل متأثرا بالقصص الغربي الرومانسي إلى جانب أول نشأتها وخاصة بعد شيوع قصص بول وفرجيني، وسيرانودي وسواهم كما نجد عند إبراهيم المويحلي وفي كثير من قصص محمود تيمور وغيرهم. وفي الوقت نفسه يتبين لنا أنه تمثل الجانب العاطفي المفرط الموغل في الرومانسية إلى جانب آخر كما نجد عند المنفلوطي ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وثروت أباظة وغيرهم.

ونلاحظ أن كثيرا من كتاب القصة القصيرة الرومانسية كانوا ينتمون إلى فئة رجال القانون، ويعملون بالمحاماة أصلا ولا يكتبون القصة القصيرة إلا هواية وتقليدا لمحمود كامل المحامي الذي هو إمام كتاب الطبقة البرجوازية وكتب قصصه لإرضاء قراءه من الفتيان والفتيات للطبقة البرجوازية المترفة فقط إلا أنها لم تتخلص من ذاته كما كتب قصصا قصيرة مثل "في البيت والشارع" و"رسائل غرامي الأول" وغيرها. فكل هذه القصص تعبر عن نفسه أو ذكريات خاصة به وحده في زواياها إلى جانب معالجة القضايا للطبقة البرجوازية. وهكذا سار معه عدد كبير من الكتاب المعاصرين جنبا إلى جنب في تدعيم هذا الاتجاه وسيطرته على إبداع مرحلة بأسرها. ومن هؤلاء الكتاب أحمد شكري المحامي، وإبراهيم ناجى وأحمد عبد القادر المازنى"[٨].

واللون الأخر من الرومانسية هو يوتوبيا الفاشلين من المجين الوالهين، ويختلف هذا اللون عن اللون الأول اختلافا تماما، يغرق في الرومانسية ويستلهم من الخيال والوهم ويبعد عن الحياة الواقعية بوجه تام. ويعرض الدكتور سيد حامد النساج رأيه معبرا عنها ويقول "تزخر القصة المصرية القصيرة بعدد آخر من الكتاب يسرف في الرومانسية، ويعتمد اعتمادا أساسيا على الخيال والوهم، وينصرف انصرافا تاما عن الحياة الواقعية وتصور أشخاص ووقائع وأحداث لا علاقة له بمجتمعنا المصري على الإطلاق"[٩].

وبإمعان النظر في بعض من الدراسات يتضح لنا أن القصة القصيرة المصرية لم تكن تخلو من زخر بعدد آخر من الكتاب يوغل في الرومانسية، ويصور مواقف انفعالية منعزلة عن إحساسات الواقع بلغة شفافة موسيقية، وصور شاعرية

مقصودة لذاتها. وهؤلاء الكتاب كانوا في اتجاه الرومانسي العاطفي يستغرقون في الحب الأفلاطوني، فصاغوا القصص صياغة شاعرية مفرطة في الوهم والخيال ولذا لم تبلور هذا الاتجاه ولم يمتدّ تأثيره طويلا بل وقف عن حدّ هؤلاء الكتاب المذكورين ويقول محمود تيمور "والذي يطالع قصص هؤلاء الشبان يجدها تفيض بعاطفة الحب الجنسي، وكثيرا ما اتحدت المواضيع فيخيل إلينا أنهم نقلوا عن بعض... والحقيقة أنهم اعترفوا جميعا من نبع واحد، هو نبع الشباب، موطن الحب والمرأة"[١٠].

وأما الرومانسية الثورية، فهذا الاتجاه لا يعتمد على الخيال والوهم واللاسبيل إلى تواجد مثل يوتوبيا وليس هو ينفصل تماما عن المجتمع ويغرق في الطبقة البرجوازية، وإنما هو ينطبق على الواقع والحلم والخيال والتجربة العلمية في عمل فني رومانسي. وظهر هذا اللون من الألوان الرومانسية في قصص ما كتبت بعد الحرب العالمية الثانية، ومهد السبيل لتحوّل القصة المصرية القصيرة إلى الواقعية لأن الرومانسية قد طغت على النحو الذي ساد قبل ذلك الفترة فلم يأتي التغير في القصص المصرية القصيرة فجائيا، بل تتمشى القصة شيئا فشيئا متجهة إلى الواقعية حتى رسخت أقدامها في القصة القصيرة التي ما جاءت بعد الحرب العالمية الثانية.

وعلى مجمل القول إن القصة المصرية القصيرة لم تكن خالية من هذا اللون الفني الذي أدّى إلى طريق الواقعية فيما بعد. وأن عبد الرحمن الخميسي يلقب بإمام هذا اللون بحيث يرتبط بالرومانسية الثورية الواعية بدوره في المجتمع من ناحية الفن والأدب على حد سواء.

الاتجاه الو اقعي: الواقعية أدب العلم والإنسانية معا وممارسة لخدمة الإنسان تصور من الحياة ما يستحق التسجيل والتصوير وتناقص المثالية التي تجرد الحياة من جميع نقائصها ومثالبها محاولة تجميلها بعناصر الجمال والخيال والمثل العليا"[١١]. والواقعية هي كلمة مشتقة من وقع أي حدث ومنه الواقع والواقعية، تعنى معالجة المؤلف للأشياء والناس ومشاكلهم من وفق ما حدث ووقع في الواقع. الاتجاه الواقعي

يتصل بالحياة مباشرة ويلتزم بقواعد الشكل الفني وبطرق عيوب المجتمعات والمشاكل البارزة للطبقات.

ظهرت الواقعية كمذهب أدبي في مستهل النصف الثاني من القرن التاسع عشر في أوربا، ويعتمد هذا المذهب الاعتداد بالواقع الاجتماعي ورصده كما هو أو من خلال رؤية نقدية له. وقد كانت أعمال "شارلز ديكنز" البداية المبشرة بهذا الاتجاه في الأدب الإنجليزي رغم غلبة النزعة الرومانسية الحزينة على بعض أعماله، وأما في الأدب الفرنسي فقد كان "بلزاك" أكبر كاتب بلا منازع. أما الأدب الروسي فظهر فيه اسم الأديب "جوجول" كما كان القول الشائع "خرجت الواقعية من معطف جوجول" والمعطف هي قصة واقعية شهيرة لجوجول.

بدأت الدعوة إلى الواقعية في الأدب القصصي في مصر مع العقد الثاني من القرن العشرين بظهور محمود تيمور وعيسى وشحاته عبيد ومحمود طاهر لاشين ودعوتهم إلى مذهب الحقائق الذي يدعو إلى الخروج إلى حياة الناس العامة وتمثل آلامهم وآمالهم ومشاكلهم وقضايا المجتمع، أو بمعنى آخر ربط الأدب بالحياة برباط وثيق من أمشاج ووثائق تجعل منه صورة واقعية حية لا مخلوقا شائها غير مكتمل"[١٢]. وقامت هذه الدعوة بتأثير من تطور الطبقة البرجوازية المصرية، ومع ذلك لعبت ثورة ١٩١٩م دورا هاما في نشر دعوة الواقعية في الأدب القصصي العربي وفي تطور المجتمع المصري.

وهكذا كانت البيئة الفكرية والثقافية خلال هذه الثورة التي هيأت أذهان الأدباء وقلوبهم لتقبل هذه الدعوة الواقعية منهجا وأسلوبا. وبسبب ذلك شهد الأدب القصصي المصري في ذلك الوقت نتاجا أدبيا غزيرا يشير إلى الواقعية كما نجد تأثير هذه الدعوة في أعمال "يحيى حقي" و"نجيب محفوظ" و"توفيق الحكيم" وغيرهم. وكذلك جاء الاتجاه الواقعي بجهود "محمد تيمور" (كاتب ذو ثقافتين، ثقافة قومية عربية وثقافة غربية فرنسية) الذي أسّس بنيان القصة الواقعية بإصدار قصته "في القطار" في عام ١٩١٧م. إذ رأى انتشار الحركات التي تتمثل المجتمعات من ثورات على

الصعيد العالمي في معظم من الدول وأقام القصة في إطار فني بما احتوى على تصوير الشخصيات والحوادث وتحليل في الحوار ووصف عيوب الاجتماع.

وبذلك وضع الكاتب محمد تيمور بداية القصة القصيرة المحلية الممثلة للمجتمع على أساس التحليل الواقعي المبسط وأخرج أول مجموعة قصصية فنية ما تسمى بـ"ما تراه العيون" ولكنه لم يستطع أن يواصل الرقي بفنه من بيئته المحلية، ثم تابعه أخوه محمود تيمور الذى تأثر بالقصصيين الغربيين تأثيرا عميقا خلال دراسته في الغرب وأخذ أن يقلد منهج موباسان الذى وجّه واقعيته إلى الغايات القومية. وكان من نتائج هذا التأثير أن محمود تيمور اختار لنفسه لقب "موباسان مصر". وحين رجع محمود تيمور من الغرب كتب القصص الواقعية العديدة وجمعها في المجموعات من أمثال "الشيخ جمعة وقصص أخرى" و"عم متولي وقصص أخرى" و"كل عام وأنتم بخير" وغيرها.

لقد اعترف محمود تيمور نفسه بأهمية الواقعية في مقدمة مجموعة "الشيخ جمعة وقصص أخرى" حيث يقول "إنها تقصد إلى تصوير المجتمع بكل نقائصه وعيوبه ومحاسنه، وتختلف عن المثالية التي تهمل عيوب المجتمع وتهتم بمحاسنه فقط فيمكن أن تنتشر هذه العيوب انتشارا واسعا ومحوها سيكون مستحيلا جدا. وكذلك أعلن تيمور في نفس المقدمة أن المجتمع يحتاج إلى الأدباء الذين يصورون الحياة تصويرا صادقا ولو كان قاسيا ومؤلما، ولا يحتاج إلى الذين يخدعون عندما يصورونه تصويرا وهميا مليئا بالكذب"[١٣].

وبعد محمود تيمور تابعه في هذا الاتجاه المهندس "محمود طاهر لاشين" الذي حاول أن يعبّر في قصصه عن الشخصية المصرية في أصالة وصدق وأصدر ثلاث مجموعات قصصية "سخرية النائ" و"يحكى أن" و"النقاب الطائر". وكان طاهر لاشين مهندسا فانتهز هذه الفرصة ليجوب شوارع القاهرة وأزقّتها، ويحادث الناس ويراقب حركاتهم وأخلاقهم وعاداتهم، ويتعرّف إلى آمالهم وآلامهم. فعندما بدأ يكتب أقاصيصه نقل إلينا نفس الأشياء بطريقة فنية وبصدق شامل"[١٤].

وجاء بعد ذلك في الميدان الواقعي أخوان "عيسى عبيد" و"شحاته عبيد". أصدر عيسى عبيد مجموعته القصصية الواقعية "إحسان هانم" سنة ١٩٢١م تحت تأثير الطبيعيين الفرنسيين من أمثال "إميل زولا" و"بلزاك" وغيرهما. إنه نشر هذه المجموعة بمقدمة طويلة لفن القصة عامة وفن الواقعية خاصة، وانتقد القصصيين المثاليين الذين كانوا يعوقون تطوير الأدب القصصي الواقعي"[١٥]. ويقوم المذهب الواقعي على حدّ تعبير عيسى عبيد على دعامة الملاحظة والتحليل النفسي الراميين إلى تصوير الحياة كما هي بلا مبالغة أو تقصير أي الحياة العارية المجرّدة"[١٦]. ومثل إميل زولا حاول عيسى عبيد أن يكون موضوعيا في أقاصيصه ويلتزم الحياد التام لكي لا يرى القارئ الأحداث والتجارب التي تحدث عنها هو من عينيه وإنما يراها في حقيقتها كما هي في الحياة"[١٧].

وأما شحاته عبيد فإنه تأثر مثل أخيه بالواقعيين الطبيعيين وأصدر المجموعة الوحيدة لأقاصيصه "درس مؤلم" في سنة ١٩٢٢م وصوّر فيها الحياة العادية بما فيها من آلام وآمال تصويرا واقعيا. وبما أنه كان متحمسا للنهضة الاجتماعية إنه وجّه الواقعية بعد أن أخذها من الغرب، إلى الغايات الاجتماعية والأهداف القومية فملأ أقاصيصه بالمظاهر الوطنية المصرية الصادقة التي أشعلتها ثورة ١٩١٩م"[١٨].

وجدير بالذكر هنا أن جماعة من الأدباء تأثرت بالاتجاهات الغربية والقصصيين الغربيين ولاسيما القصصيين الواقعيين مثل "تورجنيف"، و"غوغول"، و"تولستوى" وغيرهم. وقد سميّت هذه الجماعة بالمدرسة الحديثة وجميع أعضاء هذه المدرسة حملوا لواء الاتجاه الواقعي ومن بينهم يحيى حقي وأحمد خيري سعيد ومحمود طاهر لاشين ومحمود تيمور وغيرهم. والتفت جميع أعضاء هذه المدرسة إلى الاتجاهات الغربية وتأثروا بالمناهج الغربية وأخذوا أن يصور الحياة البشرية صورة صادقة بكل ما فيها من المظاهر السلبية والإيجابية. وأخذ معظم أعضاء هذه المدرسة في بداية الأمر أن يترجموا القصص الواقعية الروسية إلى اللغة العربية وينشرونها في مجلة "الفجر" التي أسّسها أحمد خيري سعيد في سنة ١٩٢٥م، وشاركهم في هذه مرحلة

الترجمة بعض الأدباء الآخرين مثل حفني ناصف وعبد الفتاح القاضي وغيرهما وهم ليسوا من أعضاء هذه المدرسة.

الاتجاه الرمزي: احتلت الرمزية مكانة مرموقة في الأدب العالمي والعربي. الرمزية هي تجربة وجدانية وهي مذهب أدبي يتحلل من القيم الإنسانية ويعبر عن التجارب الأدبية الفلسفية من خلال الرمز والتلميح، نأيا من عالم الواقع وجنوحا إلى عالم الخيال، وبحثا عن مثالية مجهولة تعوض الشباب عن غياب العقيدة الدينية. ويقول د. حسن شوندي "ومن المستحسن أن نسميه المذهب الإيجابي لكي تتضح طريقته، ومعناه باختصار شديد التعبير عن المعاني الكامنة في النفس التي لا تستطيع اللغة بصورتها المعتادة الكشف عنها، ولذلك يعمد الأديب إلى استخدام إيحاء الكلمات وإيفائها وظلالها، ورسم صور ظليلة وتعبيرات مفاجئة، ليضع القارئ في دائرة الشعور الذي يحب أن يوصله إليه"[١٩].

إن الرمزية لم تكن تظهر في الأدب إلا في النصف الأول من القرن التاسع عشر بعدما حدثت في المجتمع الإنساني التغيرات المختلفة على الصعيد القومي أو العالمي. وكان أساسها الطابعى الاهتمام بتعبير عن علاقة الإنسان بنفسه والبيئة حوله، وهي مبنية على مثالية أفلاطون التي تنكر الظواهر المادية إلا أنها تقف وراءها العقل والتجربة.

الاتجاه الرمزي يستند إلى إبراز عالم الإنسان الداخلي وما يدور فيه من تحولات، ويتضمن الدلالات الرامزة كالإشارات الموحية والوجهات الدالة ولكنه لا يخلو من مواد الذي يعود إلى الوضوح والمباشرة كما يطوى بعض القصص كثيرا من التفاصيل كما تقول د. فاطمة الزهراء معرضة بعض القصص القصيرة تحليلا بها "وهناك نماذج من القصة القصيرة تضمنت بعضنا من أدوات الرمز كالإشارات الموحية والمواقف الدالة، ولكن ما يلبث الكاتب أن ينصرف عن ذلك الاستخدام ويتراجع عنه ليعود إلى الوضوح والمباشرة"[٢٠]. فإن الرمز في القصة كما يمكن لنا أن نقول هو القصة الأخرى التي تبدأ بعد أن تنتهي القصة، وتبدأ مرحلة التأمل والاستغراق في قراءة الدلالات.

واتسع مجال القصة القصيرة في مصر خلال الثلاثينات وتعددت نماذجها من تحدد معالم الطبقة البرجوازية المصرية في تشكيل اللوحة الاجتماعية ونشاط الحركة الوطنية، ثم وجد كتاب تلك الفترة في هذا اللون القصصي الفني أداة صالحة للتعبير عن تلك القضايا والأوضاع دون الخوض المباشر في مسائل السياسة والاجتماع والاقتصاد، ونبتوا غرسها في ظل ما تشتجر الأحداث الدالة الرامزة فيها. تركز القصة القصيرة على النقاط لحظة أو مشهد أو تجربة واحدة قصيرة دون الالتفات إلى التفصيل والأحداث ولهذا هي أقرب الفنون القصصية إلى الشعر وأقدرها على تحمل الرمز كما يقول د. عبد القادر القط "القصة القصيرة بطبيعتها تكاد تشبه القصيدة الشعرية لأن كلا منهما يعتمد إلى حد كبير على ذاتية الأديب وخبراته الشخصية وإن ظلت هذه الذاتية واضحة في القصيدة على حين تختفي غالبا في القصة القصيرة لما فيها من طابع قصصي"[٢١].

بدأ استخدام الرمز في القصة القصيرة منذ قصص محمود تيمور ويحيى حقي وعيسى عبيد وشحاته عبيد وغيرهم الذين تأثروا بأعمال القصصيين الغربيين مثل موباسان وإدجار ألن بو وجوجول وتشيكوف. ونجد بواكير القصة الرمزية عند عيسى عبيد في قصته "مأساة قروية" وعند شحاته عبيد في قصته "بين غزالتين" وفي قصة "همس الجنون" لنجيب محفوظ وعند يحيى حقي في قصة "مرآة بغير زجاج" وغيرها وإن تتفاوت في مناهجها وأساليبها. وفي الربع الأخير من القرن العشرين ظهر الأديب وائل نجدى يعلن في قصصه بتأثير المذهب الرمزي وأصدر العديد من المجموعات القصصية ذات التأثير الرمزي مثل قصة "انعتاق" و"الحلم" و"صراع". "وأما المجموعة القصصية "براءة" لوائل نجدى فهو يدخلنا إلى عالم الطفولة العذبة الذي يظل أفق ابتسام على مدى عمرنا كله، والكاتب يبنى قصته من مواد الواقع الحسية من الجميزة القديمة، الباب الخشبي، السمكة الفارة في ثنايا الماء، جميع هذه المفردات التي تشكل أفق الطفولة تنير وتسطع لدى الكاتب لدى كل صباح. والصباح هنا زمن رمزي لا ندري هل هذا الصباح؟ صباح الطفولة الذاهبة؟ أم صباح الطفولة

الباقية في مواجهة ظلام الحاضر"[٢٢].

وهكذا تمشت القصة الرمزية القصيرة معالجة قضايا إنسانية وواضعة معادلات فنية قائمة على الدلالة والإيحاء جنبا إلى جنب حتى تبلورت واكتملت عناصرها عند بعض الأدباء من أمثال نعمان عاشور والفريد فرج وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم. وهكذا سارت القصة الرمزية القصيرة حتى عادت من جديد إلى الوضوح بعد حرب عام ١٩٧٣م.

الاتجاه التحليلي: في النصف الأول من القرن التاسع عشر أخذ الكتاب الاعتماد على التحليل النفسي واكتشاف زواياها الذي أدّى إلى توجيه أنظارهم نحو النفس الإنسانية. وكان من نتائج ذلك أن ظهرت أنماط جديدة في القصة المصرية تبعا للانفعالات البشرية. وشهدت القصة القصيرة في مصر التحول والتغير عند بعض القصاصيين نحو التحليل النفسي في إبان المدّ الرومانسي، ولم يكن هذه الاتجاه مرحليا بل أصبح أبرز ميزة من ميزات القصاص إلى طوال سنين كما نرى جهود المازني والعقاد مصوغة بالتحليل النفسي وكذلك قصص محمود تيمور البدائية.

الاتجاه التحليلي يخضع لمعالجة مشكلات الأفراد النفسية والإنسانية الحية، ويدور حول الغرائز والاستعدادات الفطرية النفسية والمحركات السيكولوجية التي تأتى بالفرد إلى إدراك وشعور بانفعال خاص. ويكتب الدكتور سيد حامد النساج منهج محمود تيمور القصصي الذي فتح الباب لهذا اللون في مرحلته البدائية، واصفا بأن "يدور حول مشكلات الطبيعية الإنسانية والغرائز الجنسية والسيكولوجية وما إليها"[٢٣].

لقد ظهر هذا الاتجاه التحليلي من القصة المصرية القصيرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ اتجه الكتاب في قصصهم القصيرة نحو التحليل النفسي واهتموا به اهتماما بالغا. ونجد أن محمود تيمور قد اهتم في معظم قصصه القصيرة التي كتبها في المرحلة الثانية من حياته الأدبية منذ أواخر ١٩٢٨م بمعالجة مشكلات النفس الإنسانية وتدور قصصه حول الغرائز الجنسية والنفسية وغرائز حب

الاستطلاع، أو غرائز حب البقاء وما إلى ذلك. وبدأ ذلك بكل صراحة في قصص "أبو عرب" و"نجية ابنة الشيخ" و"المحكوم عليه بالإعدام" و"الرجل المريض"[٢٤].

وفي نفس الفترة اتجهت القصة القصيرة نحو الواقعية التحليلية بمساهمة فعالية لمحمود طاهر لاشين، حينما طوّر هذا الفن من الناحية الفنية كما ظهر من القصص التي جعل ينشرها في المجلات مثل قصة "القدر" و"الحب يلهو" و"تحت عجلة الحياة". وهي التي يبدو فيها وعيه البالغ بمقومات القصة الفنية القصيرة، ويعنى فيها بالإنسان من حيث هو إنسان بصرف النظر عن بيئته وجنسه وطبقته الاجتماعية كما أنه يؤكد تحليل نفسية البطل وتسليط الأضواء على جناح خاص من أجنحة الشخصية"[٢٥].

وكذلك نجد هذا الاتجاه عند إبراهيم المصري الذي كان الممثل الحقيقي لهذا الاتجاه في ميدان القصة القصيرة بما اهتم بتقنياته كل الاهتمام وبما استمر على ولائه منذ ١٩٣٣م إلى ١٩٦١م. وكان له ميزات خاصة في كتابة القصة القصيرة وتتميز بتحليل عواطف المرأة كأم وزوجة وبنت وما فيها من تفاوت وكما يعنى بعالم الطفل إلى حد كبير"[٢٦]. ففي مجموعة "كأس الحياة" يصور في قصة غيرة أم من بناتها وتصديها لخطابهن فينفرون من الأسرة كلها، وفي قصة أخرى تصوير لزوج حسي يجر معه زوجته المثالية، وفي ثالثة يتصل شاب بعانس تعويضا عن حنان أمه ولكنها تبعده عنها"[٢٧].

وعلى جملة القول إن هذا اللون ظهر في فترة الثلاثينات والأربعينات مقدّما بالتحليل النفسي، متناقضا للاتجاه الشائع للبرجوازيين، منحرفا عن المد الرومانسي، مقتربا من الاتجاه الواقعي بحيث فتح باب الواقع والحقيقة للأدباء القادمين في هذا المجال.

الاتجاه الفكري: ومن بين الاتجاهات الأخرى الاتجاه الفكري الذي نشأ أيضا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ونجد بداية هذا الاتجاه في الأدب العالمي حينما حدث التحول في الواقع من حروب وتنازع بين الشعوب والفرق، واتجه الأدباء

إلى أن ينهلوا من مشارب الفكر الذي يعتمد على الذهن والفلسفة. ومن المعلوم أن الأمة العربية قد شتت شملها وبدّدت عقدها وصارت نهبة للحكم الأوروبي أو الإنجليزي في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فاستعملت وحدة الفكر العربي وعالميته على تنازع السلطات والدولات.

يستنبط الاتجاه الفكري من الوعي الفردي بحيث يعبر الكاتب عن الشعور والوجدانية والانفعالية على سبيل حرية الرأي والتفكير كما هو أهمّ ميزات الحضارة المعاصرة كما يعرض الدكتور سيد حامد النساج رأيه حول الاتجاه موضّحا منهج يوسف الشاروني القصصي ويقول "فإن يوسف الشاروني قد اهتم بالقصة القصيرة اهتمام الكتاب المتخصصين فيها، لأنها تعبّر عن أزماته الفردية، ولأنها تتحمل وجهة نظره التي لم يجد وسيلة لتجسيدها إلا فيها، ولأنها أكثر الألوان الأدبية ذيوعا وانتشارا في العصر الحديث"[٢٨].

ويبيّن الكاتب توفيق الحكيم أهمية الفكرة في الكتابة قائلا "البلاغة الحقيقية هي الفكرة النبيلة في الثوب البسيط. هي التواضع في الزي والتسامي في الفكر، كذلك كان أسلوب الأنبياء في حياتهم، انظروا إلى "محمد" و"عيسى" على الخصوص، بساطة في الملبس وتواضع في المظهر، وسمو في الشعور والتفكير"[٢٩].

وكذلك يعرض يوسف الشاروني رأيه حول الفكرة ويقول "أنا أبدأ بالفكرة أولا... الفكرة تكون موجودة عندي... ثم أبحث لها عن الحادثة أو الشخصية التي نناسبها... ودراسات في الفلسفة هي التي أثرت في أن يكون لي هذا الاتجاه... وكل عنصر قصصي لديّ يخدم الفكرة الفلسفية أساسا... أسماء الشخصيات، وحتى وظائف الأشخاص تخدم الفكرة"[٣٠]. وكذلك شاركه في هذا الاتجاه الأدباء مثل مصطفى محمود وأدوار الخراط ومحمد أبو المعاطي وغيرهم وجميع هؤلاء الأدباء اهتموا بالاتجاه الفكري في قصصهم.

ومن حيث هذا الاهتمام يأتي يوسف الشاروني في القمة حيث اهتم بتعبير عن التفرد في قصصه القصيرة وأبدع اتجاها جديدا في بناء القصة القصيرة وشكلها الفني

كما في معظم قصصه مثل "مصرع عباس الحلو" و"نشرة الأخبار" و"الهذيان". فعالج فيها التشابك والتعقد حول العالم الغريب المزدحم بالقضايا والمشكلات وأجاد التعبير حيث لم يتمكن منه أحد كتاب هذا الاتجاه. وكذلك ظهرت مجموعة قصصية "حيطان عالية" لأدوار الخراط في هذه الفترة مركزة على فكرة واحدة وهي أن الفرد في هذا العالم غريب عن كل ما حوله. فملأت القصة بإحساس العزبة والشعور بالكآبة في فترة زمنية قصيرة دون التركيز على حدث الذي يسبب الاضطراب والتشاؤم.

وهكذا بلغ الاتجاه الفكري إلى القمة العالية بمجهودات هؤلاء الأدباء وخاصة بجهود توفيق الحكيم قبل الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب بجهود يوسف الشاروني وأدوار الخراط ومصطفى محمود وغيرهم حينما تأثروا بالحضارة الحديثة المتشابكة بالقضايا والمشكلات وقضايا الفرد والمجتمع وعبّروا عنها في قصصهم القصيرة وأجادوا فيها"[٣١].

ونرى بعد ذلك الاتجاهات الأخرى مثل الاتجاه الإسلامي والاتجاه الوصفي، أما الاتجاه الإسلامي فهذا يستند إلى الأدب الإسلامي الذي يترجم عن الحياة والإنسان والكون مبنيا على العقائد الإسلامية بحيث ينطق بفكر الإنسانية الداخلية وانفعالاته البشرية، وكان نجيب الكيلاني رائدا لهذا الاتجاه الإسلامي. وأما الاتجاه الوصفي فهذا ينبع من كون العلم بحيث يعبر الكاتب عن الظواهر الطبيعية على أساس المشاهدة وإجراء التجارب كما كان الطابع الرئيسي لهذا الاتجاه معالجة الاكتشاف الطبيعية من طريق المشاهدات والتجارب.

الهوامش:

١- عبد الجليل، مجلة كاليكوت، المجلد السادس، العدد الأول، يناير ٢٠١٦م.

٢- دكتور عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ص: ٧.

٣- Rocer Picard, Le Romantisme Social, Brentanos, 1944,. P 26.

٤- د. حلمي على مرزوق، الرومانسية، الواقعية النقدية، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 2005م ص ١٢-١٣.

٥- شبكة الألوكة، المذهب الرومانسي، ٢٠٠٩.٠٩.٢٤.

٦- د ,محمد صالح شنطي، الأدب العربي الحديث، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص ٤٠٨.

٧- نفس المرجع، ص ٤٠٧.
٨- المصدر السابق، ص ٥١.
٩- د. سيد حامد النساج، اتجاهات القصة المصرية القصيرة، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ص ٩٣.
١٠- المصدر السابق، ص ١٠١.
١١- الدكتور صلاح الدين تاك، نجيب محفوظ والرواية الواقعية، مؤسسة براون بوك للطباعة والنشر الخاصة المحدودة، نيو دلهي، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م. ص ١١.
١٢- الدكتور السعيد الورقي، مفهوم الواقعية في القصة القصيرة عند يوسف إدريس، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م ص ١٣.
١٣- محمود تيمور، مجموعة الشيخ جمعة وقصص أخرى، مقدمة، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٢٥م. ص٣.
١٤- عباس خضر، الواقعية في الأدب، دار الجمهورية بغداد، ١٩٦٧م. ص ١٣٥-١٣٧.
١٥- HAMDI SAKKUT. The Egyptian novel and its main trends, Daral- Maaref, Cairo-1971, p 85.
١٦- عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص ٧٨.
١٧- يوسف نوفل، الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م. ص ٢٢٨.
١٨- عباس خضر، الواقعية في الأدب، ص ١٦٢-١٦٣.
١٩- الدكتور حسن شوندي، الرمزية ومدرستها، ديوان العرب، ١١ يونيو ٢٠١١.
٢٠- د. فاطمة الزهراء، العناصر الرمزية في القصة القصيرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، ص١٤٥.
٢١- د. عبد القادر القط. قضايا ومواقف، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م ص ١٥.
٢٢- د. أمين تعليب، منتديات القصة القصيرة، أشكال الرمز في القصة القصيرة، ٢٢-٠٤-٢٠٠٥.
٢٣- الدكتورراشد البراوي، مشكلاتنا الاجتماعية، كلية التجارة جامعة فؤاد الأول، ١٩٤٨م، ص ١٤٥.
٢٤- المصدر السابق، ص ١٤٥.
٢٥- المصدر السابق، نفس الصفحة.
٢٦- المصدر السابق، نفس الصفحة.
٢٧- محمود حامد شوكت، الفن القصصي في الأدب المصري الحديث، دار الفكر الأدبى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٨٩.
٢٨- سيد حامد النساج، اتجاهات القصة المصرية القصيرة، ص ٣١٨.
٢٩- المصدر السابق، ص ٣١٢.
٣٠- المصدر السابق، ص ٣١٣.
٣١- المصدر السابق، ص ٣٤٦.

الشخصيات الرئيسية ومدلولاتها في قصص "النمور في اليوم العاشر" المنتخبة

د. شاد حسين
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

محمد أشرف مير
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة كشمير، سرينغر

مقدمة

إن الشخصية أحرزت أهمية رئيسية في الأجناس السردية في العصر الحديث، لا شك أنها ظلت من أهم مكونات فن القصة منذ أقدم العصور، غير أن التيارات الفكرية والفنية الحديثة مثل التيار الرومانسي والوجودي أرغمت الكتاب أن يهتموا بالفرد اهتماما بالغاً حتى تمكن لهم من أن يطبقوا آراءهم وأفكارهم في هذا المضمار، كانت الشخصية القصصية تعد عنصراً ثانويا بنسبة للعناصر الأخرى للعمل الفني من منظور المحاكات الأرسطية دون أي دلالات اللفظية أو المعنوية الأخرى في العصر القديم، فأصبحت معقدة في العصر الحديث تحمل دلالات السياسية والنفسية. [١] والشخصية القصصية صياغة لغوية للكاتب الذي صنعه لغاية التمثيل للقضايا المختلفة في المجتمع الإنساني، [٢] وأما الشخصيات في أعمال زكريا تامر البدائية (الأعمال قبل الهجرة) فتمثل معاناة الناس ومشاكلتهم باللغة التصويرية والإيجاز والأسلوب الشعري حتى يسمّي تامر بشاعر القصة القصيرة، [٣] توجد شخصية البطل فيها مغترباً دائما بسبب البيئة الخانقة الناجمة عن الحكم الأرستقراطي، فيبحث عن مواقع الحرية الذاتية وضروريات الحياة الأساسية والملذات الجسدية. وشخصية المرأة في هذه الأعمال تظهر ضمن دورها الثانوي وتدعم البطل الرئيسي في بحثه عن

---

[١] الدوش، صلاح أحمد. "الشخصية القصصية بين الماهية وتقنيات الإبداع". مجلة الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، مجلد٧، عدد ٢٠، (٢٠١٢) ص. ١٢٣ (ص ١٤٠-١٢١).

[٢] الصمادري، إمتنان عثمان. "زكريا تامر والقصة القصيرة". الطبعة الأولى، وزارة الثقافة عمان، الأردن، ١٩٩٥، ص ١٣٢.

[٣] صبري حافظ. "Pioneers of Modernism and the Retreat to the Inner". في مصطفي محمد البدوي. "Modern Arabic Literature". نيويورك، مطبعة جامعة كيمبرج، ١٩٩٢، ص٣٣٢

حوائج الحياة الأساسية. إن هذه المقالة تهدف إلى تحليل الشخصيات الرئيسية في إحدى المجموعات لزكريا تامر القصصية الشهيرة، وهي "النمور في اليوم العاشر"[١] المصدرة في ١٩٧٨م، مهتما بإبراز موقعها ووظيفتها في القصص والأهداف الأساسية التي يريد الكاتب أن يحققها.

تحليل القصص المنتخبة

إن "النمور في اليوم العاشر" مجموعة قصصية شهيرة ضمن أعمال زكريا تامر البدائية، قام فيها الكاتب بمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية التي يواجهها الناس ليس على المستوى المحلي فقط بل على الصعيد العالمي أيضا، وفيما يلي بعض القصص التي انتخبتها للتمثيل عن قصصه الأخرى في المجموعة .

قصة "*الثأر*":[٢] الشخصيات الرئيسية فيها "الأولاد"، الذين يلعبون فيها لعبة جديدة، حيث بدأوا يمثلون فيها شخصيات المجتمع مثل، مليونير والمخترع والطرزان ومخترع الطائرات. فهجم الأولاد على من يمثل مخترع الطائرات وبدأوا يركلونه ويلكمونه وهو يصرخ مستغيثاً؛ كما ورد في القصة: "فانقض الأولاد على مخترع الطائرات، وراحوا يصفعونه ويلكمونه ويركلونه بينما كان يصرخ معولا مستغيثا"(تامر٧). إن لشخصيات هذه القصة الدلالة السياسية التي تشير إلى اوضاع المجتمع المتدهورة الناتجة عن التوتر السياسي. تمثل الطائرة عند الكاتب علامة الحرب ويحدث على لسان الأطفال عن مسألة خطيرة جدا، كما تمثل الأعداء الذين ينزلون القنبلات على مباني الشعب العربي. وتمثل ملاكمة الأطفال الغيظ عند الشعب العربي السوري الذي حاول الكاتب إبرازه بطريقة تمثيلية، وتمثل شخصية الأولاد أيضاً الجيل الجديد الذي سئمت من سياسة البلد ووضْعها الحربي وسوف يقوم بمقاومة ضد النظام السياسي الفاشل داخل البلد كما أنه يقاوم العدو خارج البلد .

---

[١] مجموعة القصص لزكريا تامر. بيروت، دار الآداب، ١٩٧٨.

[٢] تامر زكريا. "الثأر". النمور في اليوم العاشر". بيروت، دار الآداب ١٩٧٨ ص٧.

قصة "*الجريمة*":[١] لا توجد شخصية البطل ملفوظة في هذه القصة فالكاتب يستعمل فيها ضمير المتكلم (أنا)، فهي الشخصية المجهولة التي تمثل فيها هموم الفرد والمجتمع، ويزعم بعض النقاد أن هموم الفرد عند زكريا تامر ذاتية جداً [٢]، ويعكس الكاتب فيها الصراع بين الطبقة المتوسطة والطبقة ذات السلطة. وحينما طلب البطل من أصحاب المصنع الإضافة في الأجرة الشهرية فلم يوافقوه وإنما رفضوا رفضا تاماً، وحاولوا إقناعه أن مطالبته هذه سيدعم العدو بطريقة غير مباشر، لأن الأجرة المضافة ستقلص التسهيلات لأصحاب السلطة فلا يتمكن لهم من مقاومة العدو لو هاجم على البلد، كما يقول: "وطالبتُ بعد أشهر قليلة بزيادة أجري ... فلو كنتَ قد حصلت على زيادة أجري، فلسوف ينقض مال الدولة (أجابه أصحاب المصنع) " (تامر ١٢). امتازت هذه القصة بالشخصية العمومية، [٣] لا نعلم اسمها ولا نعرف شيئاً عن نشأتها وزمنها وظهرت في العمل دون مقدمات سابقة .

قصة "*اصفاد الموتى*":[٤] سقط البطل المجهول فيها فريسة للحرمان عندما أبت حبيبته الزواج منه، لأنها لا تجد عنده مكانا وافرا حتى ((لدفن موتى أهله))، كما يقول في الموضع. "قالت المرأة:" أنا أحبك ولكنك من أسرة لا تدفن الموتى من أجدادها، فكيف تريد مني أن أحيا معك في بيت غرفة مليئة بالجثث؟" (تامر ١٤). تمثل شخصية البطل في هذه القصة قضايا اجتماعية وسياسية كما تمثل وضع البلاد العربية المتدهور الناجم عن الكارثات والنكبات المتكررة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، وتسعى البطل إلى الخروج من ضيق الحياة إلى سعتها وهي تحس في أعماقها القلق والاضطرابات العاطفية.[٥]

---

[١] تامر زكريا. "الجريمة". النمور... ١٩٧٨، ص ١٢

[٢] امتنان عثمان الصمادي."زكريا تامر والقصة القصيرة" عمان (الأردن) وزارة الثقافة ١٩٩٥، ص١٣٦.

[٣] المرجع نفسه. ص١٣٢.

[٤] تامر زكريا. "أصفاد الموتى". النمور .... ١٩٧٨، ص١٤.

[٥] نقشبندي، خالد. "زكريا تامر والأزمة الجنسيّة". دار الآداب (ص ٥٨-٤٨) ص٤٩.

قصة "*الوصية*":[١] فحاول الكاتب فيها تمثيل القضايا الاجتماعية التي تواجهها طبقة الشيوخ ويمثلهم الرجل الهرم الذي تعرض للمعاناة الاجتماعية طوال حياته. ووصّى أبنائه وأحفاده، لحظة احتضاره، أن ينغمسوا في السيئات وأن يقوموا بالفساد في حياتهم لأنه يرى أن يموت دون أن يترك لهم ما ينفعهم، كما ورد في القصة: "وقال لهم بصوت خفيض مرتعش آسف: "سأموت دون أن اترك لكم ما ينفعكم ... الحياة يا أولادي وأحفادي غريبة، فافعلوا كل ما هو سيء مشين، عيشوا فسادا في الأرض. لا تقولوا الصدق ... أكذبوا، تملقوا الاثرياء وذوي المناصب"(تامر ١٧). توجد هنا المفارقة فيما عليه أن يقول في لحظات أخيرة وما ذا يقول فعلا .

قصة "*يوسف.. يوسف الصغير الجميل الهالك*":[٢] قام الكاتب فيها بتمثيل وجهة النظر للأطفال ووظف فيها شخصية الأطفال الثلاثة، وهم سليم ومحمد وعدنان الذين يمثلون الطبقات الثلاث من المجتمع مثل الطبقة الفقيرة والطبقة المتوسطة والطبقة من صفوة المجتمع على الترتيب، وهناك الاقتباس من القصة: وضحك عدنان فجأة، وقال لمحمد وهو يشير إلى سليم : "أنظر، أنظر إلى قميصه". - "ما به؟". - "مهترئ ووسخ". فوجم محمد، ثم بادر إلى خلع ثيابه بحركات سريعة، فبدا قميصه الداخلي مرقعا باهت اللون (تامر ٢٦). لقي هؤلاء الثلاث عند بيت عدنان ولعبوا وسرقوا الفواكه في أحد البساتين وأخيرا ذهبوا الى النهر حيث حمل محمد وسليم صديقهما عدنان على النزول في النهر رغم مقاومته فغرق وهما ينظران اليه واجمين. أصبح عدنان ضحية لشراسة سليم وصديقه محمد، وهناك الاقتباس الآخر: "وفجأة قذف عدنان بجسده إلى النهر، وراح يضرب الماء بيده ورجليه بحركات جنونية، ثم صاح بذعر: " أني أغرق" فظل محمد وسليم يراقبانه وهما متجمدان في مكانهما بينما كان عدنان يغوص تارة ويطفو تارة أخرى" (تام ٢٨). إن هذه القصة تبدو متأثرةً بقصة القران واتخذ الكاتب عنوانه وشخصياته من سورة يوسف، فإكراه

---

[١] تامر زكريا. "الوصية". النمور ... ١٩٧٨، ص١٧.

[٢] تامر، زكريا. "يوسف... يوسف الصغير الجميل الهالك ". النمور.... ١٩٧٨، ص ٢٨-٢٠

الولدان عدنانَ على النزول الى النهر الذي غرق فيه، مثل فعل أخوة يوسف به عندما ألقوه في البئر، ربما يصور الكاتب وضع المجتمع السوري الذي خلا افراده من عواطف الحنان والشفقة.

قصة " *الفندق*":[١] الشخصية الرئيسية فيها إسماعيل أكرم الذي يشاهد الأحداث في الفندق مثل، صيحات المرأة التي جاء بها الرجال في الفندق وهي تصرخ مستغيثة، وفي مشهد آخر يشاهد الرجال يضربون شخصاً لاعتراف الجريمة المجهولة وغيرها، كما يشاهد المشاهدات الأخرى التي يريد الكاتب بها تصوير المدينة العربية الحديثة المبنية على أنقاض حقوق الإنسان، وصيحة المرأة تعكس العنف ضد المرأة واضطهادها في المجتمع الأبوي، وأما ضرب الرجال فيعبر عن سلب حرية الفرد، كما يقول الكاتب: "و تعالت ضجة انبثقت منها صيحات المرأة متقطعة مستغيثة ثم تلاشت رويدا رويدا، ولم يبق سوى اللهاث المحموم وانين المرأة"، وكذلك يقول الكاتب في المشهد الآخر "و أغمض عينيه،(إسماعيل أكرم) ليسمع بعد قليل رجالا يقولون بأصوات متوعدة: "سنضربك حتى الموت"... قال الرجل متسائلا : "أي جريمة؟!" فتعالت صيحة آمرة من أكرم: "اضربوه" (تامر ٥٠). ومن المهم أن زكريا تامر متأثر بالنظرية السريالية فتوجد بعض انعكاسات تلك النظرية الكائنة على ربط الحلم بعالم اليقظة وتصوير المشاهد المرهبة في هذه القصة كما يظهر من الاقتباس التالي: "وأهوى بالفأس على جثة الرجل الميت وقطعها الى قطع صغيرة ثم حملها الى المرحاض، وترك المياه تتدفق بعنف ويحمل معها اللحم الممزق. وتزايد

وهن أكرم، وقال لنفسه: " لم أفعل ما فعلت. أنا الآن نائم وما حدث مجرد حلم مزعج"(تامر ٥١).

قصة "*النمور في اليوم العاشر*" :[٢] هذه من روائع زكريا تامر. وفيها الشخصيتان

---

[١] تامر، زكريا. " الفندق". النمور.... ١٩٧٨، ص ٥٣-٤٧

[٢] تامر، زكريا. "قصة *النمور في اليوم العاشر*". مجموعة *النمور في اليوم العاشر*، ١٩٧٨، ص ص٥٨-٥٤

المحوريتان فهما: الرجل والأسد، وأتقن الرجل مهنة ترويض الحيوان فسجن الأسد وقام بمهمة ترويضه حتى جعله حيوانا مروضا أليفا، والأداة التي استعملها المروض هي "الجوع"، فأجبرت هذا الجوع الأسد على أن يغيّر طبيعته الفطري، مثل، أن يأكل العشب وأن يقلد مواء القطط ونهيق الحمار، كما ورد في القصة: "قال النمر : "أنا جائع" فضحك المروض وقال لتلاميذه : "ها هو قد سقط في فخ لن ينجو منه"... قلد النمر موائ القطط" ... "قال المروض : "مند اليوم لن تأكل سوى الحشائش"، ولما اشتد جوع النمر، حاول أن يأكل الحشائش، فصدمه طعمها، وابتعد عنها مشمئزاً، ولكنه عاد اليها ثانية، وابتدأ يستسيغ طعمها رويدا رويدا" (تامر ٥٨-٥٤). يعرض النمر للتدريب القاسي لعشرة أيام متواصلا، ثم اختفى المروض وتلاميذه، فأصبح القفص مدينة والنمر مواطنها في اليوم العاشر. إن في شخصية النمر والمروض دلالات سياسية فيمكن القول إن شخصية النمر تمثل الشعب العادي الذي يواجه سياسية الاستبداد على أيدي السطلة بينما يمثل المروض صاحب السلطة، أو يمكن تشريحها أن المروض يسعى أن يهذّب الناس ويحملهم على مواظبة الصمت والهدوء رغم أحوال قاسية حتى يتظاهر أن المدينة هي مدينه متحضرة يعيش الناس فيها مع امن وسلام، ودلالة أخرى لتوظيف "النمر" هي أن الوضع مليء بالأخطار. فإن النمور أشرس الحيوانات فلا الوفاء في ترويضه أو القبضة علية لمدة طويلة، لأنه قوي قادر على أن يرجع إلى طبيعته الفطرية الأصلية في أي وقت، كما يقول زكريا تامر نفسه عن معنى اختياره النمور لهذه القصة: "النمور يا عزيزي هو الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يعود إلى طبيعته الحيوانية في اية لحظة مهما حاولت أن تدعى ترويضه أو استئناسه في السيرك ... لذلك فإن قصة النمور في اليوم العاشر تعنى في المقام الأول أن الإنسان العربي سيعود إلى طبيعته الإنسانية الحقة ليصلح الأوضاع العائلية، ودليل على ذلك ما يحدث في فلسطين الآن".[١] يتضح فيما سبق أن النمر يمثل الشعب من حيث القوة

[١] الحوار مع زكريا تامر، موقع القصة السورية، جنيف، سويسر Retrieved online from: syrianstory.com/dialogues2.htm

والقدرة الشاملة، غير أنه لا يقاوم ولا يظهر قوته بل يخضع للحكم القاسي ويعذَّب كل يوم عُميا وبكما وصمًّا. وهناك شبه قريب بين زكريا تامر وجورج أورويل [١] في تمثيلهما للشعب بحيوانات، فقام أورويل بتمثيل الشعب المضطهد المقهور بالفيل الذي سمّاه بِ "بكسر"[٢] في روايته الشهيرة "مزرعة الحيوانات"[٣] حيث يعرض "البكسر" للعنف والقهر من قِبل حاكمه كما يعرض "النمر" للعنف والقهر من قبل مروضه في قصة تامر المذكورة اعلاه. وربما نستطيع أن نستنبط من هذه الشبه أن زكريا تامر استعمل ظاهرة التّناصّ (Intertextuality)، وهذه الظاهرة تدل على أن زكريا تامر كان متأثرا بتيار الحداثة الذي كان سائدا بشكل عام في نصف الثاني من القرن العشرين في الآداب العالمية.

نتيجة البحث

الشخصيات القصصية الموظفة والهدف المنشود منها فهو كما يلي:

- شخصية الأولاد في قصة "الثار"، حيث يمثلون الجيل العربي الجديد الذي هم بالثأر بالعدو الغاصب .
- شخصية البطل المجهول (أنا) في قصة "الجريمة"، الذي يمثل فيها الفرد العادي في المجتمع العربي وحاول الكاتب به إبراز الصراع بين الطبقة المتوسطة والطبقة ذات السلطة .
- شخصة البطل المجهول في القصة "أصفاد الموتى"، أصبح البطل فيها فريسة للحرمان ولم ينجح أن يتزوج المرأة التي عشقها، فقام الكاتب فيها بإبراز سياسة البلد القمعية التي رفضت للفرد حقوقه وتسبب للبيئة الخانقة .
- شخصية الهرم في القصة "الوصية"، تعرض الشخصية فيها للفقر والبطالة

---

[١] جارج اورويل (George Orwell 1903-1950)

[٢] بكسر. (Boxer). يوظّف رمزية للطبقة الكادحة الروسية التي ساعدت في الإطاحة بالقيصر نيكولاس وتأسيس الاتحاد السوفيتي. ويوصف بأنه ساذج وقوي.

[٣] مزرعة الحيوانات. (Animal Farm). روايه شهيرة لجورج أورويل، طبعت أول مرة في ١٩٤٥م.

والحرمان طوال حياتها، فلا يرى بأسا في توصية أولاده بفعل السيئات والانغماس في المكروهات.

- شخصية يوسف في قصة "يوسف، يوسف الصغير الجميل الهالك" الذي استمده الكاتب من القصص القرآنية وحاول فيها إبراز الصراع بين الطبقات المختلفة في المجتمع كما قام بإبراز فقْد عواطف الشفقة والرحم في المجتمع .
- شخصية إسماعيل أكرم في قصة "الفندق"، الذي يمثل فيها الرجل العادي المثقف، وقام بها الكاتب بإبراز الظروف الاجتماعية السائدة في البلد، وتتميز هذه القصة بإظهار الأفكار السريالية التي تأثر بها الكاتب
- شخصيات النمور والمروّض وتلاميذه في قصة " النمور في اليوم العاشر"، فهي الشخصيات اللاتي تحملن الدلالات السياسية فتمثلن بصورة شاملة سياسة البلد القمعية، وتتضح من هذه القصة أن زكريا تامر يشبه جورج أورويل في تمثيل الشعب بطريقة رمزية.

أخيرا وليس بآخر إن الهدف الأساسي عند زكريا تامر في هذه المجموعة هو إبراز القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تواجه الناس على وجه العموم والشعب السوري على وجه الخصوص الذي أصبحت فريسة للعنف السياسي في القرن العشرين، فهذا الشعب يعاني مكوّناته المختلفة أشد المعاناة وأزعجها، وقد شاهد البلد من خلال هذه الفترة الاضطرابات السياسية المتكررة ولا يزال يشاهد.

* * *

تطور المسرحية العربية الجزائرية المعاصرة وأهدافها المجتمعية.

د.شاد حسين
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة كشمير، سرينغر

ارشد محمود
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

التقديم

أحرزت المسرحية أهمية بالغة في الآداب العالمية منذ العصور القديمة، وأما الأدب العربي فهي تعد من أهم أنواعه في الآونة الأخيرة، فقد وردت في الأدب العربي الحديث مبتدئة من التعريب والترجمة كشأن سائر الأجناس الأدبية الحديثة من أمثال الرواية والقصة القصيرة بعد اتصال هذا الأدب بالآداب الغربية. واتفق معظم النقاد ودارسوا الأدب على أن الدولة الجزائرية لها مساهمة بارزة في تطوير هذا النوع من الأدب ولكنها لم تنل مكانة لائقة مثل ما نالت الدول العربية أخرى مثل مصر ولبنان. فيهدف هذه المقالة إلى المسرحية الجزائرية مشيرا إلى الأطوار المختلفة في نشأة هذا النوع من الأدب في الجزائر وإبراز جميع جوانبها الإبداعية مع توضيح الأسباب والدوافع التي ساعدت في تقديمها إلى ذروتها العالية من حيث الفن والأسلوب.

الإرهاصات الأولى في المسرحية الجزائرية

بدأت المسرحية في الجزائر مع الفنون الغربية الشعبية مثل فن "خيال الظل والقراقوز" وهذا الشكل المسرحي كان يوجد ويشاهد في القرن الخامس عشر في الجزائر قبل دخول العثمانيين، ثم إذا أطاعت آراضي الجزائرية لحكم العثمانيين عام (١٥١٨) وتأثرت الدولة الجزائرية بالثقافات الجديدة وعرف الشعب الجزائري أنواعا أخرى من ثقافية جديدة للفرجة، وقدّموا بعض أشكال المسرحية على خشبة المسرح مثل فنون الرقص المتنوعة، والكاولية، والسماحة، والسير الشعبية والمقامات، وحفلات الذكر مع خيال الظل والقراقوز. وفي عام ١٨٣٠، ظهر حكم الفرنسيين ظهورا تاماً في الجزائر، وبذلوا جهودا لإيصال رسالتهم الحضارية والثقافية، وكان المسرح من أهم الوسائل، ثم اذا عرف الفرنسيون بالثقافة الجزائرية، وقدّموا النص الأول لمسرحة " الجزائر" عام ١٨٥٠، وعُرض على المسرح عام ١٨٥٣م عرضا

داراميا باللغة الفرنسية وهي تصوير للانتصارات الفرنسية ما بين ١٨٣٠و١٨٥٣م. وفي نفس العام كتب إبراهام دانيسوس الممثل الجزائري مسرحية "نزاهة العشاق في مدينة ترياق في العراق " في اللغة العربية على غرار الموشحات الأندلسية في أسلوب شعري إضافة إلى توظيف الأساطير الشعبية مشتملة على قصة خيالية في مدينة العراق.

تأثرت البيئة الجزائرية بالحضارة والثقافة الفرنسية فيقول نورالدين عمرون بهذا الصدد: "الكثير من الممارسين للمسرح الناطق بالعربية والعامية تعلموا في المدارس الفرنسية واستوعبوا ما تحصلوا عنه من مقتطفات المنهج التربوي حول المسرح، وكانوا يدخلون المسارح ويشاهدون العروض المسرحية، ويتذوقونها كفن بأنواع الدرامية التراجيدية والكوميدية"،١.

و في العهد الفرنسي عرضت عدة أشكال المسرحية على المسرح في بلاد الجزائر المختلفة مثل مسرحية "خيال الظل" و"القراقوز" وغير ذلك التي ذكرتها آنفا، وكما قالت ارلت روث(Arleeta Roth) الناقدة والكاتبة الفرنسية في هذا الصدد: "ان بعض الباحثين شاهدوا خيال الظل في الجزائر عام (١٨٣٥)". يتأكد هذا قول بتصريح الناقد الجزائري الشهير أحمد بيوض فيقول بهذا الصدد: "بشهادات بعض الرحالة الذين شاهدوا المسرحية القراقوز في أماكن مختلفة في الجزائر "، وكذلك يقول الناقد الأماني "مالستان" (Malastan)" انه شاهد هذا المسرح في قسنطينة ١٨٦٢م"٢.

و في مطلع القرن العشرين نشأت وترعرعت المسرحية الجزائرية في ظل الفرقات والجمعيات والنوادي الأدبية حيث ظهرت فرقة "سليمان القرادحي" التي كانت أول فرقة أدبية في الجزائر سنة (١٩٠٨م) وبعد قيام هذه الفرقة أخذ الناس والأدباء يتوجهون إلى المسرحية قراءة وكتابة وتعريبا حتى اطّلع الأمير خالد على المسرحية وأهميتها لإيقاظ الجمهور، ورفع صوته في كل القنوات الممكنة في المحافل والمجالس، حتى حضر الأمير في حفل عشاء إقامة جورج أبيض وطلب أن يبعث له بعض المسرحيات العالمية التي وصلت إليه من القاهرة فأتى به وعرض له، مسرحية

"ماكبث " لشيكسبير ومسرحية "المروءة والوفاء" لخليل اليازجي ومسرحية "شهيد بيروت" لحافظ إبراهيم .فعندما وصلت إلى أمير خالد هذه المسرحيات، فبدا له أن يؤسس جمعيات أدبية، حتى أسس ثلاث جمعيات أدبية التي عقدت في العاصمة والبلدية والمديرة، فقد عرضت مسرحية "ماكبث" في جمعية العاصمة، بقيادة قدور بن محى الدين حلوى عام (١٩١١م) وأسندت جمعية بلدية برئاسة محى الدين حدّة فقدمت مسرحية "ماكبث" أيضا، وجمعية مديرة التي عقدت برئاسة محمد ابن قاضي المؤمن ومثّلت مسرحية "المروءة والوفاء" وهناك جمعيات أخرى كجمعية الوحدة الجزائرية التي أسست بقيادة الأمير خالد عام (١٩١٨) وعرضت مسرحتين مسرحية" في سبيل التاج "و"غفران الأمي" وجمعية المهذبة وأنشأها" على طاهر الشريف" سنة (١٩٢١م) وهذه الجمعيات تعدّ الإرهاصات الأولى لتمثيل العربي في الجزائر.

ويتّفق جُلّ الباحثين والدارسين لتاريخ المسرحية الجزائرية على زيارة فرقة "جورج ابيض" (١٨٨٠-١٩٥٩) عام ١٩٢١م، وهذه الزيارة تعدّ أول محاولة بنشأة المسرح الجزائري نشأة فنية أدبية"٣. ومثّلت هذه الفرقة مسرحتين تاريخيتين باللغة الفصحى أمام الجمهور الجزائري هما مسرحية "صلاح الدين أيوبي "و مسرحية "ثأرت العرب" لنجيب الحداد ثم وصلت فرقة "عزالدين "المصري في الجزائر، فقامت بعرض مسرحيتين لشيكسبير، مترجمة إلى اللغة العربية الفصحى، وهما "يوليوس قيصر" و"روميو جوليت" ولتقديم هذه المسرحيات أخذ الناس يتشوّقون إلى المسرحية حتى وقعت على البيئة أثرا واضحا على محبى المسرحية في الجزائر.

مرحلة النشأة الفعلية للمسرحية الجزائرية

إن المسرح الجزائري ظهر في شكل الكتابة عامة (١٩٢٦)م، وكتب،على سلالي، في أول وهلة مسرحية "جحا" باللغة العامية، وكان هو الرائد الأول للمسرح في الجزائر، وقدّمت "الفرقة المطربية" هذه المسرحية على خشبة المسرح في نفس العام، وتأثر صاحبها بالمسرح الفرنسي، وهي مستوحاة من المسرحية "مريض الوهم" لموليير

الفرنسي، وهي نقطة تحول لمسار الكتابة المسرحية الجزائرية، على حد تعبير نور سليمن حيث يقول: "رائد من رواد المسرح الجزائري علالو(على سلالي) والذي كتب مسرحية "جحا" سنة ١٩٢٦م والتي كتبت باللهجة العامية، فلاق مسرح "جحا" نجاحا هائلا لأنه كان يقدم صورا انتقادية مضحكة للحياة اليومية"،٤. وألّف على سلالي العديد من المسرحيات بعد هذا، فوجد موضوعات مسرحياته من التراث الشعبي والف ليلة وليلة، ومنها مسرحية "أبو الحسن" و"زواج بوعقلين"(١٩٢٧)و"الصياد والعفريت (١٩٢٨) و"الخليفة والصياد" و"حلاق غرناطة " (١٩٣١)وغير ذلك .

ثم برز الممثلان الآخران في هذه الفترة فالأول: "رشيد القسنطنى" (١٨٨٢-١٩٤٤) والثاني: "محي الدين بشطازري" أما الأول فانه كان ممثلا كوميديا، والّف عدّة المسرحيات الكوميدية وهي "العهد الوافي" (١٩٢٨) و"بابا قدور الطماع "(١٩٢٩)، و"زغيريان" (١٩٢٩م) و"ثقبة في الأرض"(١٩٣١م) "الله يسرنا" (١٩٣٣م) و"يا رأسي يا رأسها" (١٩٣٦م). وأما الثاني "محي الدين بشطارزي" فكتب كثيرا من المسرحيات التي تلقى الأضواء على الأحوال الاجتماعية والسياسية في الجزائر ومن أهمها: مسرحية "على النيف" و"بورزيعي في العسكرية" (١٩٣٢)، "الخداعين" (١٩٣٧م).

والجدير بالذكر، أنه كتبت في هذه الفترة شتى المسرحيات على موضوعات مختلفة، والمسرحيات التي قدمت في هذه الحقبة كانت مشتملة على الصور الصادقة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والقضايا المتنوعة المعاصرة في الجزائر مثل مسرحية "زواج بوعقلين" (١٩٢٧م) ووهي مسرحية هزلية تشمل على الواقع الاجتماعي الجزائري، ومسرحية " العهد الوافي" و"العالم بالخطأ" (١٩٢٨م) وهما حول الموضوعات الأخلاقية والإنسانية، ومسرحية "زواج بوبرمة" التي تعالج قضية أخلاقية زوجية، وغيرها. وبعد ذلك أخذ الأدباء يكتبون المسرحيات ممثلين المجتمع الجزائري وأزماته السياسية والاقتصادية ومشاكله الاجتماعية من الفقر واليأس وعدم التيقن على أرباب الحكومة وقسوة الحكام على الطبقة الفقيرة والمستضعفين من الناس حتى وصلت المسرحية الجزائرية إلى الطابع الفني والأدبي على أيدي هؤلاء

الكتاب والأدباء. يصرح أحد النقاد الجزائري بوعلام رمضاني قائلا: " أما أشهر رجال المسرح في هذه الفترة فهم رشيد القسنطيني الذي تعلق به الجمهور، حتى شابلين الجزائر وإلى جانب القسنطيني كان هناك علالو وهناك شخصية أخرى تتمثل في محي الدين باشطارزي"٥.

خلال الحرب العالمية الثانية عاشت المسرحية الجزائرية بين تغير سياسي واجتماعي وثقافي، واعتبرت هذه المرحلة من أخصب المراحل من حيث التأليف والعروض والترجمة. وأسست كثيرا من الفرق المسرحية لنشأة المسرحية في الجزائر، فأُنتخب محي الد ين بشطارزي مديرا متصرفا بقسم المسرح بالنطق بالعربية، وقامت فرقة "مسرح الجزائري" (١٩٤٦ م) برئاسة مصطفى كاتب، وفرقة "هواة التمثيل العربي"(١٩٤٧م) التي أسسها محمد الطاهر، وفرقة "المظهر القسنطيني " (١٩٤٨ م) وتأسست على يد احمد رضا حوحو و"مسرح الغد" (١٩٤٩م) بقيادة رضا الحاج حمو، فرقة "المركز الجهوي للفن الدارمي" (١٩٤٩م) تأسست على يد مصطفى غريبي.

تعدّ هذه الفترة من أغنى الفترات في التاريخ المسرح الجزائري قبل الاستقلال حيث أُلفت العديد من المسرحيات الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية تحت رئاسات وقيادات من هذه الفرقات الأدبية، مثل مسرحية "الناشئة الهجرة "و "الخنساء" و"بطل قريش" (١٩٤٧ م) لمحمد صالح رمضان، و"المولود النبي" (١٩٤٨ م) لعبد الرحمن جيلاني، وهذه المسرحيات الدينية كانت تعبر فيها الشخصيات والواقعات الدينية مثل الهجرة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وشخصية خنساء وما إلى ذلك، ومسرحية "حن بغل"(١٩٥١ م)لأحمد توفيق المدني، و"الكاهنة" و"ليالي هارون رشيد" تدور شخصيات هذه المسرحيات حول أحقاب التاريخية الجزائرية، وكتبت بعض المسرحيات الاجتماعية حول موضوعات مختلفة عن المجتمع الجزائري ومن أهم المسرحيات "الصحراء"(١٩٥١م)لمحمد الطاهر الفضلاء، و"قائد النساء" و"زواج العقونة"(١٩٥٢م) تشمل هذه المسرحيات على قضايا المرأة الجزائرية

وبعض المسرحيات تعالج تدهور الأخلاق في الجزائر بسبب الظروف الاجتماعية كالفقر والبطالة والسحر والمكر وغير ذلك.

نشأت المسرحية الجزائرية خلال الفترة ١٩٥٤-١٩٦٢م في المهجر، فسافر كثير من الممثلين الجزائريين إلى تونس ومدن الأوروبية المختلفة بشكل فرقات وجولات فنية برئاسة مصطفى كاتب الممثل البارع الجزائري، وقد رفعوا أصواتهم في الدول المجاورة خاصة في تونس وليبيا وصوروا في تمثيلاتهم المشاعر ضد الاستعمار الفرنسي ودعوا سكان الجزائر للثورة ضد المستعمرين. وتقوم الكاتبة الجزائرية الشهيرة بإبراز النشطات الأدبية المعمقة لتحرير الجزائر من قهر الاستعمار الفرنسي فتقول: " فتكون بذلك الثورة حاملة رسالة الجزائريين إلى مختلف أنحاء العالم، وكثير من البلدان حيث اكتسبت القضية الجزائرية المزيد من التأييد الدبلوماسي فاستعمر نشأة فرقة الجبهة التحرير الوطني خارج البلاد"٦. فعلى سبيل المثال قدم كاتب ياسين مسرحية "حلقة الضغط والإرهاب" لنيل هذا الهدف وفي هذا الصد يصرح سعاد محمد خضر فيقول: " وبأسلوبه الرائع والتعبير الأصيل والملئ بالصور، وبانتقائه الألفاظ الموحية صور ياسين مختلف أنواع الاستعماري والإرهاب والظلم والتعسف الذي عانى منه الشعب الجزائري كله"،٧.

المسرح الجزائري بعد الاستقلال (١٩٦٢-٢٠١٠م)

فى عام ١٩٦٢م، تحرّرت أرض الجزائر من الاستعمار الفرنسي، وعرفت المسرحية الجزائرية عهدا جديدا كفنون أدبية أخرى ودخلت عدة موضوعات في هذا الفن كقضايا المرأة، والبطالة، والعادات، والأعرف الصالحة. وتعتبر هذه الحقبة العصر الذهبي والإبداع الفني للمسرحية الجزائرية ونشأتها نشأة واضحة من أعمال الكتّاب المسرحي من أمثال، عبد الحليم رايس، مصطفى كاتب، ابن عبد الرحمان كاكي، عبد القادر علولة، كاتب ياسين وغيرهم الذين كتبوا كثيرا من المسرحيات الوطنية، مثل مسرحية " أفريقيا قبل السنة"(١٩٦٣ م)، و"ديوان القراقوز" (١٩٦٥م)، و"القرب والصالحين" (١٩٦٦م) و"الشيوخ " (١٩٦٨م)، و" كل واحد

وحكمه"(١٩٦٧م)، و "ما قبل المسرح" (١٩٦٤م)، وغيرها لعبد الرحمان كاكي، الذي كان ممثلا بارزا في الجزائر. واهتم في مسرحياته بالحلقة اهتماما كبيرا معتمدا على أن الحلقة وسيلة من الوسائل الانتقادية للمظاهر الاجتماعية وذاكرتها البشرية. ويؤكد الكاتب الجزائري بوشيبة عبد القادر على أهميتها الاجتماعية قائلا: "فهي تعمل على ترسيخ القيم الاجتماعية وتوثيق العلاقات بين مختلف القبائل من خلال دعوتها إلى نشر السلم والأمن بينها" كما تقول بوعلام بهذا الصدد: "أصبح للحلقة مفهوم خاص في الذاكرة الجماعية فعدت رمزا للتواصل والاتصال بين مختلف الشرائح الاجتماعية، من حيث مميزاتها وطقوسها وشخوصها وجمهورها وأسلوبها الخاص في التعبير وطريقتها في التأثير على الملتقى بواسطة التلوينات الصوتية عند الحلايقي والأناشيد الشعرية وحركاته البهلوانية، فحافظت على عروض الحلقة كشكل تعبيري على الخصوصيات الثقافية لأي مجتمع من المجتمعات"٨،. والشيئ المهم الذي نجد في مسرحيات عبد الرحمان كاكي هو أنه أدخل في المسرحية الجزائرية التقنيات المعاصرة متأثرا بأعمال الكتّاب البارزين العالميين مثل "بر يخت الماني، جوردن كريج، أمير خالد الجزائري" وهذا التأثر يرجع إلى العوامل المختلفة، وكاكى يعتبر هذه العوامل أساسا في مجال المسرحية كي يعالج بها أهم القضايا الجزائرية مستخدما هذه التقنيات الحديثة والمعاصرة حتى نجح في تطوير المسرحية الجزائرية نجاحا باهرا لا بأس بها.

.وجاء بعد ذلك أديب آخر وهو كاتب ياسين الذي ساهم في مجال المسرحية الجزائرية مساهمة قيمة وكان كاتب ياسين أحد علم من أعلام الكتاب الذين خرجوا ضد الاستعمار الفرنسي، انه ألف العديد من المسرحيات الجزائرية حتى بلغت المسرحية بيدي هذا الأديب إلى ذروة الكمال والنضج، ومن أهم مسرحياته مسرحية "الجثة المطوقة"(١٩٧٩م) و"الرجل صاحب النعل والمطاطي"(١٩٧٩م) و"فلسطين المغدورة "(١٩٨٠م) و"سلطان الغرب" (١٩٨٠م)،و "صوت النساء"(١٩٨٠م) انه كان يختار موضوعات لمسرحياته من مجالات قومية واجتماعية وسياسية وأخلاقية، كما

أنه كتب أعماله الأدبية ضد سلطة القهر والاستبداد والجور والقمح وسياسة التشكيل وضد الجيوش المتحلة التي كانت تسلب الأراضي وتقتل كل شيء حتى لغة الأم، ولذلك كتب مسرحياته في اللغتين، الفرنسية والعربية.

ثم جاء عبد القادر علولة وكتب مسرحيات مختلفة ومن أهم مسرحياته مسرحية "العلق" (١٩٦٩م)، و"الخبزة" (١٩٧٠م)، و"حمام ربي"(١٩٧٠م)، و"الأقوال" (١٩٨٠م)، و"الأجود" (١٩٨٥م)، و"اللثام"(١٩٨٩م)، و"التفاح"(١٩٩٣م)، وغيرها، إن هذه المسرحيات كانت مشتملة على العديد من القضايا والمشاكل الاجتماعية، كمثل المرض والجهل والفقر وكان يعبّر فيها عن الأوضاع العامة. وأما الشخصيات التي أخذ علولة لمسرحياته فهي بسيطة والكادحة في الأرض الزراعية والمصانع فيتجسد أبطاله في صور الفلاحين والعمال. وكان يحاول إيضاح المفاهيم الاشتراكية الداعية للعدالة والمساوة والتغير السياسي. وإضافة إلى ذلك هناك مسرحيات لكتاب آخرين مثل مسرحية "حسان طيرو "(١٩٦٤ م) لأحمد عياد ومسرحية "الغولة " (١٩٦٦ م) لأحمد رويشد، والمهم أن هذين الكاتبين كانا يكتبان المسرحية في أسلوب رائع متلائم مع طبع الجمهور الجزائري. إنهما اعتمدا على الفكاهة (المزاح) لإيصال كلماتهما إلى الجمهور.

و في الفترة الأخيرة في النصف الآخر من القرن العشرين، كان يصدر القرار اللامركزية في كل البلاد الدولة الجزائرية عام ١٩٧٢م تحت إشراف وزارة الإعلام والثقافة على المسرح الوطني والمسرح الجهوي وأكدت في هذا القرار أن تعرض المسرحية في الموضوعات المختلفة ولا سيما في الوطنية والجهوية، أما الحركة المسرحية الوطنية فقد توفّرت الوسائل المادية يحتاج إليها المسرح كما توفّرت أعلام المبلغين والمخرجين. وأما المسرحية الجهوية قد لعبت دورا ملموسا في معالجة بعض المشاكل التي كانت تعاني بها المجتمع، فقد عالجتها بعرض بعض المسرحيات التي انتجها الأدباء والمسرحيات الأخرى التي اقتبست من المسرحيات العالمية ومن هذه المسرحيات، "القرب والصالحين" لكاكى، ومسرحية "باب الفتوح " لمحمد دباب،

ومسرحية "الخبزة" لعبد القادر علولة، ومسرحية "المولود" لعبد الرحمن الجيلالي، و"سلّاك الواحلين " لمحمد توري وغيرها. فيمكن القول، أن هذه الحقبة كانت دورا بارزا للمسرح الجهوي، فقدّمت بعض مسرحيات الجهوية وعبرت أهم القضايا، كقضية الثورة الزراعية في مسرحية "المائدة" وهجرة العقول الجزائرية إلى أوروبا في مسرحية "الحساب تلف "ونضال العمال في مسرحية "الخبزة " والتوكل على الله وزيارة أولياء في المسرحية "القرب والصالحين" وأهمية العمل وضرورة التضامن في مسرحية "النخلة" وخطورة القطاع الخاص في مسرحية "حوت يأكل حوت".

ثم عاد المسرح الجزائري إلى النشأة الجديدة بمساعدة مجموعة من الإجراءات التي اتخذها "الملتقى الوطني" في عام (١٩٨٢ م)، فقد شارك في الملتقى مسئولون ومثقفون البارزون وقد ناقشوا وضع المسرحية السائدة في الجزائر. وقد أخرج الملتقى عدة لجنات، مثلا لجنة الكاتب والكتاب، ولجنة السمعية والبصرية، ولجنة مو سيقي، ولجنة التاريخ والآثار والمتاحف ولجنة فنون التشكيلية. وكذلك انعقدت "ندوة أيام المسرحية" وناقشت على عديد المحاور الأدبية، وهي النص المسرحي، والإخراج والتمثيل، وتنظيم الهياكل المسرحي وتكوينها.

ثم عُقدت السلسلة من الندوات والمناقشات، ونشأ المسرح الجزائري على المستوى الفني نشأة واضحة، وقد عرضت في المهرجانات العربية والدولية من المسرحيات المحلية الجزائرية والأخرى المقتبسة من المسرحيات العالمية فيعدها أحمد بيوض كما تلي:-

"مسرحية "قالو العرب قالو" التي اقتبسها الثنائي (زياني شريف عياد)، و(عز الدين مجوبي) عن مسرحية "المهرج" ل(محمد الماغوط)، وقد حصدت جائزة أحسن إخراج في مهرجان قرتاج المسرحي الدولي الأول بتونس(١٩٨٣)م.

مسرحية "الأجود" ل(عبد القادر علولة) التي انتزعت جائزة أحسن تمثيل في المهرجان نفسه سنة(١٩٨٥م).

مسرحية "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" التي اقتبسها (محمد بن قطاف)

وأخرجها (زياني الشريف عياد، عن قصة تحمل العنوان نفسه ل(الطاهر وطّار)، وحصلت الجائزة الكبرى لأحسن عرض متكامل في مهرجان قرتاج الدولي (١٩٨٧م).

مسرحية "عودة الحلّاج "من اقتباس وإخراج (فارس الماشطة) من مسرحية (قسنطينة الجهوي وقد فازت الجائزة الأولى في مهرجان باجة بتونس سنة(١٩٨٨م).

مسرحية (العيطة)التي ألّفها (محمد بن قطاف) وأخرجها (زياني الشريف عياد)، وحازت الجائزة الكبرى في مهرجان قرتاج سنة (١٨٨٩م)"٩.

إضافة إلى ذلك، في هذه الحقبة قد ظهرت أول تجربة لإخراج نسوية في تاريخ المسرحية الجزائرية، فقد كتبت حميدة آيت الحاج مسرحية "أغنية الغابة" (١٩٨٧م) المقتبسة من نتاج الكآبة السوفياتية (ليسا أوكرانيكا). وكذلك كانت هناك تجربة أخرى لشقيقتها (فوزية آيت الحاج) بإخراج مسرحية "موت التاجر المتجول" ل(آرثرميلر)،١٠.

و في نهاية سنوات من القرن العشرين ظهرت شتى الجمعيات المسرحية لإيقاظ الحس الوطني ومحافظة على الوحدة الوطنية عن طريقة إبراز خصوصيات الثقافية الجزائرية كما ظهرت سلسلة من المهرجانات التي ساهمت في ازدياد النشاطات في مجال المسرح وتأصيله في الثقافة الوطنية خلال التنافس بين فرقة المسرحية المتنوعة.

ومن المهرجانات التي عقدت في هذه الحقبة وهي.

مهرجان المسرح التجربي بقسنطينة (١٩٩١ م)،

والمهرجان المغاربي لهواة المسرح بمدينة عنابة سنة (١٩٩٤ م).

والمهرجان الوطني للمسرح الهواة بمستغانم (٢٠٠٣م).

مهرجان المسرح المحترف سنة (٢٠٠٦م) والآخر سنة (٢٠٠٨م).

خاتمة البحث: -

قد رأينا فيما سبق أن المسرحية الجزائرية تطورت كمثل سائر الفنون الأدبية الحديثة مبتدئة من التعريب والترجمة حتى اكتملت صورتها على أيدي الأدباء البارزين

الجزائريين. وكان للمهرجان والفرقات الأدبية والنوادي والحفلات المتنوعة دورا ملحوظا في تطويرها ومن حسن المصادفة. وأن المسرحية الفنية وصلت إلى طور النضج الفني بعد استقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي، فيعد فترة ما بعد الاستقلال أخصب الفترات وأرقاها لتطوير المسرح الجزائري.

الهوامش:

١. عمرون نور الدين. المسار المسرحي الجزائري إلى سنة ٢٠٠٠م، ط،١ ٢٠٠٦م، ص:٨٧.

٢. ارلت روث. المسرح الجزائري الناطق العامية، نقلا عن أحمد بيوض، المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة للطباعة وللنشر والتوزيع-الجزائر ٢٠١٤م، ص: ٢٢.

٣. محمد مصايف. النثر الجزائري الحديث، ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص :١١٦.

٤. د. نور سليمن. الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر، دار الأصالة، الجزائر، ص: ١٦٥.

٥. بوعلام رمضاني، المسرحي الجزائري بين الحاضر والماضي، ط: المكتبة الشعبية الجزائر، ص:١٤.[١]

٦. نورية شرقي، اتجاهات الكتابة الدارمية في المسرح الجزائري، ص ١٣١.

٧. سعاد محمد خضر. الأدب الجزائري المعا صر، ط: منشورات الملتبة المصرية، بيروت، لبنان، ص :٦٠-٦١.

٨. سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي(١٨٣٠-١٩٨٩م)، الجزء الخامس، دار الغرب الإسلامي، بيروت م١٩٩٨، ص٢١٢.

٩. احمد بيوض. المسرح الجزائري، (١٩٢٦-١٩٨٩م). نقلا عن النقد المسرحي في الجزائر، ص:٢٠

١٠. المصدر نفسه. ص ٢٠

***

دراسة تحليلية لرواية ابن فطومة للأستاذ نجيب محفوظ

د. ناصر ثناء الله
الأستاذ المساعد، الكلية الحكومية للبنين بسوبور،
جامو وكشمير

هذه رواية رمزية بسيطة السرد صغيرة الحجم حيث لا تتجاوز ١٥٨ صفحة. تحكي حكاية رحالة اسمه قنديل محمد العنابي الذي مات أبوه وهو صغير فتعرض للظلم من إخوته الكبار الذين هضموا حقه من ميراث أبيه وأطلقوا عليه اسم ابن فطومة نسبة إلى أمه وتبرئة من قرابته وتشكيكا فيها. كانت أمه فطومة الأزهري بنت سبعة عشر حين رءاها محمد العنابي وهو تاجر كبير مترع بالثراء وقد جاوز الثمانين متمتعا بالصحة والعافية فتزوج منها، ومات الرجل قبل أن يطبع صورته في وعي ابنه فترعرع الابن تحت رعاية أمه، وكانت أمه تخاف على نفسها وعلى ابنها الوحيد قنديل حتى قررت أن لا ترسله إلى الكتاب.

وبعد قليل من الزمن يدخل رجل أخر في الرواية وهو الشيخ مغاغة الجبيلي الذي كان جارا لأسرة فطومة فدعته فطومة لتعليم ابنها في دارها هي ووافق الشيخ وأخذ الطفل يتلقى دروسا في القرآن والحديث والفقه واللغة والحساب والأدب والرحلات وكانت الأم نفسها تستفيد من هذه الدروس منصتة من وراء ستار. وكان من عادة الشيخ أنه كان يخصص بعض الوقت للمناقشة، وهذه هي فرصة أولى التي يخلقها الكاتب لنفسه فيظهر على لسان بطل الرواية بعض الإشكاليات حول نظام الإسلام وكونه صالحا لهذا العصر." ويدور يوما الحديث التالي بين التلميذ وأستاذه، يسأل التلميذ:

- إذا كان الإسلام كما تقول فلماذا تزدحم الطرقات بالفقراء والجهلاء؟

فأجابني بأسى:

- الإسلام اليوم قابع في الجوامع لا يتعداها إلى الخارج

ويفيض في الحديث فيلهب الأوضاع بنيرانه ... حتى الوالي لا يسلم من شرره. وقلت له:

- إذن إبليس هو الذي يهيمن علينا لا الوحي.

فقال برضا:

- أهنئك على قولك، إنه أكبر من سنك....

- والعمل يا سيدنا الشيخ؟

فقال بهدوء:

- أنت ذكي، وكل آت قريب. ."[1]

هكذا يضع الكاتب اللبنة الأولى من أفكاره -التي لا تخلو من تشكيكه في كون الإسلام صالحا لهذا العصر-في فكر بطل الرواية ولهذا السبب نرى طول تتبعنا للرواية أن هذا التشكيك يدوم في فكر البطل حتى النهاية. ومن أطرف الأشياء التي يلاحظ في هذه المناقشة هو أن التلميذ ما زاده تلقى الدروس من الشيخ إلا تشكيكا في دينه وشوقا إلى الرحلات حتى يعثر على دار الجبل حيث يوجد" الكمال الذي ليس بعده كمال " ونفس التشكيك يظهر في مناقشة أخرى تجري بين التلميذ وأمه، حيث تقول له الأم:

- الله صانع كل شيء، وله في كل شيء حكمة. .

فقلت مندفعا:

- ساءني الظلم والفقر والجهل![2]

ومع هذه الصياغة الذهنية يصل التلميذ إلى مشارف الشباب ويرا يوما ابنة جارهم حليمة عدلي الطنطاوي وقد سقط خمارها عن وجهها الحسن فأراد الزواج منها إلا أنه لم يتمكن من تحقيق هذا الحلم لأن الحاجب الثالث للوالي لما رأى حليمة قرر أن يجعل منها زوجته الرابعة فذعر أبوها وفسخت الخطوبة وزفت حليمة إلى الحاجب الثالث ما بين يوم وليلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان أستاذ البطل وأمه

---

[1]. نجيب محفوظ، رواية رحلة ابن فطومة، مصر، دار مصر للطباعة، بدون التاريخ، ص:٧ – ٨.

[2]. السابق، ص:١١

يرغبانه في العمل ولكنه لما أظهر إرادته بالزواج أولا و وافقته الأم، فوجئ يوما عندما قال له أستاذه بأنه يريد الزواج من أمه، ولم تكن مفاجئته أقل عندما وجد الأم توافق على أمر الزواج بعد تردد بسيط ففاض غيظا وغضبا ولم يملك أن يقول شيئا لأمه أو لأستاذه لأنهما كانا أعز شخصين في حياته فقال لنفسه وهو سائم من هذه الوحدة الكئيبة :

- خانني الدين، خانتني أمي، خانتني حليمة، ألا لعنة الله على هذه الدار الزائفة.[1]

فدفعه كل هذا بالعنف إلى اكتشاف الدواء الشافي لكل ما أصاب مجتمعه من داء، فخرج رحالة وكان دار المشرق أولى محطة له، وفيه يتنبه أول ما يتنبه إليه الرحالة أن الناس يعيشون عراة على الفطرة وسعداء بالغفلة، وفي ليلة البدر يمارسون الجنس الجماعي باعتبارها عبادة لأنهم قوم يعبدون القمر، ولكل مدينة من مدن دار المشرق "سيد" هو يملك كل ما يضمنها والناس عبيدة يخضعون لمشيئته نظير الكفاف من الرزق والأمن، وأن الناس فيه يخضعون لنظرية فرويد حول علاقة الرجل بالمرأة، فإنهم يزعمون أن:

- نصف المصائب في البلدان إن لم يكن كلها تجئ من القيود المكبلة للشهوة، فإذا شبعت أمكن أن تصير الحياة لهوا ورضى![2]

ورغم تقززه من هذا النظام الاجتماعي تزوج من فتاة فيه وأنجب منها الأولاد ولما أراد تربيتهم على طريقة إسلامية أعرضته زوجه أولا ثم الجميع حتى انكشف هذا السر على سيد المدينة فقام بترحيله.

وفي محطته الثانية "دار الحيرة " يعرف أول ما يعرف عن "دار الحيرة " هو أن ملكه هو إلهه وبقية الناس لا قداسة لهم ولا مواهب، يريد الملك وجلساءه تحرير

---

[1]. السابق، ص :١٧

[2]. السابق، ص:٤٢

العبيد في المشرق من الحكام الطغاة لتحقيق العدالة فيه إلا أنهم قد تجاهلوا الفقراء والمساكين الذين يعيشون في دارهم والذين لم يتمتعوا بهذه العدالة المزعومة يوما من الأيام، هذا التناقض بين الشعارات الكاذبة والممارسة العملية يذكر الرحالة بلاده "دار الوحي" فهو يرى:

- ما من سيئة عثرت بها في رحلتي إلا وذكرتني ببلادي الحزينة. .[1]

ولما يرى رؤوسا آدمية منفصلة عن أجسادها وقيل له على التساؤل بأنها رؤوس المتمردين على الملك الإله فعلم بأنها – ولا شك – رؤوس شهداء الحرية والعدالة، " قياسا على ما يقع عادة في بلاد الوحي " وأدرك أن الحرية الفردية هي مفقودة ومهددة في هذا الدار فلم يستصلح هذا النظام الاجتماعي والسياسي.

وفي محطته الثالثة وهي "دار الحلبة " التي يعتبرها شعبها دار الحرية. وعرف الرحالة أن هذه الحرية في هذه الدار لا تعرف الحدود ولا القيود فاستنكرها. وسمع يوما صوت الأذان وهو يخترق أستار الفضاء وكذلك أستار آذانه بعد ردح من الزمن فذهب إلى مصدر الصوت ووجد هناك مسجدا فصلى صلاة الظهر ولقي بإمام المسجد وعرف منه أن هذه الدار فيه مسلمون ويهود ومسيحيون وبوذيون، بل فيها ملحدون ووثنيون فدهش الرحالة وسأل الأمام:

- وبأي دين تلتزم الدولة؟
- الدولة لا شأن لها بالأديان ..
- وكيف توفق بين أهل الملل والنحل؟

فقال بوضوح:

- تعامل الجميع على قدم المساواة الكاملة.

.....

- الحرية هي القيمة المقدسة المسلم بها عند الجميع!

---

[1]. السابق، ق:٦٢

فقلت محتجا:

- هذه الحرية جاوزت الحدود الإسلامية. .

- لكنها مقدسة أيضا في إسلام الحلبة. .

فقلت وأنا أكابد خيبة أمل:

- لو بعث نبينا اليوم لأنكر هذا الجانب في إسلامكم. .

فتساءل بدوره:

- ولو بعث عليه الصلاة والسلام أما كان ينكر إسلامكم كله؟

آه .. صدق الرجل وأذلني بتساؤله. ...[1]

تتجلى العلمانية في هذا الحوار بوضوح، يبدو أن الكاتب يريد ضرب التيار الإسلامي الذي كان يدعى أن الإسلام هو عقيدة وشريعة، دين ودولة ويجب أن تصطبغ حياة المسلم بسائر مجالاته بصبغة الإسلام، لأنه يشيد إسلام "دار الحلبة " الذي يفضل شعبها الحرية والتعايش السلمي بين الموطنين على الإسلام ذاته، وأنه يشير إلى أن الحرية هي قيمة مقدسة ولا بد من تحقيقها ولو اقتضت التجاوز من الحدود الإسلامية ذاتها.

ويتضح مزيد من ملامح العلمانية عندما يسأل الرحالة قنديل إمام المسجد الشيخ حمادة السبكي عن نظام الحكم فيجيبه الإمام قائلا:

- ... أن رئيس دولتنا ينتخب تبعا لمواصفات علمية وأخلاقية وسياسية، فيحكم مقدار عشر سنوات، ثم يعتزل ليحل محله قاضى القضاة، وتجرى انتخابات جديدة بين الرئيس المعتزل والمرشحين الجدد. .

فهتف بحماس:

- نظام حسن. .[2]

---

[1]. السابق، ص:٨٩ – ٩١

[2]. السابق، ص:٩٢

ويخبره أن الزراعة والصناعة يقوم بها القادرون من الأهالي ولكن رغم هذا يوجد الفقراء والأغنياء والعاطلون واللصوص والقتلة، هذا يدفع الرحالة إلى التساؤل:

- لو أنكم تطبقون الشريعة ؟!
- لكنكم تطبقونها!

فقلت بإصرار:

- الحق أنها لا تطبق.
- الالتزام هنا بالمرجع، وهو يطبق نصا وروحا. .
- ولكن الدولة ملتزمة بالأمن والدفاع فقط فيما يخيل إلي. .
- وبالمشروعات العامة التي يعجز عنها الأفراد كالحدائق والجسور والمتاحف، ولها مدارس بالمجان للنابغين من الفقراء، ومستشفيات بالمجان كذلك ولكن جل الأنشطة فردية. .[١]

ويدعوه الإمام إلى الغداء فتتضح ملامح أخرى لهذا الإسلام وامتزاجه بالعلمانية حتى فقدت ميزته، يرى ما يدهشه أن أسرة الأمام -المكونة من زوجه وكريمته وابنيه – تتناول الغداء على مائدة واحدة وأفضح منه أنه قدم إليهم أقداح النبيذ، وبرر الإمام تناول النبيذ بقوله:

- ...الاجتهاد عندنا لم يتوقف، ونحن نشرب مجاراة للجو والتقاليد ولكننا لا نسكر[٢]

والانطلاقة في الحديث مع الأجانب، التي تتميز بها نساء الغرب وتمثلها في الرواية زوج الإمام وكريمته سامية، هي الأخرى من ملامح الإسلام السائد في دار الحلبة والذي يريد الكاتب طرحه علينا كنموذج أمثل يجب أن يحتذى في "دار الوحي". فهو يجعل سامية تنتقد دور المرأة في "دار الوحي" بشدة.

---

١. السابق، ص:٩٣

٢. السابق، ص:٩٦

وتتجلى الأفكار العلمانية في حوار يجري بين الرحالة قنديل وحكيم "دار الحلبة " يدعى مرهم الحلبي عن كيف صنعوا حياتهم، فأجابه بأنهم صنعوها بأنفسهم، ثم يضيف قائلا:

- لا فضل في ذلك لإله، آمن مفكرنا الأول بأن هدف الحياة هو الحرية، ومنه صدر أول دعوة للحرية، وراحت تتسلسل جيلا بعد جيل. ... وقال:
- بذلك اعتبر كل تحرر خيرا وكل قيد شرا، أنشأنا نظاما للحكم حررنا من الاستبداد، وقدسنا العمل ليحررنا من الفقر، وأبدعنا العلم ليحررنا من الجهل، وهكذا.. وهكذا.. فإنه طريق طويلة بلا نهاية. ...وقال:
- لم يكن طريق الحرية سهلا، ودفعنا ثمنه عرقا ودما، كنا أسرى الخرافة والاستبداد، وتقدم الرواد، وضربت الأعناق، واشتعلت الثورات، ونشبت حروب أهلية، حتى انتصرت الحرية وانتصر العلم. .[١]

ولن يرفض من له أدنى إلمام بالتاريخ الأوروبي أن كل ما يجري في هذا الحوار إنما هو سرد روائي لذلك التاريخ الطويل المحفوف بالظلم والقتل والنيل من كرامة الإنسان وشرافته، وأن الخرافات التي ورد ذكرها فيه هي الدين المسيحي، وبه يزعم الكاتب أن شأن الإسلام شأن المسيحية لا يختلف عنها في شيئ، وأنه يجب أن يتنصل المسلمون من دينهم، كما سبقهم المسيحيون في هذا الأمر، إذا أرادوا حل "مشكلة الدين" وطمعوا بالتقدم والسعادة. ويبدوا أن الكاتب هو يعرف معرفة جيدة أن الدولة الحديثة العلمانية قامت في الغرب على أنقاض المسيحية، لذا لا بد أن يقوم المسلمون بنفس العملية – عملية هدم الدين ثم بناء الدولة من جديد وكذلك صياغة الدين صياغة جديدة بشكل كلي-وهكذا تتحقق أحلام العلمانيين العرب.

وقد أفسح الكاتب صفحات الرواية للحكيم ليتحدث عن القضايا الأخرى ويغرس أفكاره في الرحالة والقارئ أيضا. فهو يعتبر أن "الرحمة" لا قيمة لها وهي ما

---

[١]. السابق، ص:١٠١-١٠٢

يردده أهل الديانات، ويقول إن دينه هو "دين إلهه العقل ورسوله الحرية " وكذلك الإمام يعتبر الأساس الأخلاقي قشورا وكريمته .سامية .تعتبر العالم غابة، ويقول الإمام عن دار الوحي:

- انظر يا قنديل وطنك دار الإسلام فماذا تجد به؟. . حاكم مستبد يحكم بهواه فأين الأساس الأخلاقي؟ ورجال دين يطوعون الدين لخدمته فأين الأساس الأخلاقي؟ وشعب لا يفكر إلا في لقمته فأين الأساس الأخلاقي؟[1]

يأتي كلام الإمام هذا بعد قداسته للحرية وتبريره إلغاء اتفاقية عيون المياه التي كانت باعتبارها مشتركة بين دار الحلبة ودار الأمان، أليس هي فكرة ميكيافيلية التي لا تقوم بأي قيمة القيم الأخلاقية عندما تصبح عرقلة في مسير الدولة والسيطرة على ما تشتهي، ورغم ذلك يتباهى به الإمام والمسلمون في دار الحلبة.

ثم أراد الرحالة أن يواصل رحلته وكانت "دار الأمان" محطته التالية، وهي دار العدالة الشاملة كما يعتبرها شعبها. أول فكر احتك به الرحالة هنا هو أن الخمر ضرورية مع كل وجبة ولما اعترض عنها قال له مرشده فلوكة:

- أتصدك حقا أن إلهك يهمه أن تشرب خمرا أولا تشربها؟[2]

والشعب في دار الأمان يعبدون الأرض باعتبارها خالق الإنسان ومدخر احتياجاته، ولا يوجد هنا العاطل، كل إنسان يعمل رجلا كان أم امرأة إلا العجائز فلهم الحدائق يقضون فيها لمحات حياتهم الأخيرة. ولا يوجد الفقراء والأغنياء فيه، أما النظام السياسي فالرئيس فيه هو مهيمن على كل شيء، والحرية الفردية عقوبتها الإعدام في هذه الدار، وأنهم يقدمون القانون والنظام على الحرية.

ثم يواصل الرحالة رحلته ويصل إلى محطته الأخرى وهي "دار الغروب" هي جنة بلا ناس ولا يجد الرحالة فيها شيئا مهما من المعرفة السياسية والاجتماعية التي كان

---

[1]. السابق، ص:١١٤

[2]. السابق ص:١٢٤

قد قام برحلة من أجله إلا أنه وجد هنا شيخا كان يدرب الناس على اكتشاف الخزائن المكنونة في أعماق أنفسهم التي تزودهم في رحلتهم إلى "دار الجبل" دار الكمال فمكث الرحالة عنده لمدة ثم واصل رحلته إلى دار الجبل إلا أنه لم يصله وتنتهي الرواية.

ومن حقنا أن نتساءل هنا لماذا تنتهي الرواية دون وصول البطل إلى دار الجبل ومن ثم دون عودته إلى بلاده حتى يقوم بالإصلاح ما فسد في مجتمعه وهي المجتمع الإسلامي؟ يبدو أن الكاتب قد فقد الأمل في إصلاح مجتمعه ومن الطريف أنه قد ذاق طعم الأنظمة كلها وأدرك جوانبها الإيجابية والسلبية ثم لم يراجع فهمه للإسلام. ذلك لأنه يريد الإسلام أن يكون كإسلام "دار الحلبة" الذي لا يتجاوز حدود الحياة الخاصة والذي فقد كل مميزاتها وفاعليتها وحيويتها وأصبح كالمسيحية واليهودية والبوذية لا يميزه منها شيئ، فتتحرر السياسة من الإسلام ويتحرر الاقتصاد والنظام الاجتماعي والأخلاق والنساء من "قيود الإسلام" ومن "الخرافات القديمة "، ويصبح المجتمع بلا مرجع، ليس فقط في جزئياته بل في كلياته أيضا، كما تصبح الرواية أشبه بالمحاضرة السياسية ذات التوجه الفكري اليساري المتطرف منه بالكتاب الأدبي الذي يتناول قضايا مجتمعه، سواء أكانت قضايا سياسية أم اجتماعية، بعد أن تحرر الكاتب من الميل بشكل كامل إلى اليسار الفكري أو اليمين لأنه يكتب للمجتمع الذي يتمتع بحبل الله الذي لا انفصام لها وهي مرجع الناس في كل أنشطتهم الفكرية والأدبية، ويجب أن نأخذ في الحسبان أن الحلول الواردة لا تحل مشاكل المجتمع وإنما تزيد الطين بلة وتضاعف في مشاكل الناس أضعافا مضاعفة، فالمجتمع الإسلامي لا يصلح إلا إذا أنشأ أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية في ضوء كليات مرجعيته الأصيلة والصالحة لكل المكان والزمان.

نشرت هذه الرواية في بداية الثمانينات من القرن المنصرم، وكان الأستاذ نجيب محفوظ قد تجاوز السبعين من عمره وهي المرحلة من حيات الإنسان التي قد نضجت أفكاره وتبلورت أراءه وظهرت جلية ميوله الأيديولوجية، فلا يمكن أن يقول أو يفعل ما لا يؤمن به قلبه ولا يعترف بفضله عقله، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نرى أن

العالم كان قد أدرك – وقتئذ – قصور الأنظمة السياسية والاجتماعية المؤسسة على العقل المجرد دون الوحي المنزل، فعلى سبيل المثال كان الكاتب الإنجليزي الشهير جورج أورول قد كتب رواية صغيرة بسيطة في ١٩٤٥ وهي "Animal Farm"، صور فيها ولادة الشيوعية - وهي ردة فعل للرأسمالية – وعروجها في روسيا وكيف فشلت فشلا ذريعا في تحقيق العدالة الاجتماعية والسعادة الإنسانية، ومن جانب أخر كان المفكرون والمثقفون ذووا التوجهات الفكرية الإسلامية قد أثبتوا عدم توافق الحلول المستوردة لحل المشاكل المحلية للمجتمعات المسلمة وكانوا قد دللوا على صلاحية النظام السياسي والاجتماعي الإسلامي الأصيل للمجتمعات المسلمة الحديثة وأنه لا يعرقل التقدم ولا الرقيّ كما لا يعارض العلم ولا العقل.

ولكن، ورغم كل ذلك، خصّص الأستاذ محفوظ قلمه وعبقريته الفنية وملكته الابتكارية لإثبات صلاحية الأفكار العلمانية والشيوعية للمجتمعات الإسلامية وبذل حياته لترويجها في العالم العربي الإسلامي كما لم يتردد من النيل من المقدسات الدينية والشعائر الإسلامية حتى سخر من أساسيات الدين الإسلامي، رواياته مملوءة بهذه الأفكار المسمومة، ورواية " ابن فطومة " التي قمنا بدراستها إنما هي نافذة صغيرة للتعرف على ما تحمل رواياته من زيغ وضلال فكريّ وانحراف عقدي.

المراجع والمصادر

١. فرج، الدكتور السيد أحمد. **أدب نجيب محفوظ: وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب**، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

٢. الجندي، أنور. **المعارك الأدبية في مصر منذ ١٩١٤ – ١٩٣٩**، مصر: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٣م.

٣. المسيري، الدكتور عبد الوهاب. **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٢م.

٤. القرضاوي، الدكتور يوسف. **الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا**، مصر: مكتبة وهبة، ١٩٩٣م.

٥. قطب، محمد. **مذاهب فكرية معاصرة**، مصر: دار الشروق، ١٩٩٣م.

٦. أورول، جورج. **مزرعة الحيوانات**، مصر: دار الشروق، ٢٠٠٩م.

* * *

سرد الرّوايات التاريخيّة عند خالد محمد خالد

شميم. ك
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية،
كلية يم.ي.يس ممباد (الحكم الذاتي) ممباد

د. منصور أمين. ك
مشرف الدكتوراه، قسم اللغة العربية،
كلية يم.ي.يس ممباد (الحكم الذاتي) ممباد

ويمكننا القول إن الروايات التاريخية قد نشأت باختلاط الأدب بالتاريخ، والتاريخ مجرد حقائق ووقائع قد مضت سواء كانت متعلقة بالأماكن أو الأشخاص أو المجتمع. والأدب تصوير فنّي متكون من عناصره-العاطفة، والخيال، والمعاني، والأسلوب. الرواية نوع من هذه الأنواع الأدبية -أي عندما تكون القصة طويلة فهي الرواية، فالرواية التاريخية هي قطعة من التاريخ التي شكلها الكاتب على شكل تصويري فني قصصي المشتمل على عناصر الرواية.

الرّواية التّاريخية تهتمّ فيها بذكر الأحداث والوقائع التّاريخية ما لها من صلات بالشخصيات العظيمة التي تستمد من القرون الماضية ومن الصّفحات التّاريخية، فهي صورة سردية منسوجة من الأحداث الماضية وشخصيّاتها أيضا، وهي تقصّ أخبار العباقرة والأبطال التي شهدتهم الأزمنة، والرّوائيّون الّذين يروون التّاريخ يقومون بسرده على شكل فنيّ مشتمل على الأجناس الأدبيّة المختلفة، فهم يختارون الأشخاص والأماكن والسياق على أسلوبهم الخاصة، وهم يصبغون حقائق التّاريخ بصبغة أدبيّة فنيّة، فالرّواية التّاريخية ليس فقط عرضا لتراث السّلف وإنّما هي حقائق وموضوعات تدور حولها الرّواية ذات القيم الحميدة.

جذور الرواية التاريخية العربية

أما الرواية التاريخية العربية فقد اختلفت أراء النقاد المحدثين في جذورها وانقسموا في هذا الإطار إلى ثلاثة اتجاهات: الأول: يرى أن القصة التاريخية كانت تطورا طبيعيا عن التراث العربي القصصي.

الثاني: فإنه يقرر بأن القصة التاريخية القديمة كقصة عنترة والسيرة الهلالية، وسيرة الأميرة ذات الهمّة، وسيرة الظاهر بيبرس وغيرها... فقد زال هذا النّوع من الأدب

الذي كان صدي للبيئة التي وجد فيها..... فما هي إلاّ فرع من فروع الثّقافة التي جاءتنا من الغرب في النّهضة الحديثة.

الثالث: أنّ الرواية التّاريخية نشأت نتيجة مزاوجة بين الموروث من التّراث العربي القديم وبين ما جاءنا من الغرب حيث تمخض الوعي عن حركة مزاوجة كبري بين القصص القومي القديم بألوانه التّقليديّة والعصريّة والشعبيّة والتجارية وبين المثل العليا الغربية الإنسانية للقصة، ونتج عن حركة المزاوجة انقسام القصص الفني إلى قصص تاريخي طويل وقصير، وإلى قصص اجتماعي طويل وقصير.[1]

استفادة من هذه الآراء الثلاثة نستطيع أن نقول إن الرواية التاريخية العربية ليست مدينة من الرواية الغربية تماما، بل لها جذور أصلي يرجع تاريخها إلى قرون بعيدة في العصر الجاهلي.

يقول الدكتور عبد المجيد "وأرى أن للعرب إرثهم القصصي الشعبي كالسير والتخيلات القصصية والشعبية والقصص الشعرية، فلا أحد يستطيع أن ينكر هذا الضّرب من الفن القديم. وطبيعة الشعوب أن بعضها يفيد من بعض، فالأوروبيون مثلا في العصر الحديث أفادوا من قصص ألف ليلة وليلة ووظفوها في أعمالهم القصصية وأنتجوا فنا متقدما هذا الأدب تجاوزا المنثور إلى الممثل والمرئيّ فالحال نفسه عند العرب الذين أفادوا من الخطوات الأوروبية في الرّواية الحديثة فنسجوا على منوالها أدبا جديدا يحاكى الأدب الأوروبي عرف باسم الرواية التاريخية العربية ويمَثل سليم البستاني وجورجي زيدان وأنطون فرح ويعقوب صروف وأمين ناصر وغيرهم، الجيل الأول من كتاب القصة والرواية التاريخية وهو الجيل الذي انصرف جهده إلى التاريخ في سياق حكاية تكون أكثر تسلية وتشويقا للقارئ.

وتلاهم بعد ذلك جيل آخر استلهموا لحظات ومواقف قديمة من التاريخ العربي والإسلامي وكان هذا الاستلهام للأشكال والموضوعات التّراثيّة والوطنيّة والاجتماعيّة

[1] بقلم د/عبد المجيد، منشور في "العرب" القطرية في ٢٨ إبريل ٢٠١٠**

والأخلاقيّة والعاطفيّة تجليات أدبية بمستويات أدبية ودلالية مختلفة لمحاولات إبراز الذات القومية في مواجهة الغرب واستلهم بعض الكتاب هذا التراث في روايتهم بهدف بعث أمجاد الماضي وبطولاته ومن هؤلاء عادل كامل ونجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار ومحمد فريد أبو حديد وعلى أحمد باكثير وعلى الجارم وقد صدرت روايات هؤلاء في الأربعينات".[1]

وهؤلاء الروائيون رغم أنّهم بذلوا جهدا جهيدا في ترقية الرواية العربية وتثبيت جذورها في الأدب إلا أن خالد محمد خالد المصري المفكر الكاتب المشهور من جانب الإسلام المتوفي سنة ١٩٩٦ فبراير ٢٩ انفرد من بينهم بأسلوب رشيق لم يظهر مثل ذلك قبله ولا بعده وتميز من بينهم بسرد جميل لا مثيل له وتشخّص بشخصيّة فذّة ذي قدرة على التعبير والغوص إلى جوهر الأشياء.

وكان كثيرا ما يسأل عن السرّ في جمال أسلوبه فكان يقول: إن الأسلوب في الكتابة لا يصنعه شيء الإرب العالمين.

تقنية السّرد والأسلوب

ليست القصّة والسّرد كلمتان مترادفتان ببساطة شديدة، توجه القصّة انتباهنا إلى ما يقال: أما السّرد فيوجه انتباهنا إلى الكيفية التي قيل بها-إلى البراعة الفنية وليس الموضوع.

"السرد في اللغة هو التتابع وإجادة السياق، وهذا ما يكشف عنه البحث في معاجم اللغة العربية، ومع تطور البعدين، المعجمي والدلالي، يتحول المفهوم إلى الحديث عن التجليات المتصلة بالحدث الحكائي، ولهذا يمكن القول منذ البداية: إن الحكاية ولدت مع الإنسان، والحكاية عندما تتخذ طبعا وظيفيا، وتنطوي على مفهومات معينة يقصد إليها المتكلم أو المؤلف، وتضمر في الوقت نفسه وجهة نظر مؤسسة للخطاب، تصبح سردا، ومن هنا يمكن القول: إن الإنسان هو السارد

[1] نفس المرجع

بامتياز، فهو في كلامه، سواء أكان ذلك بقصد التوصيل والإفهام، أم بقصد إنشاء نص يظهر خطابا ما تجاه الملتقي حيث تلفظاته القولية عندما تكون منتظمة وفق سياق محدد، تسرد ما في ذهنيته أو مدونته".[١]

وتعيين أجزاء السرد في قصة أو في رواية أمر ذو صعب حتى أن الكتاب أنفسهم افتتنوا لما سئل عن كيفية تناولهم الأدب كما يقول جون ساذر لائد "الروائيون أنفسهم دائما كانوا مفتونين بالسؤال التّقني حول كيفية تناولهم لأعمالهم الفنية."[٢]

نظم الكلام أو الأسلوب هو وسيلة لأداء المعاني والتعبير عن الحقائق والمشاعر، ويسميه بعض النقاد الصورة،(form)، مقابلة للمادة المؤلفة من سائر العناصر. فالعاطفة والخيال والفكرة يجب أن تؤدي بوسيلة لفظية ملائمة. وهو وسيلة هامة لا تقل مكانتها عن مادة الأدب أو معانيه. لأن إيقاظ العواطف الأدبية يستند في أكثر الأحوال على جمال الأسلوب الذي تلبسه المعاني والأفكار.

فكل كاتب بل كل إنسان له أسلوب خاص سواء كان في الكتابة أو في أمر آخر فكل أديب مشهور بأسلوبه وكل أديب يقرض نتائجه بمنهج خاص به "ولدراسة الأسلوب طريقتان أولاهما من ناحية شخصية الأديب، والثانية من الناحية التاريخية كيف تطور الأسلوب من شيء إلى شيء وهنا طريقة ثالثة في دراسته هي طريقة دراسة الصنعة، أو الطريقة البلاغية وقد وضع لنا العلماء قواعد للعناصر التي يجب توافرها لتكوين أسلوب جيد. فهناك العناصر الفكرية، وهي الصحة الناتجة عن الاستعمال الصحيح للكلمات والوضوح الذي ينتج عن الوضع الصحيح لها والانسجام بين الشيء والذي يقال فيه والكيفية التي يعبر بها عنه. وهناك العناصر العاطفية وهي القوة والجدة والإيحاء وليس يعبر الكاتب عن فكرة فقط بل عن عاطفته أيضا مثيرا في نفس قارحة عواطف وانفعالات ممثلة لعواطفه وانفعالاته. وهناك العناصر الجمالية من

---

[١] د. عبد الرحيم مراشدة، الخطاب السردي والشعر العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط٥ص٢٠١٢،[١]

[٢] جون ساذرلاند، ٥٠ فكرة يجب ان تعرفها عن الأدب، ط/المكتب المصري للمطبوعات، ص ٢٨

موسيقي وروعة وسحر تجعل الأسلوب لذيذا.[1]

وهذا الباحث يحاول محاولة متواضعة لبيان مميزات أسلوب خالد محمد خالد الذي اشتهرت كتبه في قصص الرواية بأسلوب ممتاز وسرد جميل وهو خطّي خطوة جديدة في سرد الرّوايات التاريخيّة خصوصا بتقديم كتابه أمام القراء "رجال حول الرسول صلى الله عليه وسلم"، لأن الكاتب خالد محمد خالد قد ضم فصلا جديدا في صفحات الرواية التاريخية ووثب وثبة عصرية في مجال السرد القصصي خلال سدّه ثغرة في باب قصص الشخصيات البارزة في الإسلام- خصوصا قصص الصحابة وسيرهم حيث أنه أظهر أسلوبا متأنقا ومظهرا رونقا وسردا فريدا في عالم كتابة تاريخ الصحابة حيث كانت المكتبة الإسلامية خالية عن مثل هذا التأليف وحيث كانت أذهان القارئين فارغة عن مثل هذا الإبداع الفني وحيث كان الزمان مفتقرا إلى مثله الذي جمع هذا التأليف بين القصة التاريخية وكتابة الرواية المعاصرة.

فله في هذا المجال كتب عديدة بما فيها قصص الصحابة والتابعين ومن أهمها "رجال حول الرسول " الذي تطرق إلى شهرته داخل مصر وخارجها. يصور الكاتب في هذا الكاتب ستين شخصية من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم ففي صور هذه الصحابة نري صور جميع الأصحاب ونري جهودهم وبطولتهم وإيمانهم وثباتهم ونرى تاريخ بداية الإسلام ونشأته مبينا على شكل جميل وعلى تصوير فني ممتاز رائع لم يزل يوجد مثله حتى الآن في تاريخ الصحابة، لا في العربية ولا في العجمية، والقارئ لا يبدأ قراءته إلا وهو أتم قصته لا يمل ولا يغفل خلال القراءة. وكذلك كتبه الأخرى مثل "خلفاء الرسول" "وجاء أبو بكر" أبناء الرسول في كربلاء" في رحاب على "وداعا.....عثمان....."

والباحث يحاول محاولة صغيرة بكتابة هذه المقالة تعريف كيفية سرده وأسلوبه في مجال الرواية التاريخية ليكون قدوة يعتمد عليها وليكون مثال يقتدي به.

---

[1] د./أحمد إبراهيم-الأدب والنقد {ص ٣٢} ط/مكتبة الهدى، كاليكوت، الطبعة الأولى:٢٠٠٥

والقضية التي أدت الباحث إلى هذا العنوان هي بيان أن هذا السرد الجميل لخالد محمد خالد كيف انفرد عن غيرها من الروايات التاريخية وإظهار تقنية سرده أمام الطلاب والمشتعلين بكتابة تاريخ الصحابة ليأخذوا مأخذه في هذا المجال.

مميزاته في السرد والأسلوب

وقد اشتملت كتبه في الروايات التاريخية مثل "رجال حول الرسول " "وخلفاء الرسول وأبناء الرسول في كيرالا" على أسلوب جميل تأثرت قلوب القارئين به كأنهم يعيشون مع هؤلاء الأشخاص الذين صورهم الكاتب في قصصه. وهذا تمكن باستخدامه لغة فنية منسوجة متزينة وعواطف جذابة وخيالات صادقة التي يأخذها نفس القارئ ليتنقّل هو مع أشخاص القصة من البداية إلى النهاية وهذا كما يقول الناقد سليمان بن صالح الخداشي عن كتاب رجال حول الرسول لخالد محمد خال" وأنه قد كتب بأسلوب أدبي راق استطاع من خلاله خالد أن ينقل قصص هؤلاء الصحابة إلى قارئه بعرض ممتع لا يمل، وبلغة فنية ما هرة في انتقاء الألفاظ واستثارة العواطف وتحريكها وكأن القارئ يعيش متنقلا بين هؤلاء الرجال العظماء"[١]

تميز أسلوبه بسلاسة التراكيب وواضح الدّلالة وسهل الألفاظ وسريع الفهم الذي توصل القارئ إلى الأزمنة الماضية ليفتح أبواب التاريخ للاستفادة منه، قديم الإنسانية المنثور على أروع نماذج البشرية الفاضلة وأبهاها كما يقول سليمان بن صالح نفسه رغم أنه ينتقد خالد محمد خالد.

" أنه (أي خالد) برغم رقي لغته وخصوصية تراكيبه إلا أنه واضح العبارة مشرق الأسلوب لا يستغلق فهمه على القارئ مهما كانت ثقافته"[٢].

ومن أهم الأمور التي تميزت كتبه عن غيرها من كتب التاريخية، أن سرده قد تجمل بتصويرات صادقة وبحوارات ثابتة بأخبار متواترة وبأحاديث مقبولة، ليست في سرده خيالات كاذبة وأساطير مفرطة وتشويهات جارحة مثلما نرى في غير كتبه في

---

[١] سليمان بن صالح، خالد محمد خالد في الميزان ط/مكتبة نور {ص١٠١}

[٢] نفس المرجع: ص ١٠١,١٠٢

مجال الرواية التاريخية بل تصويراته منسوجة ومقتبسة من الأحاديث والأخبار الصادقة الحقيقة الثابتة عند المؤرخين وهذا كما يقول الكاتب نفسه في مقدمة كتابه "رجال حول الرسول" "فالعظمة الباهرة التي نراها على صفحات هذا الكتاب لأولئك الرجال الشاهقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست أساطير وإن بدت من فرط إعجازها كالأساطير إنها حقائق تشكل كل ما كان لأصحاب الرسول من شخصية وحياة. وإنها لتسموا وتتألق لا بقدر ما يريد لها الكتاب والواصفون بل بقدر ما أراد لها أصحابها وذوها أو بقدر ما بذلوا في سبيل التفوق والكمال من جهد خارق مبرور."[١]

ومن تصويره مثل هذا:

في قصة مصعب بن عمير(ر)

"وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل.....ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح، ووقع مصعب وسقط للواء.

وقع مصعب.....وسقط اللواء....

وقع حلية الشهادة، وكوكب الشهداء....

وقع بعد أن خاض في استبسال عظيم معركة الفداء والإيمان...."[٢]

وفي قصة أبو ذر الغفاري:

عند ما بين خالد موقف أبي ذر ضد المال والترفه

"وألقى الرسول عليه يوما هذا السؤال:

يا أبا ذر: كيف أنت إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيئ...؟

---

[١] خالد محمّد خالد، رجال حول الرسول ط، المكتبة العصري للطباعة والنشر ط/المكتبة العصرية/بيروت ص ٥

[٢] نفس المرجع، ص- ٢٦

فأجاب قائلا:

إذاً والذي بعثك بالحق لأضربن بسيفي....."

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم

"أفلا أدلّك على خير من ذلك.....؟

اصبر حتى تلقاني"

تجري لماذا سأله الرسول هذا السؤال بالذات...؟

الأمراء....والمال...؟

تلك قضية أبي ذر التي سيهبها حياته- وتلك مشكلته مع مجتمع ومع المستقبل...

ولقد عرفها الرسول عليه السلام فألقى عليه هذا سؤال ليزوده بهذه النصيحة الثمينة: "اصبر حتى تلقاني"[١]

ومثل هذا نرى كثيرا من تصويراته التي تجمل سرده وتزين أسلوبه.

ومما يميز كتبه عن غيرها أن خالد ألف كتبه من الروايات التاريخية من أجل إظهار قيم الإنسانية وجوانب الأخلاقية خلال إبرازه شخصيات باهرة ومقبولين لدى المجتمع بمعني أنه كتب لإثبات الأخلاق الدينية وتوطيد مسئوليات الإنسان وواجبات الأشخاص، مثل الصداقة، والعدالة، والحرية، والقناعة، والزهد، ووساوس الفرد، والمواساة، والأمانة وذلك يظهر من قول شاكر النابلسي وهو الخبير بكتب ومقاصد خالد:

"من خلال كتابات خالد الإسلامية عن خلفاء الرسول وعن إنسانيات المسيح، وعن أولياء الله من الصوفية لم يكن خالد يعيد كتابة التاريخ وسير الأنبياء، والتابعين، والأولياء لمجرد التكرار والاجترار التراث ولكنه كان يريد من وراء هذه الكتابات إضاءة الجوانب الإنسانية في هذه الشخصيات والمتمثلة في الحكمة،

---

[١] خالد محمّد خالد، رجال حول الرسول ط، المكتبة العصري للطباعة والنشر ط/المكتبة العصرية/بيروت ص ٤٣

والعدالة والزهد[١] وكانت كتابات خالد الإسلامية، دعوة صريحة من خلال دروس الدين العظيمة للتذكير بإنسانية الإنسان وأخلاقه وواجباته ومسئولياته مواطنا كان أم حاكما[٢]

كانت كتابته ممّا تظهر الحقائق التي تشكل كل ما كان لرجالات الدين ولقواد المجتمع من محاسنهم وسماتهم ولإظهار ما بذلوا في سبيل الحق والتفوق والكمال من جهد خارق مبرور يتجللون في قلوب الناس أبدا وليتنور في ضمائرهم غمدا تعزيز للإسلام والمسلمين وتثبيتا لإنسانية الإنسان وحضارة الحاضرين وليست كتابته لتشويه أصحاب رسول الله صلي لله عليه وسلم ولتشنيعهم كما نرى ذالك في أكثر روايات تاريخية لجرجي زيدان وغيرهم من الروائيين كما يقول الكاتب نفسه في مقدمته كتابه رجال حول الرسول صلي الله عليه وسلم

"والآن لنقترب في خشوع وغبطة من أولئك الرجال الأبرار لنستقبل فيهم أروع نماذج البشرية الفاضلة وأبهاها... ولنرى تحت الأسمال المتواضعة أسمى ما عرفت الدنيا من عظمة ورشد... ولنشهد كتاب الحق وهي تطوي العالم القديم بأيمانها، زاحمة جو السماء بروايات الحقيقة الجديدة التي أعلنوا بها توحيد الرب، وتحرير الخلق"[٣]

السادسة: ومن أظهر المميزات التي انفرد بها سرده وأسلوبه أنه كمتكلم للمخاطبين طيلة قصصه بإلقاء بعض الأفكار إلى القارئين وبتقديم بعض الأسئلة إليهم لاستحضار القارئين في أنفسهم ما سيثبت الكاتب قبل ذكره وبيانه:

كما في قصة جعفر بن أبي طالب:

أنظروا جلال شبابه..

أنظروا نظرة إهابه...

---

[١] شاكر نابلسي، ثورة التراث في فكر خالد محمّد خالد ص ٣٥٦

[٢] نفس المصدر، ص٣٥٧

[٣] - خالد محمّد خالد، رجال حول الرسول ط/ المكتبة العصرية للطباعة والنشر {ص٦}

أنظروا أناته وحلمه...حدبه...وبره...تواضعه وتقاه...

انظروا شجاعته التي لا تعرف الخوف...وجوده الذي لا يخاف الفقر...

انظروا طهره وعفته..

انطروا صدقه وأمانته.....

انظروا فيه كل رائعة من روائع الحسن، والفضيلة، والعظمة، ثم لا تعجبوا، فأنتم أمام أشبه الناس بالرسول خلقا، وخلقا..

أنتم أمام من كناه الرسول ب "أبي المساكين"

أنتم تجاه من لقبه الرسول ب "ذي الجناحين"

أنتم تلقاء "طائر الجنة" الغرّيد.. جعفر بن أبي طالب.. عظيم من عظماء الرعيل الأول الذين أسهموا أعظم إسهام في صوع صوغ ضمير الحياة..

وكما في تصوير رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أي معلم كان... وأي إنسان..؟؟

هذا المترع عظمة، وأمانة وسموا..؟

ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمعذورون.

وإن الذين افتدوه بأرواحهم لهم الرابحون.

ابن عبد الله محمد رسول الله إلى الناس في قيظ الحياة..

أي سر توفر له فجعل منه إنسانا يشرف بني الإنسان..؟

وأي يد طولى، بسطها شطر السماء، فإذا كل أبواب رحمتها، ونعمتها وهداها مفتوحة على الرحاب..؟

أي إيمان. وأي عزم، وأي مضاء..؟

أي صدق، وأي طهر، وأي نقاء..

أي تواضع... أي حب...أي وفاء؟

أي تقديس للحق؟

أي احترام للحياة، وللأحياء..؟

لقد آتاه الله من أنعمه بالقدر الذي يجعله أهلا لحمل رايته والتحدث باسمه بل يجعله أهلا لآن يكون خاتم رسله..

ومن ثم، كان فضل الله عليه عظيما..

ومهما تتبار القرائح والإلهام والأقلام متحدثة عنه، عازفة أناشيد عظمته، فستظل جميعا كان لم تبرح مكانها،

ولم تحرك بالقول لسانها..[1]

فهذه الخطوة العظيمة التي خطّها خالد محمد خالد ليست ممّا يكاد أن يغفل عنها الكتاب والباحثون، وليست ممّا يكاد أن ينسى النّاقدون والدّارسون، بل بقدر ما قدمه الكاتب من خدمات جليلة وطريقة جديدة ينبغي أن تكب هذه الخطوة بماء الذّهب في صفحات تطوّر القصّة التّاريخية ونشأتها وينبغي أن تعتبر هذه المحاولة محاولة جادّة لتزويد الرّواية التّاريخية ولتزيينها بسرد ممتاز جديد وبأسلوب فائق راق وينبغي أن تعتدّ هذه الكتابة كنقطة التحوّل في مجال الرّواية التّاريخية مصبوغة بالحقائق وجوهر الأشياء وغير مشوبة بالخيالات الرّذيلة والتّافهة وغير مقرونة بالأساطير الكاذبة رغم أنه تصويراته تظنّ كالأساطير بفرط أسلوب جماله.

المصادروالمراجع

- رجال حول الرّسول - خالد محمد خالد ط/ المكتبة العصرية بيروت
- ٥٠ فكرة يجب أن تعرفها عن الأدب - جون ساذر لاند ط/ المكتب المصري للمطبوعات
- ثورة التراث دراسة في فكر خالد محمد خالد-د/شاكر نابلسي
- خالد محمد خالد في الميزان-سليمان بن صالح
- شعرية السّرد في روايات أشرف أبواليزيد- د/سبينة ك ط/ دار فهرس
- الأدب والنقد عند العرب – د/أحمد إبراهيم رحمة الله ط/مكتبة كاليكوت

[1] خالد محمّد خالد، رجال حول الرسول ط، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ص١٦٩

***

المرأة في أدب طه حسين رواية "على هامش السيرة " نموذجا

مبشر أحسن
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة كشمير، سرينغر

الحمد لله الذي جعل للرجال من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل استوصوا بالنساء خيرا، وبعد.

المرأة شقيقة الرجل، ولها مكانة رفيعة لا في حياته فحسب، بل في حياة العالم الإنساني كله، وهي التي زين بها الله حياة الرجل ودنياه، إذ تصاحبه وتكاتفه في كل مجال من مجالات الحياة، وتواسيه وتؤانسه في أيام الهم والحزن والقلق، كما تشاركه في أيام السرور والفرحة والبهجة. وعلى هذا فقد منحها الله حقوقا في الحياة، وجعل لها مثل الذي عليها، وجعل للرجل عليها درجة. ولكن ربما يكون الرجل ظالما؛ فبدلا من أن يعوضها إحسانا، فقد يصبح قاهرا عليها، يسلب حقها، ويذيقها أنواعا من الشدة والعنف، وصنوفا من القسوة والظلم، ويهجرها لوحدتها، حتى يطلّقها لأمور تافهة، وهي تذيقه صنوفا من اللذة والراحة والمتعة، وتفتح له أبواب الشفقة والرأفة والحنان، كما تفتح له أبواب القلب، ونوافذه، وتفديه بعواطفها، وأمنياتها، وأحلامها حتى تفديه بنفسها، فيا للعجب...!

فقد ظلت المرأة طوال القرون السابقة في الثقافات المختلفة تطحن في رحى كبر الرجل وغروره، وتعاليه عليها، سواء أكانت في الحضارات الشرقية أو الغربية، أو الديانات المختلفة من اليهودية والنصرانية والهندوسية والمجوسية. ولم تزل على مر العصور القديمة والوسطى حتى في العصر الحديث والمعاصر تعامَل معاملة مخلوق مبتذل ذا مرتبة ثانية؛ فلا تستحق أن يكون لها حقها الملائم بها في شتى مجالات

الحياة، بل يعتبر ارتفاع صوتها ضد القهر والظلم، واستبداد الرجل عليها طغيانا وحربا ضد المجتمع، وأما المرأة الحديثة في مجتمعات غير قليلة من أوربا وأمريكا وغيرها من البلاد الصناعية، فأصبحت علامة إشهار البضائع، كما تتخذ آلة للأغراض التجارية.

وأما المرأة المعاصرة في البلاد العربية فلم تختلف أحوالها عن أخواتها في البلاد الشرقية الأخرى، حيث حرمت من حقوقها وغلقت عليها أبواب السعادة، حتى لا تتنفس في الهواء الطلق، كما لقيت أنواعا من الإساءات... التي تحدث عنها كثير من بنات العرب من أمثال عنبرة السلام الخالدي[١]، وهدى شعراوي التي أثارت في مذكراتها قضايا المرأة وظلم المجتمع لها[٢]، والدكتورة لطيفة الزيات، وذلك في "أوراق شخصية: حملة تفتيش"[٣]. ونوال السعداوي التي تنقل لنا مشاكل المرأة في المجتمع العربي الذي ميز الرجل بسلطة على المرأة[٤]، وإتاحة فرصة ليقهرها[٥]، وذلك في "أوراق حياتي". كذلك عالجت ليلى عثمان وغادة سمان قضايا المرأة من التميز الجنسي، والقهر الاجتماعي، والسياسي الذي يمارسه الرجل عليها... إلى الخ. كما قاوم هذا الوضع كثير من كبار كتاب العرب من أمثال محمد حسين هيكل، في كتابيه "زينب" و"هكذا خلقت"، ويحيى حقي، وطه حسين عميد الأدب.

أما طه حسين فقد أولى المرأة وقضاياها اهتماما بالغا في كتبه وخاصة في روايته " على هامش السيرة"، حيث عرض الجوانب المختلفة لها والقضايا التي تواجهها في

---

١. الأديبة الأردنية والفلسطينية كاتبة للسيرة الذاتية" لأسامة يوسف شهاب دراسات العلوم والاجتماعية، المجلد ٣٦، (ملحق) ٢٠٠٩.

٢. مذكرات هدى شعراوي، مؤسسة هنداوي.

٣. الفتاة المصرية في رواية: الباب المفتوح، (دراسة في البناء الروائي) نشرت في مجلة العلوم الإنسانية الدولية ٢٠١٢ العدد ١٩(٢) ص: ١١٩-١٤٧

٤. انظر للتفصيل: نوال السعداوي حول المرأة العربية والمشاكل الاجتماعية: مجلة المستقبل العربي (مركز البحوث العربية ١٩٨٠)، ص: ١٢٣

٥. جورج طرابيس: أنثى ضد الأنوثة، دراسة في أدب نوال السعداوي على ضوء تحليل النفسي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط: ١، ١٩٩٥، ص: ٣٩

حياتها؛ إذ تحدث عنها مبرزا لإسهاماتها المشرقة في الحياة الإنسانية، ودورها الريادي في المجتمع البشري، كما قام بتصوير إساءات عديدة تلقتها المرأة من قبل الرجال. فرأيت من المناسب أن أجمع للقارئ قطرات من ذلك البحر ههنا، وحتى لا يجد كآبة أو تتطرق إليه السآمة فقد قسمت المقال إلى عناوين تناسب مع مواقف المرأة العديدة من كونها أما وأختا وزوجا وما إلى ذلك، وأكثرت من نقل كلام طه حسين لأنه المحل الشاهد الأصلي، ولأنه أدل على المقصود. فأقول وبالله التوفيق:

١- تقديم المرأة كزوجة ذكية

لم يلبث طه حسين أن ذكر المرأة في الصفحات الأولى من كتابه، كزوجة عاقلة، تجد بعد الزواج عكس ما كانت تحلم به، فلا تصبر أن ترى زوجها كئيبا يعاني مشاكل الحياة وحده. وزوجها على عكسها لا يبالي بها ولا يشاركها في أمره لأنه لا يرى فيها إنسانا يساعده على إيجاد الحل لمشكلته، فيظهر طه حسين بقوته الأدبية، وصياغته الذهبية، وأسلوبه الممتع، بأن المرأة فيها صلاحية إيجاد الحلول لقضايا الحياة، وليس الرجل وحده من يملك هذه القدرة. فقد صور هذه المرأة قائلا: ومضى الفتى إلى أهله. فلما دخل على امرأته أنكرت عودته إليها من الضحى، فاستقبلته دهشةً وهي تقول: إيه يا شيبة! ما خطبك؟ إني لأنكرك منذ أيام، أراك مؤرَّق الليل، قلق النهار، قليل الحديث، طويل التفكير ... فأجابها زوجها بصوت هادئ حزين: عزيز عليَّ يا سمراء ما تجدين من حزن .... ولكنَّ قوة خفية عاتية طاغية تملك عليَّ نفسي، وتأخذ عليَّ كل سبيل وتدفعني إلى حيث لا أدري ولا أريد. .... قالت سمراء: هون عليك ولا تغلُ في الخوف ولا تسرف في الإشفاق. ما أكثر ما يلمُّ أمثال هذا اللطف بالناس عندنا في البادية، فلا يحفلون ولا يأبهون. ومع ذلك فما يمنعك أن تتقرب أنت إلى الآلهة في غير توسط للكاهن ولا توسل به؛ قم فضحِّ لهم، وقرِّب إليهم، فسيرضون وسيرضى الفقراء والجائعون، وسيغيظ ذلك قومًا من قريش.[١]

[١]. حسين، الدكتور طه: على هامش السيرة، ص: ١٩. (المجموعة الكاملة، طبعة الهنداوي بالقاهرة).

يلقن طه حسين في هذا المقطع بأن زوجة عبد المطلب كانت وفية لزوجها، وزكية؛ تشعر كآبته وحزنه وتقدر على حل مشاكل زوجها، وتشير عليه بمشورة حسنة.

٢- تقديم المرأة كحاكمة بصيرة

يذكر طه حسين بأن قريشا وقبائل أخرى نازعت عبد المطّلب على ماء زمزم، فاحتكموا إلى امرأة كاهنة في مُعان بالشام، كما قال طه حسين "وكاد الشرُّ يقع بين القوم، ولكن عبد المطلب قال يا قوم فيم قطع الأرحام، وخَفر الذمام، وإراقة الدماء! إني والله ما أوثر نفسي من دونكم بشيء. فإن أبيتم أن تؤمنوا لي فهلمَّ إلى حكمٍ فليقض بيننا. قال الملأ من قريش: لقد أنصفكم ابن أخيكم من نفسه، فليكفَّ بعضكم عن بعض، ولنحتكم إلى كاهنة بني سعد هُذَيم، فما نعرف أبصر منها بمواقع الحكم. وكانت قافلة قريش تتجهز للرحلة إلى الشام؛ فأجمع القوم أن يصحبها رسلهم إلى الكاهنة في مُعان".[١] وهنا يصور طه حسين المرأة في صورة الحاكمة بين عقلاء الناس.

٣- تقديم المرأة كالأم

لقد صور طه حسين المرأة في صورة الأم مرارا، ومنها حين تحدث عن أم النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أثناء ذلك عادة شعبية اجتماعية وهي: أن النساء يجتمعن في بيت المرأة الحامل ساعة المخاض، ويعملن بكل جد وجهد في تسهيل أمور الولادة وما يتبعها، فيقول ".....على أن الأيام لم تكن تتقدم بآمنة نحو ذلك اليوم المشهود، حتى.... أحست بعض ما يحس النساء حين يدنو منهن المخاض. هنالك دعت إليها من حضرها من نساء بني هاشم، فأسرعن إليها وقضين معها ليلة لا كالليالي، أنكرن فيها كل شيء وأعجبن فيها بكل شيء. أنكرن حتى أنفسهن؛ فقد رأين ما لم يرَ أحد، وسمعن ما لم يسمع أحد، وأحسسن ما لم يحس أحد".[٢]

وفي هذه العبارة اللطيفة ينوه الدكتور بدور المرأة في المجتمع، وصلاحية عملها خاصة في ذلك المجتمع الذي لا توجد فيه المستشفيات ولا الإسعافات ولا الأطباء،

---

[١]. على هامش السيرة، ص: ٢٨.

[٢]. نفس المصدر، ص: ١١٧-١١٨.

وإنما هو تعاون وتعامل وإسعاف فيما بين الناس، وسوآء فيه أهل الريف وأهل المدينة، حتى وضعت آمنة كما تضع كل أنثى".[١]

٤- تقديم المرأة كمرضعة

ذكر طه حسين بأن المرأة التي قامت بحضانة النبي هي أم أيمن، فذكر من أنسها بهذا الطفل، وحنانها عليه، وحبها وإخلاصها ورعايتها له فكانت هي أمه الثانية. على حد تعبير المؤلف "لقد خلص الطفل لحاضنته من دون الناس... ليس له من يرعاه أو يكلؤه إلا قلبها العظيم الكريم. من ذلك الوقت أصبحت للطفل أمّا، رعته صبيّا وشابا، فرغت له ولم تشغل عنه بأحد ولا بشيء ".[٢] كذلك يصف المرأة كمرضعة في موضع آخر...تحت عنوان: "المراضع"، فيصف ظاهرة اجتماعية كانت فاشية في المدن، وهي أن أهل المدينة كانوا يرسلون أطفالهم الرضع إلى البادية فكانت ترضعهم نساء أهل الريف والقرى، ومهما كان لذلك من السبب إلا أن أكبر المبررات لهذه العملية هو وفاء وصدق نساء البادية وعطفهن على الأطفال وكمال حبهن، وحسن رعايتهن لهم. وقامت بهذا الدور بنت ابن أبي ذؤيب وهي حليمة السعدية التي أسندت إليها آمنة بنت وهب رضاعة ابنها، للمرة الثانية، كما يصور الموقف الدكتور طه قائلا: ثم تهم حليمة أن ترجع وقد أرضت آمنة وعبد المطلب، وأرضتها آمنة وعبد المطلب، ولكنها لا تستطيع فراق الطفل حبّا له وحدبًا عليه، ورغبة في استبقاء ما وجدت في استصحابه من خير؛ فتلح على آمنة أن ترده معها إلى البادية، هناك حيث الهواء النقي، والسماء الصافية، والحياة الهادئة البريئة، هناك حيث لا مرض ولا وباء ولا فساد. وتجيبها آمنة إلى ما أرادت وقد آثرت الطفل على نفسها، وضحت بلذة الأمومة في سبيل تنشئ ابنها تنشيئًا صالحًا. وهل عرفت آمنة إلا التضحية! وتمضي حليمة بالصبي راضية، وتبقى آمنة في مكة محزونة. وتنظر بركة إلى حليمة نظرات فيهن

---

[١]. هيكل، الدكتور محمّد حسين، حياة محمّد، ص: ١٢٥.

[٢]. على هامش السيرة، ص: ١٢٦.

الحسد. وتنظر بركة إلى آمنة نظرات فيهن اللوم.[1]

٥- تقديم المرأة كعاشقة الحرية

المرأة بطبيعتها لم تخلق لتكون خادمة للرجال، فهي لا تحب الرق والعبودية، بل تحب الحرية اللائقة بها، لكنها تعجز عن تنفيذ إرادتها، ولقد صور طه حسين المرأة التي أصبحت خادمة رغم أنفها، فقال: "هذه الأمة الحبشية... لم تأنس إلى رقها.... فهذا شبابها يذبل، وقد كان يريد أن يزهر ويتألق. وهذه آمالها تبتر بترًا، وهي محزونة النفس كاسفة البال، لا تبتسم إلا متكلفة ولا ترضى إلا متصنعة، ولا تطمئن إلى هؤلاء الذين من حولها ينظرون إليها نظرات مهما يملأها العطف والرفق، فهي نظرات السادة الذين لهم أن يبيعوها وإن لم تؤثر أن تباع.[2]

٦- تقديم المرأة كأخت شجاع

لا شك في أن الأخت تحب أخاها، وتفديه بمالها ونفسها، وهذا عين ما وصف به طه حسين المرأة العربية حيث حكى قصة عبد المطلب بوفاء نذره الذي كان يقتضي منه أن ينحر أحد أبناءه قائلا "خرج القدح على عبد الله؟ فأخذ الشيخ بيد ابنه يقوده إلى المذبح وفي يده المدية. ولكن بناته جميعًا وأمهن قمن دون الفتى صائحات يستصرخن بني مخزوم، ويستصرخن قريشًا كلها، ويمنعن الفتى بحياتهن. وأقبلت إحداهن إلى الشيخ ضارعةً ثائرة معًا فقالت: إذا كان قلبك قد استحال إلى صخر، فلا ترقَّ لابنك الشاب، ولا لأمه الشيخة، ولا لأخواته البائسات... فدعنا نحتكم في هذا الفتى إلى رب هذا البيت؛ فهو أوسع منك رحمة... وكانت قلوب قريش قد تفطرت حزنًا، وتصدعت أسى لقول هذه الفتاة وهي تبكي، وقد التزمت أخاها تعانقه وتقبله وتغسل وجهه الناصع بدمعها الغزير وهي تصيح: لأموت، قبل أن تموت! فما زالت قريش بالشيخ تلاينه حينًا وتخاشنه حينًا، حتى اضطرته أن يقبل تحكيم الآلهة".[3]

---

[1]. على هامش السيرة، ص: ١٣٥.

[2]. نفس المصدر، ص:١٢٣-١٢٤.

[3]. نفس المصدر، ص: ٣٥-٣٦.

٧- تقديم المرأة كصاحبة متعاطفة

إن الحب والود بين الزميلات والصديقات مما جُبل عليه عالم النساء، وهكذا يصور طه حسين سمراء وصاحبتها الضرة لها فاطمة، وذلك حين خرج القدح على ابنها عبد الله، وتقرر ذبح عبد الله، نسيت سمراء كل ما بينها وبين فاطمة أم عبد الله من المنافسة، والصراع الذي يكون بين الضرات، وقالت لإمائها "لا مُقام لنا الآن، لنسرع إلى حيث هم لنشاركهم فيما يجدون.... حتى إذا بلغن البيت ألفين فيه امرأتين تبكيان، إحداهما هالة بنت وهيب أم حمزة وزوج عبد المطلب، والأخرى بنت عمها اليتيمة آمنة بنت وهب. هنالك أقبلت سمراء هادئةً باسمة إلى الفتاة، فكفكفت من دموعها، ضمتها إليها وقبلت جبينها الطلق. ثم التفتت إلى عبد الله وهي تقول "هلمَّ يا فتى فقبل أهلك، فمهما تغللها في المهر فلن تبلغ هذه الدموع التي ذرفتها حزنًا عليك. ثم نظرت إلى فاطمة وهي تقول: ألا ترين أنها أحقُّ فتيات قريش أن تكون له زوجة"؟[١] فلم ترجع حتى ربطت عبد الله وآمنة بنت وهب في رابط الزواج، وهذا من كمال رعايتها لضراتها، وهذه صفة الصاحبة المتعاطفة الناصحة. وقد صورها طه حسين هنا في عبارة عذبة الرائعة.

٨- تقديم المرأة كتاجرة متعاونة

لقد وصف طه حسين دور المرأة في إثراء الرجل في قالب أدبي ممتاز، وذلك حين تحدث طويلا عن خديجة وعن مالها وتجارتها، وكيف كانت تدير شؤون تجارتها خارج مكة في بلاد نائية مع أنها جالسة في بيتها لا تخرج منه، وكيف كان لها الدور البارز في التعاون مع فقراء أهل مكة؛ ترسلهم في تجارتها حتى يكسبوا المال، ويكفلوا به أهلهم وذويهم. ويذكر طه حسين بأن المرأة هي التي أصبحت سببا في إثراء محمّد صلى الله عليه وسلم حين كان يرعى غنم أهل مكة على قراريط، فأحزن ذلك خديجة فأرسلت إلى أبي طالب كفيل محمّد بأنها ترغب أن ترسل محمّدا في تجارتها هذا العام وذلك على

[١]. على هامش السيرة، ص: ٣٧ .

ضِعف ما كانت ترسل عليه غيره.[1] ولا شك في أن طه حسين أظهر بهذا مكانة المرأة القوية في المجتمع، وأنها ليست عاجزة عن التعاون في حياة الرجل، بكونها تاجرة ثرية سخية وفي نفس الوقت غير سافرة وذات عفة وأمانة.

٩- تقديم المرأة كمُصلحة غيورة

كذلك قام طه حسين بوصف دور المرأة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك حين نال (سبّ) أبو جهل من النبي صلى الله عليه وسلم وسمعت امرأة تلك الشتائم فأبلغت الخبر إلى حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك سبب إسلام حمزة، "الرجل" الذي عرف في الإسلام بلقب سيد الشهداء ولا شك في أن هذا دور عظيم وريادي جدا لعبته هذه المرأة التي لم تتحمل سماع نباح أبي جهل، حتى أعلمت بذلك حمزة بن عبد المطلب. ففي هذا من الدفاع عن عرض النبي وعن دينه ودعوته، كما يقول طه حسين "وقد أقبل ذات يوم فأنبأته امرأة بنبأ عظيم تغيرت له حياته كلها. كانت هذه المرأة مولاة لعبد الله بن جدعان، وأكبر ظني أنها كانت صاحبة دعابة وغزل .وأكبر ظني أن أبا جهل حين وقف إليها إنما وقف مداعبًا مغازلًا طامعًا منها في شيئ مريب. ويمر النبي صلى الله عليه وسلم فتمتلئ نفس أبي جهل غيظًا لمرآه على ما كان يضمر له من بغض وقلى. وإنه لفي موقفه هذا المريب الذي لا يحسن بالأشراف من قريش إذ أخذ يؤذي النبي في نفسه بأشنع القول وأبشعه ..... ويقبل حمزة من صيده متوشحًا قوسه مبتهجًا بما أصاب من لذة وما أنفق من نشاط، فيمر بهذه المرأة في طريقه إلى المسجد، وإذا هي تقفه، وإذا هي تنبئه بما رأت وما سمعت، فيسمع منها...."[2]

ولكن من العجيب أن يكون طه حسين قد أساء إلى هذه المرأة وذلك حين وصفها صاحبة الدعابة والغزل، بدلاً من أن يصفها بالغيرة، وبنصرة النبي صلى الله عليه وسلم. ولا شك في أن موقف طه حسين مع هذه المرأة موقف سلبي بحت لا يتناسب مع حوادث القصة ولا يليق بالمؤلف.

---

[1]. المصدر السابق، ص: ٢٣٣- ٢٣٤ بالتصرف.

[2]. المصدر السابق، ص: ٣٤٧.

خاتمة:

وهذه بعض نماذج من تصوير طه حسين للمرأة، فلقد أفاد وأجاد حين أظهر عدة نواح مشرقة من حياة المرأة في قالب قصصي رفيع الطراز، فإنه حقا "يتخذ من السيرة النبوية وما فيها من أحداث وأشخاص مادة لقصص رائع". [1] كما يثبت بأن المرأة لم تخلق لخدمة الرجل وليست هي كمخلوق ذو مرتبة ثانية، بل إنها خلقت لأداء دور كبير في المجتمع البشري، وتتصف بالخصال المحمودة مثل ما يتصف بها الرجل، ولها القدرة على حل المشاكل والقضايا الاجتماعية؛ لمؤهلاتها الذهنية والعلمية والتجارية. فهي زوجة وفية، وأخت شجاع، وتاجرة متعاطفة، وإضافة إلى هذا كله فلها المَلكة القوية على تربية الجيل الناشئ؛ هي أم حنون وعلامة تضحية في الأرض، لذا قال النبي عليه السلام: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ...[2]".

هذا وصلى الله وسلم على خير خلقه محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

[1]. ضيف: د/ شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: ٢٨٢.

[2]. صحيح البخاري. حسب ترقيم فتح الباري (٣/ ١٥٧)، رقم الحديث: ٢٤٠٨ .

"على هامش السيرة" في ضوء الحقيقة والخيال

خليق الرحمن
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

يعد طه حسين(١٨٨٩-١٩٧٣م) من الأدباء القلائل الذين قدروا تقديرا كبيرا في العالم العربي بإنتاجاته الأدبية المتنوعة وعلاقته الوثيقة بالأدب العربي. لم تقتصر إسهاماته الأدبية على جانب واحد بل إنما ضرب في كل مجال بسهم وافر ومؤثر مقدما نماذج أدبية رائعة. وقد عني الكتاب والأدباء بإنتاجاته الأدبية عناية كبيرة بحثا ونقدا، غير أنهم لا يهتمون بإنتاجه في مجال السيرة النبوية، ولعل السبب يرجع إلى أنه لم يسهم في هذا المجال بسهم وافر بالنسبة لإنتاجاته الأدبية والثقافية في الأدب العربي. يجدر بنا أن نقوم في هذه المقالة بدراسة تحليلية لكتابه "على هامش السيرة" دراسة نموذجية من حيث المنهج والأسلوب كي يتضح لنا سماته الفنية ومعالمه الفكرية الذي جعله موضع نقد وثناء لدى الأدباء والنقاد من وجهة نظرهم الخاصة.

يشتمل هذا الكتاب على ثلاث مجلدات فالجزء الأوّل يتحدث عن المواد التالية وهي حفر زمزم، والتحكيم، والفداء، والإغراء، والبين، والقضاء، والرّدة، والطاغية، والبشير، وراهب الإسكندرية، واليتيم، والحاضنة، والمرضع، والبر[١]. وأمّا الجزء الثاني فقد بدأه الدكتور طه حسين بعنوان الفيلسوف الحائر وختمه على عنوان نادى الشياطين[٢] بقول خالد بن سعيد الّذي كان يقص على أخيه عمرو بن سعيد. فقال له: "لقد رأيت عجبا وأني لأرى هذا أمرا يكون في بني عبد المطلب إذ رأيت النور خرج من زمزم"[٣]. والجزء الثالث من هذا الكتاب يحتوي عدة عناوين من موارد السيرة فمنها، صريع الحسد، وسيد الشهداء، وذو الجناحين، وحديث عداس، ومصعب بن عمير،

---

[١]. طه حسين: على ها مش السيرة، ج١،ص:١٩٥ الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٤م

[٢]. نفس المصدر، ج٢، ص: ٢٢٦

[٣]. نفس المصدر، ج ٢، ص: ٢٣٣

وطريد اليأس، ونزيل حمص، والوفاء، وطبيب النفوس، وشوق الحبيب إلى الحبيب، والقلب الرحيم، ويختم هذا الجزء على "فإنك يا حنظلة قد أحببت ذكر إبراهيم في هذه القرية فوضعت الجزية عن أهلها"[1]. وهذا من ناحية الفهرس، ولمّا عدنا إلى الجزء الأوّل نجد أنه تخيل فيه كيف كان الأشخاص وكانت الأحداث في قريش قبيل مولد الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام حتى ميلاده، وإرضاعه في ديار بني سعد، وأحداث عام ميلاده من هجوم جيش أبرهة على الكعبة، ثمّ محاولة فداء جده عبد المطلب بأبيه عبد الله أمام الإلهة، ثمّ زواج أبيه عبد الله بأمه آمنة بنت وهب، كل ذلك في صورة قصص متخيلة، وحوار متخيل في حين أن هذه الأحداث حقيقية التي سرد من خلالها طه حسين، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[2]. وأمّا في جزئه الثاني، من هذه السلسلة الجميلة، فيتصور طه حسين الأحداث الّتي دارت وحدثت حول الرسول صلى الله عليه وسلم قبل تبليغ الرسالة وقبل أن تلقى أمر النبوة، وقد تخيل الكاتب أيضًا كيف كانت قريش تعظم من قدر محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيمته وشأنه وكيف تطلق عليه الصادق الأمين، وترتضي لحكمه، وكيف كانت السيدة خديجة بنت خويلد سيدة نساء مكة، الملقّبة بالطاهرة تهيم به وترضاه وتتمناه لها زوجا رغم فقره وكونه راعيا للغنم. وكيف كانت رحلته للشام، وكيف علم الأحبار والنصارى بأخبار الّتي ذكرت بكتبهم دون أن يروها فكيف كانوا ينتظرون قدومه، قدم المؤلف كل هذا في سرد بديع جميل ممتع[3].

وفي الجزء الثالث يأتي الحديث عن عمرو بن هشام الّذي سمي "بأبي الحكم" أو "بأبي الجهل" وسيرته وكيده وتدبيره السوء للرسول صلى الله عليه وسلم، وعن تبشير ورقة بن نوفل للسيدة خديجة بأن تأويل ما حدث مع زوجها من بدء نزول جبريل عليه

---

[1]. طه حسين: على هامش السيرة، ج٣، ص: ٢٤٣

[2]. شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص: ٢٨٠

٣. سامح كريم: ماذا يبقى من طه حسين، ص: ١٣٣

السلام بالوحي بآية (إقراء باسم.... الخ) أنه هو خاتم الأنبياء والرسل روي المؤلف وكذلك قصة إسلام الصحابي الشهير "مصعب بن عمير" وما حدث معه في حمل راية المسلمين في واقعة أحد وقصة بعض الصحابة الكرام مثل خادم الرسول زيد بن حارثة وغيره[١]. وجدير بالملاحظة أنه كتب هذا الكتاب متأثراً بقصص تمثيلية قرأها منذ أعوام فصار نهجه من إحياء الأدب القديم ومن إحياء ذكر العرب الأولين[٢]. على نحو ما نعرف من قوله حيث صرح "أن قراءة الأدب القديم عسيرة وفهمه أعسر وتذوقه أشد إعسارا". وفي رأيه أيضًا "إنما الأدب الخصب حقا هو الّذي يلذّك حين تقرأه لأنه يقدم إليك ما يرضي عقلك وشعورك وإذا أنت تعيده على الناس فتلقيه إليهم في شكل جديد يلائم حياتهم الّتي يحبونها وذلك هو الأدب القادر على البقاء"[٣]. فمعناه أن الدكتور طه حسين يلتفت بشدة من خلال كتابته "على هامش السيرة" بإخراج الأدب القديم إلى إحيائه وإحياء ذكر العرب الأولين في الأدب الحديث والشيء الّذي لاحظنا هنا هو أن تجاوز المؤلف الحدود في بعض بيان القصص ورواية الأخبار واختراع الحديث حيث يتبين أنه جرى على طريقة الحرية والسعة في رواية الأخبار ولكن على طريقة الاحتياط في أخبار النبيّ صلى الله عليه وسلم به فهو يشير إلى ذلك قائلا: "إني وسعت على نفسي في القصص ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث مالم أجد به بأسا إلّا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبيّ"[٤]. فلا نبالغ إذا نقول إن طه حسين ولج في هذا الميدان متأثرا بأدباء الغرب وأقاصيصهم التمثيلة وجعل اسمه يتردّد على أيدي الكتاب والنقاد، وسلك مسلك الأجانب آخذًا البراهين العقلية في بيان قلب النبيّ صلى الله عليه وسلم مفصلا قصة حب زينب زوج زيد

---

١. سامح كريم: ماذا يبقي من طه حسين، ص: ١٦٥

٢. أنور الجندي: المعارك الأدبية، ص: ١٤

٣. طه حسين: على هامش السيرة، ج ١/ ص: ١٤٥

٤. نفس المصدر، ص: ج١/ ص: ١٥٧

وانصراف زيد عن زوجته زينب، ومثل هذه الأقوال صدرت من قبل بعض المنافقين والأجانب ولكن إذا بلغت رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال عن زيد: "إنه دخل الجنة" فقد سعى وسعد المنبر وقال: اللهمّ اغفر لزيد، اَللّٰهُمَّ اغفر لزيد اَللّٰهُمَّ اغفر لزيد فقد استغفر لزيد ثلاث مرات. فبمثل هذه النصوص الّتي أوردها الدكتور طه حسين لتوليد معنى التذوق بكتابة السيرة يتولد الشك في نفس القارئ حول زواج النبيّ صلى الله عليه وسلم مع زينب بعد مفارقتها عن عقد زيد بن حارثة (نعوذ بالله من ذلك كله). وهنا نعتقد على طه حسين لأنه كان ينبغي له أن يوضّح وفور الحب الّذي كان بين النبيّ وبين زيد بن حارثة توضيحا إيجابيا فإنه بنفسه يعتقد بأن كما قال في كتابه ج٣/ ص: ٢٢٥ "حب هذا الفتى وقع في قلب النبيّ الأمين وملأ حب الأمين قلب الفتى"[١]. فإننا لا نرى شيئًا يدل على عقيدة طه حسين ووجهة نظره فالأخبار الّتي يتحدث عنها الدكتور طه حسين لا نجدها في كتب تاريخ الإسلام ولا حتى في الأساطير والأقوال المأثورة بالرغم من ذلك نعرف جميعا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرنا بغضّ الأبصار وحفظ الفروج، فكيف يمكن أنه صلى الله عليه وسلم يفعل ما نهى المسلمين عنه وكيف يمكن أنه صلى الله عليه وسلم يحب امرأة أجنبية وهي زوجة رجل آخر، كما يشير إليه الدكتور طه حسين في "على هامش السيرة". وهذا من أعظم البهتان الّذي بهت طه حسين على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

إنّ طه حسين عنى عناية كبيرة بالأساطير وآثر الأساطير الموضوعية على الأحاديث الصحيحة، حتى يأخذ بالأحاديث الموضوعة ثمّ يضطر برد الأحاديث الصحيحة لأنها تخالف الآراء الّتي يتحدث عنها هو وكذلك يعتمد كثيرا على الإسرائيليات الّتي أوردها ابن إسحاق عن أهل الكتاب وعما قبل النبوة ولكن ما كان يعتمد بهذه الأحاديث. وكذلك صرح طه حسين في كتابه على لسان عبد المطلب إذ

---

[١]. طه حسين: على هامش السيرة، ج ٣/ ص: ٢٢٥

[٢]. غازي التوبة: نقد على هامش السيرة، ص: ٢٣٣

قص حكاية حفر زمزم والرؤيا الّتي كانت تتكرر على عبد المطلب فمرة يطلب منه حفر طيبة ومرّة برة ومرّة المضنونة وأخيرا يأتيه ليقول له أحفر زمزم[١]. وذكر المؤلف بعد ذلك ما لاقاه عبد المطلب من نكران قريش عليه في أمر الطائف الّذي يأتيه في المنام ليحفر بئرًا في فناء المسجد وغيره من الأحداث. فبهذه العبارة المذكورة يتجلى لنا أن حفر زمزم جرى على يد عبد المطلب حيث يقص الكاتب له أساطير كثيرة غير أن الأمر عكس على ذلك لأننا نجد معظم الأحاديث الصريحة الّتي تشهر بأن حفر زمزم كانت تجري خارق العادة على يد إسماعيل عليه السلام بل إننا نجد الآيات القرآنية على شهادة وتقوية لها. على هذا النحو أن طه حسين وقدماءه تزلزلوا في هذا المقام أيضًا ومالوا إلى الأساطير والخرافات تاركين وراءه دلائل نقلية وعقلية ومع أننا ما رأينا من النقاد المعاصرين متفقين على هذا الرأي بل أنّ معظمهم نقدوا على طه حسين نقدا لاذعا ولاغرو في ذلك[٢]. وكذلك بالغ المؤلف في قصة ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يثبت فيها إلّا حديثا واحدا على نحو من العبارة الآتية الّتي يتضح فيها لنا كيف بالغ طه حسين في قصة ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم "وهي يقظة غير نائمة، أن نوراً ينبعث منها فيسيل الأرض من حولها ويزيل الحجب عن عينها، وكانت تنظر فترى قصور بُصرى في أطراف الشام، وكانت تنظر فترى أعناق الإبل تردي في أقصى الصحراء"[٣]. وقال أيضًا: "وكانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر فإذا نجوم السّماء تدنوا من الأرض وتمد إليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة، وإنها لتدنو وتدنو حتى يخيل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها"[٤]. هكذا تتجلى في هذه العبارة أن طه حسين قد بالغ في قصة ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم فأثبت أن آمنة رأت

---

١. طه حسين: على هامش السيرة، ج١، ص: ٣

٢. غازي التوبة: نقد على هامش السيرة، ص: ٢٥٤

٣. طه حسين: على هامش السيرة، ج١، ص: ١٥٢

٤. نفس المصدر

النور ينبعث في حالة اليقظة ولكن الحقيقة هي أنها رأت النور في المنام كما نرى في كتب الأحاديث[1]. وكذلك عجز عن ذكر رواية صحيحة عن مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعن لمحات وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بمرضعته حليمة السعدية وحاضنته أم أيمن رضي الله عنها وسلوكه مع أقرانه وهو صغير[2]. فمن هذا القبيل يمكن لنا أن نقول إن هذه السيرة صنيعة عالية في نطاق الأدب الحديث وكتاب غير مصون من حيث تعقيدات الفكر الإسلامي فإذا اتصل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بحياة ملايين المسلمين جميعا وأن فكرة طه حسين متولدة من أفكار الأوربيين[3]. وفضلا عن ذاك نجد طه حسين يتوغل في الحديث عن أهل نجران وفي أمر اليهود والتحدث عن اليهود وصراعها والحوار بين الحاكم الروماني وصديقه كاليكراتيس واندروكليس والنصرانية وآلهة اليونان والرومان القدماء فالقارئ المثقف بآداب السيرة يضطر على أن الدكتور طه حسين لم يُرد بحريته إلى إباحيتها لنفسه إلّا لهوى معين وهدف واضح فهو الّذي يعتذر التناقض في بعض أحداث السيرة مع العقل وعدم استقامتها مع التفكير العلمي ولكنه يبدو موقفه بأن هذه الأساطير ترضى ميل الناس إلى السذاجة[4]. فهو يقول طه حسين دفاعا عن هذا: "وأنا أعلم إن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون إلّا به ولا يطمئنون إلّا إليه وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث الّتي لا يسيغها العقل ولا يرضاها[5]. ولكننا نلاحظ بعد مطالعة هذا الكتاب أن فيه انحرافا واضحا من الأحاديث فلا أصل للأحاديث الّتي يتذكرها طه حسين ولو كانت صحيحة

---

[1]. محمّد مهدي الإسطنبولي: طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، ص: ٢٣٣

[2]. طه حسين: على هامش السيرة، ص: ج١/ ص: ١٥٤

[3]. غازي النوبة: نقد على هامش السيرة، ص: ٢٢٠

[4]. غازي التوبة: نقد على هامش السيرة، ص: ٢١٨

[5]. طه حسين: على هامش السيرة، ص: ج١/ ص: ١١٥

قوية بالدلائل والبراهين إذا هي تخالف العقل ولا يدخل في أعماق نفس الإنسان. ففكر طه حسين كمثل هذه الحوادث الّتي لا تطبق بأي وجه من وجوه العقل ولا في فكرة الإسلام والعقائد المثبتة بالقرآن والأحاديث فهذا الصدد يجدر بنا أن نقول إن فكره في هذا الكتاب فكرة المستشرقين لا المسلمين الصادقين. على هذا النحو أن أفكار الإسلام وعقائده في هذا الكتاب كمثل كتابه الشهير الّذي ضجّ لأجله نزاعات وخلافات بين الكتاب والنقاد وهو كتاب "في الشعر الجاهلي" كما صرّح زكي مبارك قائلا: "أنا أوصي قرائي أن يقرأ هذا الكتاب برؤية فان فيه نواحي مستورة من حرية العقل"[١]. وكذلك انتقد بعض النقاد على طه حسين في مجلة الشباب الجزائرية حيث كتب تحت عنوان "دسائس طه حسين"! فقال ألف طه حسين كتابا سماه "على هامش السيرة" يعني السيرة النبوية الطاهرة فملأه من الأساطير الوثنية وكتب ما كتب في السيرة على منوالها فأظهرها بمظهر الخرافات الباطلة وأساطير الخيال حتى يخيل للقارئ أن سيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم ما هي إلّا أسطورة من الأساطير[٢]. وقد يقول الدكتور محمّد حسين هيكل عن هذا الكتاب "إن طه حسين اتخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم مادة أدب الأسطورة وسلك مسلك كتّاب الغرب ممن يتحدثون عن الأساطير القديمة فينشرونها ويزينونها وطه حسين قصد إلى إحياء أدب الأساطير، وإقامة أساطير ميثولوجيه إسلامية لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه. ومن أجل ذلك نرى ارتفعت صيحة المسلمين في مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام[٣]. فالتبعية واضحة في كتابات طه حسين الإسلامية للمناهج الغربية الّتي تودي إخراج المسلمين من الإصالة والاستسلام الواضح للفكر الوثني بصفة عامة والفكر اليهودي بإسرائيلياته بصفة

---

١. زكي مبارك: زكريات باريس، ص: ١٤٥

٢. سيد حسين العفاني: أعلام واقزام في ميزان الإسلام، ج ١، ص: ٦٥

٣. محمّد حسين هيكل: مجلة دسائس طه حسين، ص: ١١٥

خاصة بل يكاد يكون الدكتور طه حسين من خلال مختلف كتبه الإسلامية محييا لمفهوم الإسرائيليات ووجهة نظر اليهود بحيث اختار السيرة النبوية كوسيلة لإحياء التراث الأدبي القديم فنسج كثيرا من موضوعاته على خيوط الدارمي الطبيعي وأطلق فيه خياله العنان وحرّر نفسه في اختراع القصص لأن هدفه أن يتخذ سيرة النبيّ مادة للأدب الأسطوري[1]. فإذا نؤمن بأنه لم يقصد بها التأليف المهم إلى أي أضافة تاريخية فيمكن لنا أن يضع هذا الكتاب في نطاق الكتابة التاريخية كما اعترف طه حسين نفسه بذلك إذ قال: "هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لأني أراد بها إلى العلم ولم اقصد بها إلى التاريخ، وإنما هي صور عرضت لي أثناء قراءتي للسيرة فأثبتها مسرعا ثمّ لم أر في نشرها بأسا ولعلي رأيت في نشرها شيئًا من الخير، فهي ترد على الناس أطرافا من الأدب القديم قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم فليس يقرأها منه إلّا أولئك الّذين أتيحت لهم ثقافة واسعة عميقة في الأدب العربي القديم"[2]. فهذا الفكر الّذي غلب على هذا الكتاب بصورة تامة. ومع كل ذلك نعترف بأن طه حسين انحرف وانعزل عن آراءه والأفكار الإسلامية والعقائد المثبة كما انحرف عن أفكار كتاب السير السابقين ولكننا إذا تحدثنا عن ناحية أسلوبه فنجده عذبا سلسا جديرا لبيان القصص والروايات والسيرة النبوية أيضًا فهو أسلوب مملوء بقوة العاطفة وتنميق الألفاظ، والإطناب والتطويل. كما امتاز بكل ذلك هذا الكتاب الّذي نتحدث عنه والّذي استخدم فيه المؤلف أساليب متنوّعة، فتارة نجده يستخدم السجع وتارة نراه يستخدم الترسل متخفّفا من أثقال الصنعة والصبغ البديعي وتارة نلاحظ الاقتباس من الآيات القرآنية، وأحيانا نجد في أسلوبه جلجلة العبارة أيضًا. فبالرغم من الانتقادات اللاذعة امتاز هذا الكتاب بما فيه من عبارات رائعة وأسلوب جذاب ممتع.

---

[1]. غازي التوبة: نقد على هامش السيرة، ص: ١٥٧

[2]. طه حسين: على هامش السيرة، مقدمة الكتاب، ص: ١

المصادر والمراجع

١- د. طه حسين: على هامش السيرة، الجزء الأوّل، الناشر دار المعارف، كورنيش النيل الطبعة التاسعة عشر ١٩٩٢م، القاهرة.

٢- د. طه حسين: على هامش السيرة الجزء الثاني، دار المعارف، الطبعة التاسعة عشرة ١٩٩٢م، القاهرة.

٣- د. طه حسين: على هامش السيرة، الجزء الثالث، دار المعارف، الطبعة الثالثة

٤- ابن القيم: محمّد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية ومكتبها.

٥- ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٢م.

٦- ابن هشام: السيرة النبوية، المقدمة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٦م.

٧- أبو الحسن علي الندوي: السيرة النبوية، دار ابن كثير دمشق، ط، الثانية ١٤٢٥هـ.

٨- أبو عبد الله محمّد بن عمر الواقدي: كتاب المغازي.

٩- أحمد اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٩٩م.

١٠- أحمد أنور: سيد أحمد الجندي، المعارك الأدبية، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٨٣م.

١١- أحمد أنور: سيد أحمد الجندي، النثر العربي تطوره وأعلامه، القاهرة ١٩٧٧م.

١٢- أحمد أنور: سيد أحمد الجندي، طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٩٦٥م.

١٣- أحمد بن يحيى بن جابر داود البلاذري: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف بيروت ٢٠١٠م.

١٤- حمدي سكوت: أعلام الأدب العربي المعاصر في مصر، دار الكتاب العربي ١٩٨٣م. والعشرون ١٩٩٣م، القاهرة.
١٥- د. محمّد حسين هيكل: حياة محمّد، دار المعارف، الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٧م، القاهرة.

* * *

نجيب محفوظ من خلال أعماله الروائية

عاشق حسين مير
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

رياض أحمد راتهر
باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

لا يختلف فيه الاثنان أن نجيب محفوظ من أشهر الروائيين في الأدب العربي الحديث الذي رفع الأدب العربي إلى ذروة القمة وله مكانة مرموقة في العالم العربي بفكرته الرفيعة وأسلوبه الفائقة في فن الرواية، وأنّه ألف عديدا من الروايات وعشرات من مجموعة الأقاصيص قدم فيها الجوانب الاجتماعية والسياسية والإصلاحية وغير ذلك. ونال شهرة عالمية بإنتاجاته الوفيرة الممتازة وبالإضافة إلى ذلك أنه نال عددا من الجوائز الشرفية في العالم العربي والأجنبي وجدير بالذكر أنه أول أديب عربي حصل على جائزة نوبل العالمية في الأدب عام ١٩٨٨م. وكان مفخرا من مفاخر الأدب العربي.

نشأته وتعليمه

اسمه الكامل هو نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم أحمد باشا حيث تعود أصول أسرته إلى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط. وُلد في حي الجمالية وهو أحد أحياء منطقة الحسين بمدينة القاهرة المصرية في ١١ ديسمبر ١٩١١م.(١)

تلقى دروسه الأولى في مدرسة الحسينية الابتدائية. وانتقل في المرحلة الثانوية وأظهر تفوقا في التاريخ واللغة العربية والعلوم لكنه كان ضعيفا في اللغات الأجنبية. وفي التاسعة عشرة قرّر أن يدرس الفلسفة، بالرغم من معارضة والده وأقربائه وأصدقائه. فالتحق بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأوّل (القاهرة الآن) طالبا بقسم الفلسفة (٢) غير أنه لم يعتمد على كتبه الدراسية فحسب وإنما قرأ أعمال أدباء مصر من أمثال طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وغيرهم الذين كانوا يحاولون محاولة شديدة في إزالة المناهج التقليدية القديمة وتقدم الأفكار والمناهج الجديدة في الأدب العربي. تأثر بهم تأثّرا كبيرا. (٣)

وقد حصل نجيب محفوظ على درجة الليسانس سنة ١٩٣٤م. ونظرا إلى موهبته قررت الجامعة أن ترسله في بعثة إلى فرنسا للدراسات العليا لكن الظروف الحكومية السيئة حرمته من تلك البعثة. وكذلك لم يستطع إتمام دراسته العليا في مصر نفسها بسبب بعض ظروف الحياة فتخرج من الجامعة في سنة ١٩٣٤م. وبعد ذلك حاول نجيب محفوظ أن يستمرّ في الدراسة الأكاديمية، فأخذ في الأعداد لدراسة الماجستير لمدة عام واختار موضوعا لرسالته "مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية" تحت اشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق (١٨٨٥-١٩٤٧م)، ثم غيّر رأيه وقرّر التركيز على الأدب. وفي أثناء هذه المدة اتصل بسلامة موسى (١٩٥٨-١٩٨٨م) الصحفي والمفكر الكبير وتأثّر بنزعته التجديدية وحماسته لفكرة العدالة الاجتماعية تأثرا عميقا. (٤) وهذان الأديبان جعلاه "شخصية فكرية وأدبية جديدة، مليئة بالحيوية والاستقلال والموهبة". (٥)

تكوينه الثقافي

طالع نجيب محفوظ على كثير من أدباء العرب والأجانب على السواء واستفاد من المناهل الأدبية كل الاستفادة التي أثرت في تكوين شخصيته الأدبية كما يقول نفسه:

> "إنّ تكويني الأدبي كان نتيجة لقراءة الكثيرين من الأدباء العرب والأجانب، فمن العرب تعلمت من قراءة لطه حسين والعقاد وسلامة موسى والحكيم والمازني، ومن الأجانب تولستوى ودستويفسكي وتشيكوف وجيمس جويس وكافكا وشكبير"(٦).

هكذا استفاد من اللغات الأجنبية وآدابها بما فيها آداب روسيا وفرنسيا وإنجليز التي أثرت في شخصيته الأدبية أثرا بالغا، فبدأ نجيب محفوظ كتابة الرواية العربية، وكتب ست وثلاثين رواية فنية تشمل الروايات الفنية والتاريخية والرومانسية والاجتماعية والواقعية وما إلى ذلك.

رواياته التاريخية

هكذا تنوعت موضوعات نجيب محفوظ في رواياته طبقا لاختلاف رؤيته واهتماماته في المراحل المختلفة من حياته، ففي البداية كتب سلسلة الروايات التاريخية، كما يتحدث عنها قائلا: "خطر لي أن أكتب تاريخ مصر كله من خلال سلسلة أعمال رواية تاريخية أشبه بما فعله جورجي زيدان وبدأت هذه السلسلة برواية "عبث الأقدار" ولكنني توقفت بعد ذلك لأنني وجدت أنها سيعطيني عن عملي الأصيل - وهو الرواية الفنية – وذلك لأن الرواية التاريخية تحتاج إلى جهد كبير من بحث ودراسة وتجميع المعلومات وربما عاودني الحنين إلى الرواية التاريخية بعد الأعمال الفرعونية الثلاثة الأولى لمرة واحدة في رواية العائش في الحقيقة نتاجه المنشور في تلك المرحلة يشمل ثلاثة روايات تاريخية لمصر القديمة "عبث الأقدار" و "رادوبيس" و "كفاح طيبة" وما إلى ذلك" ولم يقتصر فيها على التاريخ وإنّما عبّر عن الواقع المصري وعن إحساسه بهذا الواقع قائلا "إنّني لم أقدم في تلك الروايات شخصية تاريخية ولم يكن هي أن أنقل القارئ إلى حياة ماضية، ولكني باستمرار أمور الحاضر"(٧) على الرغم من أنّ هذه الروايات روايات تاريخية رومانسية بحيث غلب فيها عنصر التاريخ الذي اهتم به المؤلف اهتماما خاصا.

رواياته الاجتماعية (الواقعية)

وبعد أن كتب رواياته التاريخية الثلاثة انغمس نجيب محفوظ في أحوال المجتمع المعاصر وكتب عديد من الروايات الاجتماعية بدأ من "القاهرة الجديدة" وانتهاء بـ "الثلاثية" كما يقول نفسه عن تحوله إلى الواقعية:

"هيأت نفسي لكتابة تاريخ مصر القديم كله في شكل روائي على نحو ما صنع "ولتر سكوت" (Walter Scott) في تاريخ بلاده، واعددت اربعين موضوعا لروايات تاريخية، رجوت أن يمتدّ بي العمر حتى أتمها، وكتبت ثلاثا بالفعل هي "عبث الأقدار" و "رادوبيس" و"كفاح طيبة" وبقي ٣٧ موضوعا جاهزا للكتابة... وفجأة إذ بالرغبة في الكتابة الرومانسية التاريخية تموت في نفسي، وأجدني أتحول إلى الواقعية في القاهرة

الجديدة بلا مقدمات..."(٨).

وركز نجيب محفوظ في هذه الرواية على الطبقة المتوسطة الصغيرة وهي الطبقة التي تُقدس القيم وتراعى التقاليد ويرضع أبناءها عادة تحت طائفة كبيرة من القيود والضغوط الاجتماعية المتنوعة وهي لذلك تعتبر مجالا خصبا للانحرافات والعقد التي يقدم لنا منها محفوظ في "زقاق المدق" وفي "بداية ونهاية" ثم في "الثلاثية" ومن خلالها يصور لنا الكاتب مشاكل أفرادها وقضاياهم والظلم الاجتماعي الذي واجه الكاتب نفسه في المجتمع المصري، ويزيد في "الثلاثية" البعد الإنسانية العميق الشامل إذ أنما حلّ بأسرة عبد الجواد في نهاية الكتاب هو ما يحل بكل أسرة بشرية في إي زمان و في أي مجتمع.

نظرا إلى رواياته الواقعية لا بدّ لنا من ذكر أنها تنقسم إلى قسمين أمّا القسم الأول فهي تحوي على الروايات التي كتبها قبل الثورة يعني سنة ١٩٥٢م ومن هذه الروايات: "خان الخليلي" ١٩٤٥م و"القاهرة الجديدة" ١٩٤٦م و"زقاق المدق" ١٩٤٧م و"بداية ونهاية" ١٩٥١م و"الثلاثية": (بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية) وروايات هذه المرحلة مزيجة من المذاهب الطبيعية والواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية الروسية. لجأ فيها المؤلف إلى المذهب الواقعي الطبيعي، وأبرز التفاصيل الدقيقة للحياة فرسم الشخصيات والبيئات رسما تفصيليا. (٩)

وأمّا القسم الثاني فيحوي على الروايات التي كتبها نجيب محفوظ بعد الثورة وهي: "أولاد حارتنا" ١٩٥٩م و"اللص والكلاب" ١٩٦١م و"السمان والخريف" ١٩٦٢م و"الطريق" ١٩٦٤م و"الشحاذ" ١٩٦٥م و"ثرثرة فوق النيل" ١٩٦٦م و"ميرامار" ١٩٦٧م وما إلى ذلك.

ومن خلال هذه الروايات نجد أنها تشد القارئ وتحثه على متابعة القراءة دون أن يتمكن من ترك الرواية قبل أن تنتهي فقد استطاع ببراعته ومهارته من تناول الطبقة الوسطى في المجتمع المصري بامتياز من خلال عين ثاقبة وربطها بعلاقات مع شرائح مختلفة من المجتمع تنوعت بين المجتمع الأرستقراطي ومجتمع الفقراء وبين

مجتمع الشرفاء ومجتمع السارقين ومدمني الخمر والمخدرات. وبين هذا كله برزت المرأة بوضوح في أعماله حيث تغلب على صورة المرأة في رواياته صورة سلبية، وهي الحقيقة التي نعترف بها بشأن مصر في الزمن الذي تصوره روايات نجيب محفوظ.

وكما يتراءى لنا من خلالها أنه كان ميالا في أعماله الرواية إلى الحارة وإلى البسطاء فينقل واقعهم ويعيد صياغة حياتهم وفق تصورات فكرية إبداعية جديدة حيث كانت رواياته تكريسا للواقعية بكل معطياتها. تعتبر رواياتها نموذجا رائعا تطل على روح مجتمع لا في مصرت فحسب، بل البلاد العربية كلها. وتعد رواياته صورة لمجتمعه وعصره وقد حاول نجيب محفوظ التفنن في عرض تلك الصور فجاءت مرة واقعية وأخرى نفسية وأخرى فلسفية.

أما الرؤية التي يريد نجيب محفوظ تقديمه هي رؤية الأمن والسلام والاستقرار والحنان والحرية والكرامة. ومنع تجارة الأجساد والدماع والمخدرات والعجز عن إيجاد عمل مثمر إلى حيث يكون الإنسان آمنا مطمئنا شريفا سعيدا إنها رحلة إنسان من أجل تأمين نفسه ومن أجل معرفة نفسه ومعرفة الآخرين.

وقد حاول نجيب محفوظ من خلال رواياته الاجتماعية أن يقدم النموذجين أمام القارئ نموذجا صالحا للاقتداء ويعتمد عليه فهو نموذج الخير والمحبة الذي يدعو إلى العمل وإلى سلوك الطريق المؤدي إلى البحث الصحيح والنموذج الثاني وهو يدل على دلالة المتعة واللذة والعلاقات غير المشروعة وهي دلالة الطريق الخاطئ السلبي، ذلك الطريق الذي يدعو للعبث والسعي نحو اشباع المتطلبات الجسدية، وتكون نتيجتها البحث العقيم والخاطئ المؤدي إلى السقوط والفشل.

وقد انشغل نجيب محفوظ في هذه الروايات بوجه خاص بالطبقة المتوسطة الصغيرة بكل ما فيها من مشاكل وأزمات وهموم ورغبات. وجدير بالذكر هنا أنه ينحدر من الطبقة الوسطى لذا يتراءى لنا أنه أشد الناس حبا لهذه الطبقة لأنه أحد أبنائه.(١٠) ولذلك نرى أنه جعل هذه الطبقة مادة أساسية في معظم رواياته. ولم يهتم بطبقة الفلاحين وبشئون الطبقة الارستقراطية لأنه لم يكن لديه تجربتهم. (١١)

وجميع هذه الروايات تعطينا الذوق المصري الحقيقي، وذلك أن كاتبها سجل فيها عواطف المجتمع المصري الحديث وأزماته وتطوراته الروحية بخصوبة وعمق حتى نستطيع أن نفهم المجتمع المصري بهذه الروايات أكثر مما نستطيع أن نفهم من كتب المؤرخين. (١٢)

القضايا التي أثارت من خلال رواياته

أما القضايا التي أثارها نجيب محفوظ من خلال أعماله الروائية هي أنه كتب وناقش المشاكل الاجتماعية والمفاسد القومية ولا سيما الموجودة في الأسر المتوسطة، ناقش الفقر والبؤس والجمود ودعا الناس إلى العدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية. هكذا أخذ يناظر الطبقة العليا من المجتمع العربي وطلب الأرستقراطيين أن ينحطوا من مكانتهم الرفيعة من أجل محو الفرق بين الغني والفقير والسيد والعاقل ويدرك هذه الحقيقة أن الناس كلهم سواء. وكذلك ناقش الكاتب مناقشة تامة جوانب الفقر والمجاعة التي دفعت القوم إلى الوراء، كما تناول المخدرات والانحلال الجنسي الذي شاع في مجتمع مصر بشكل خطير وكذلك ذكر عن الخمر والخمارات والخمارين وعن الأنس والطرب والغناء في رواياته وقصصه. وقدم لهذه القضايا والمشاكل الاجتماعية المتأصلة في أمة مصر الحلول المقترحة. وهذه فكرته الممتازة الذي تناولها في رواياته نفست روحا اجتماعيا جديدا في مصر، حيث يُذكر ويثني على مجهوداته المشكورة الصالحة وهذه القضايا ذات الأهمية البالغة توجد في معظم رواياته حيث ينشغل في إعداد رواياته التاريخية ويدعوا القراء إلى الوحدة المصرية التي تعكسها أمثال الروايات "عبث الأقدار" و "رادوبيس" و"كفاح الطيبة".

وبالجملة توجد هناك القضايا والأمور الكثيرة في روايات نجيب محفوظ وقصصه إلا أننا أشرنا إلى بعض منها. والآن نستطيع القول إن هذا الرائد قد أتاح للروايات صورة مغرية جذابة لم يأت بها أحد سواه، وله فضل كبير فيما هو الموجود من الأفكار والمفاهيم القصصية الرائعة في عصرنا هذا وما فيها من الروائع ذات العلاقة القومية والصلة الشعبية.

الهوامش:

١- الدكتور حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشرق-القاهرة، ص: ٥٩٢ وقد يقول الدكتور يوسف نوفل والكتّاب الآخرون أنه ولد في سنة ١٩١٢ انظر في "الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ"، ص: ٩٦، وانظر أيضا في كتاب "دراسات أدبية" لأحمد هيكل، ص: ١٨٦

٢- الدكتور حمدي السكوت: دراسات في الأدب والنقد، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٠م، ص: ٨٥-٨٦

٣- يوسف نوفل: الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م ص: ٩٩

٤- رجاء النقاش: "العصور" عدد خاص، ٢١ اكتوبر ١٩٨٨، ص: ٣٣

٥- نفس المرجع والصفحة نفسها

٦- الدكتور مصطفى علي عمر: القصة وتطورها في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص:٢٣٥

٧- فاطمة الزهراء: الرمزية في أدب نجيب محفوظ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص: ١٢

٨- فؤاد دواره: مجلة "الهلال" نوفمبر سنة ١٩٧٠م، ص: ١٠٢

٩- رجاء النقاش: مجلة "الآداب" مارس سنة ١٩٦٣م، ص:٣٩-٤٠

١٠- أحمد هيكل: دراسات أدبية، مطبعة القاهرة الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ ص: ١٨٩

١١- Hamdi Sakkut: The Egyptian Novel and Its Main Trends, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1971 p.144

١٢- الدكتور صلاح الدين تاك، نجيب محفوظ والرواية الواقعية، مؤسسة براون بوك للطباعة والنشر الخاصة المحدودة، نيو دلهي، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م، ص:٩٠-٩١

* * *

دلالات الشخصيات النسوية في رواية "الميراث"

تبسم جان
باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

التقديم

تعد رواية "الميراث" من أجمل روايات سحر عدنان خليفة في المرحلة الواقعية الاجتماعية التي كتبتها بوعي نسوي تجاه القهر الاجتماعي. حيث استمدت أحداث هذه الرواية من الواقعات والحادثات التي رأتها الكاتبة في حياتها المضطهدة والتي واجهتها في مجالات مختلفة خلال فترات حياتها الماضية حينما كانت طفلة صغيرة في بيت أبيها وحينما كانت زوجة بعد بلوغها، وعبرت خلالها عن الطبقة النسوية المضطهدة مشيرة إلى معاناتها في الحياة الاجتماعية والعائلية ومآسيها المتعددة في ظل العائلة الفلسطينية التي تعاني قهر الجهل والقمع الصهيوني. ومادامت الكاتبة سحر خليفة تحمل هم المرأة في معظم رواياتها وأعمالها الأدبية. وأما هذه الرواية تحديدا، فإنها قدمت في هذه الرواية مجموعة من الشخصيات النسوية اللواتي يعانين أضعاف ما يعاني الرجال في أية أسرة كي يبدو لنا وضع المرأة في المجتمع الأبوي ولو كان هذا المجتمع نفسه تواجه الفادحات والرزايا. فيمتد زمن هذه الرواية إلى فترة ما بعد دخول القوات الإسرائيلية إلى المدن العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة(١)، وإنّ التحليل الموضوعي يهدينا إلى أن الكاتبة فازت في هدفها خلال الشخصيات النسوية النقل شحنة كبيرة من وعيها عن الوجع النسوي الذي تعانيه في المجتمع الفلسطيني.

الشخصيات النسوية البارزة:

قدمت الكاتبة في هذه الرواية أربع شخصيات نسوية فلسطينية شغلت الحيز الكبير من الرواية في بنية سردها.

شخصية زينة

تبدأ الرواية بشخصية "زينة" الفتاة الجميلة التي ترعرعت وعاشت في أمريكا مع والدها العربي ووالدتها الأمريكية. قد عانت أمها معاناة شديدة من قبل زوجها عندما

علم زوجها أنها كانت حاملة قبل الزواج وهي في الخامسة عشر من عمرها فقط، وبعد مرور بضعة شهور على معاناة أمها من قبل زوجها أجبرت على ترك بيت زوجها لكي تعيش عيشة متحررة من المعاناة الازدواجية والشدائد العائلية، ولما انفصلت أم زينة عن زوجها عاشت زينب مع أبيها في أمريكا، وسمعت من أبيها الفلسطيني حكايات عن فلسطين وثقافتها العربية كما أنها سمعت منه أحاديث عن ضرورة محافظة عرض المرأة، غير أن الحضارة الغربية ربت زينة على تربية أمها حيث عندما كانت في إحدى الجامعات الأمريكية نشأت بينها وبين أحد صديقها علاقة عاطفية جنسية حتى أنها حملت على غرار أمها بطريقة غير شرعية، وهربت من مخافة أبيها إلى جدتها الأمريكية (ديبورا) التي حمّتها من محاولة قتلها وعاشت زينب في ظل جدتها الأمريكية حياة مخيفة ونادمة على فعلها، ثم أنجبت هناك طفلا وأعطته لأحد مراكز التبني في أمريكا، لتواصل حياتها العادية دون أن تقيم أي علاقة عاطفية أو جنسية. ثم عادت زينة إلى "وادي الريحان" بفلسطين لرؤية أبيها الذي كان على فراش الموت، وعندما وصلت زينة في وادي الريحان بفلسطين قابلت زوجة أبيها الجديدة التي كانت ترغب بالميراث بعد وفاة زوجها، وأجبرت زينة للعودة إلى أمريكا كي لا تجد الميراث من مال أبيها المتروكة[٢].

قدمت الكاتبة سحر خليفة من تقديم هذه الشخصية النسوية قضيتين مهمتين من قضايا المرأة، فالقضية الأولى التي طرحتها الكاتبة من خلال هذه الشخصية هي قضية مسؤولية المرأة للاحتفاظ بنفسها وسمعة عائلتها مشيرة إلى الفوارق بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، حيث أن والد زينة الذي كان عربيا فلسطينيا ينصح زينب للاحتفاظ على عرضها قائلا: "اسمعي يا زينة، أهم الأشياء بالدنيا: السمعة الحسنة ومخافة الله واليوم الآخر... إنما الحياة عبرة وموعظة بينما كانت أمها الأمريكية قامت بتربيتها على العكس من ذلك حتى أنها فعلت ما فعلت أمها وهي في الخامسة عشر من عمرها ولذلك عندما حملت زينة بطريقة غير شرعية هربت إلى جدتها الأمريكية مخافة من والدها وعارا من مجتمعها العربي.

وأما القضية الثانية التي طرحتها الكاتبة من خلال هذه الشخصية فهي قضية

حرمان المرأة من الميراث ولعل هذه هي القضية الوحيدة التي امتازت به هذه الرواية من الروايات الفلسطينية النسوية الأخرى، حيث أننا لم نجد أي كاتبة ولا كاتب فلسطيني يتحدث عن هذه القضية في أعمالهم الأدبية. اكتشفت لنا هذه القضية في هذه الرواية عندما تعود زينة من أمريكا إلى وادي الريحان بفلسطين كي تلاقي بوالدها الذي كان مريضا وكاد أن يموت في هذا المرض، وعندما وصلت زينه في وادي الريحان لرؤية أبيها أجبرتها "فتنة" وهي زوجة أبيها الجديدة وعائلة عمها جميعا للرجوع إلى أمريكا خائفا من نيل نصيبها في الميراث، إذ قالت زوجة أبيها الجديدة مخاطبة لزينة:" بس أنت بنت، لولا النصيب كان عوضّته وجبت لكم ولد. الولد يحجب الميراث. كما قال عمها مخاطبا لفتنة "يمكن تنجبي (أي فتنة) لنا ولد يحمل اسمه يورث اسمه ويورث ماله"(٣). لقد اتضح لنا مما سبق أن زينة كانت وارثة حقيقية لمال أبيها المتروكة حيث إنها كانت بنتا وحيدا لأبيها، غير أن زوجة أبيها الجديدة وهي فتنة وعائلة عمها جعلت أخا آخر وهو غير المولود وارثا حقيقيا لمال أبيها بعدما أعلنت فتنة حملها به. ولعل الكاتبة تحاول من تقديم خلال هذه القضية ظاهرة تعظيم الذكر وتهميش الأنثى مشيرة إلى ما عانت بنفسها منذ الولادة. لقد حققت لنا مهارة الكاتبة في تقديم هذه القضية بصورة واضحة حيث إنها جعلت قضية ولادة الابن أمرا متناقضا بين المجتمع والعائلة حتى كان الناس يناقشون عن هذا الموضوع قائلين:" هذه مكيدة، عملتها لتحجب الميراث". تحولت الكاتبة سحر خليفة ولادة الابن التي تكون باعثة البركة والسرور في المجتمع إلى شيء مكروه حتى أصبحت في آخر الرواية مصيبة كبرى، حيث ماتت فتنة في نهاية الرواية لكنها ما زالت تقول لأمها أميرة: "إني سعيدة ومحظوظة لأنه الولد اللي ببطني رح يورث لوحده من غير شريك. الحمد لله وحداني ذكر وما عنده غير أخت وحيدة، رح يورث كل شيء، كل شيئ،"(٤). ولعل هذه المكالمة سخرية إلى أبعد حد لأن فتنة ماتت أخيرا بسبب ولادة المفاجئة، وكانت أميرة أم فتنة تحمل حفيدها بلا شعور حتى تمد يديها للجندي الإسرائيلي بالطفل بهدوء.

يتضح لنا من تحليل هذه الشخصية أن الكاتبة سحر خليفة قدمت من خلال

هذه الشخصية قضايا مهمة واجهت المرأة العربية في أمريكا ومن أهمها قضية احتفاظ عرضها من التورط في العلاقات الجنسية غير المشروعية، وصورت من خلال هذه القضية الفوارق الكبرى بين الثقافة العربية والثقافة الغربية من منظور هذه الشخصية ذات التربية الأمريكية التي اندمجت في طيها عدة ثقافات، مكتشفة سلبيات الحضارة الغربية وإيجابيات الثقافة العربية، فعلى سبيل المثال عودة زينة إلى وادي الريحان في فلسطين للبحث عن أبيها إنّما كانت للبحث عن القيم الروحية[٥] وهذه القيم إنما توجد في الشرق. ومن هذه الإيجابيات أيضا الحنان والرحمة التي يتمتع بها الإنسان في المجتمع العربي الساذج فتقول زنية عند وصول رسالة عمها "...ولم أضع وقتا طويلاً في التفكير، بل اتخذت قراري بلا تردد وأحسست ساعتها إني أقف أمام نافذة خلف ستائرها تكمن ملامح البلد الذي طالما حلمت برؤيته وحنان الأهل الذين فقدتهم منذ الطفولة، ودف الانتماء إلى جذور بحثت عنها بلا طائل... "[٦] كما أن الكاتبة قدمت من خلال هذه الشخصية مشاكل المرأة العربية التي تواجهها في المجتمع العربي ولا سيما الفلسطيني ومن أهمها قضية سلب حق الميراث وتهميش الأنثى وتعظيم الذكر وتحقيق الذات حيث عادت زينب إلى وطنها الأصلي فلسطين بحثا عن الذات ورؤية لأبيها المريض، بينما كانت تسكن مع جدتها الأمريكية إنقاذا عن العار ومخافة من أبيها، ففي قيامها مع جدتها الأمريكية تأثرت بكثير من أفكارها حول الحياة مما جعلتها مرأة قوية متفوقة باحثة عن الذات والفردية وهاربة عن القيود البالية وناجحة في معظم الأمور الدنيوية على نحو ما نعرف من هذا الاقتباس الروائي:" لكن ما حدث هو أنني كلما أصبت نجاحا طلبت المزيد. النجاح كان أن أثبت ذاتي حتى فقدت الإحساس بالآخرين[٧].

شخصية "نهلة حمدان"

وأما الشخصية الثانية النسوية في الرواية فهي شخصية "نهلة حمدان" ابنة عم زينب، كانت هذه الشخصية نموذجة للمرأة المجاهدة والعاملة العانسة، حيث أنها كانت في الخمسين من العمر وقضت نحو ثلاثين عاما في الكويت كمعلمة ومدرسة في

إحدى مدارسها، وساهمت من خلالها في تحسين وضع عائلتها الفقيرة المتكونة من أب وخمسة إخوة، إذ ساعدت إخوتها على أن يتعلموا في الجامعات والكليات حتى أصبح بعض منهم مهندسا والبعض الآخر معلما وأستاذا وطبيبا، أنها كانت تعمل من أجل تعاليمهم بعد وفاة أمها عملا جادا حتى نسيت نفسها وأنثويتها إلى حد أنها بلغت خمسين من العمر عانسة وعارية من التزوج وتذكرتها أنثويتها ونفسها عندما طردت من الكويت خلال حرب الخليج وجلست في بيت أبيها عاطلة عن العمل وناظرة إلى أيدى الإخوة الأربع الذين كانوا يعيشون مع أولادهم وزوجاتهم عيشة ترف ورغد في مباني عالية وقصور شامخة منصرفين عن أختها ورغباتها ومعكفين على حوائج بيوتهم وملابس زوجاتهم وأولادهم. وعندما يئست نهلة حمدان من إخوتها الأربع أنشأت علاقة عاطفية ودية مع "أبي سالم" السمسار الذي كان يقارب نحو سبعين عاما من العمر والذي كان متزوجا، له أولاد بعضهم يبلغ من مثل عمر نهلة حمدان. وعندما اطلع إخوتها على هذه العلاقة أوقفوا عقبات وعائقات كبيرة في طريقها مطالبين منها بصرف المزيد من بقايا مدخراتها لأجلهم ولأجل أولادهم وزوجاتهم، غير أن نهلة حمدان شعرت أنهم ينكرون عن هذا الزواج لأغراضهم الدنيوية ومصالحهم الذاتية وأهدافهم الاقتصادية، ولذلك أنها كانت مصرة على هذا الزواج عالمة بأنه ليست لها سوى هذا الزواج أي طريق لعيشة الحياة، وفي النهاية تزوجت بهذا العجوز الكبير يائسة ونادمة على الحياة الماضية وغاضبة على إخوتها الأربع الذين لم يعطوها حق المرأة والأخت بالرغم من أنها قضت خمسين عاما من عمرها في المكافحة على مساعدة تعاليهم وحوائج ضرورياتهم ورافضة عرض أخيها "كمال" الذي طالب منها أن تسافر معه إلى ألمانيا لتعيش هناك عيشة هدوء وأمن[٨]. لقد اتضحت لنا من تحليل هذه الشخصية أن الكاتبة قدمت من خلال هذه الشخصية نموذجة صادقة وصورة رائعة عن المرأة المجاهدة التي قضت حياة كاملة في مساعدة عائلتها وبيتها مشيرة إلى أن المرأة مهما بذلت جهودا جبارة في جميع مجالات الحياة غير أن الرجال لا يعبؤون بقمع الظلم والقسوة عليها سواء أكانت زوجة أم بنتا أم أما أم أختا، ولعل الكاتبة تعبر من خلال

معاناة نهلة حمدان معاناتها التي واجهت منذ الطفولة في بيت أبيها كامرأة مظلومة بجرم كونها بنتا ليس غير.

شخصية" فيوليت"

هناك شخصية نسوية أخرى وهي شخصية "فيوليت" وقدمت الكاتبة سحر خليفة من خلال هذه الشخصية صورة أخرى لمعاناة المرأة المتحررة المثقفة التي كانت تعزف الموسيقى وتكسب معاشها بصالون نسائي كي تعيش مع أمها عيشة هدوء وأمن وراحة. أنها كانت تقدم جسدها في صياغات السهولة النسائية على سبيل الحب أمام مجموعة من الرجال معتقدة أنهم كانوا مختلفين عن رجال الواقع، غير أن هؤلاء الرجال كانوا يتمتعون من سذاجتها وبساطتها بكونها "حلاقة" ولذلك أنها كانت دائما تفشل في كل مشاريعها وعلاقاتها العاطفية الخالصة، لأن الرجال كانوا يعتقدون أنها مجرد حلاقة وأن عائلتها ليست من العائلات التي تسمع أصواتها وترفع شكواها إلى الطبقة العالية من المجتمع والحكام، ولذلك انهم كانوا يريدونها جسدا مومسا وتمتعا مؤقتا بلا ثمن وفائدة، وعندما أحست أن الرجال كانوا يستغلونها بكونها حلاقة وامرأة فقيرة من حيث العائلات قررت للرحيل إلى أمريكا كي تعيش هناك عيشة متحررة بعيدة عن استغلال الرجال ومتخلصة من عقد الذكورية الخبيثة. عبرت الكاتبة سحر خليفة من خلال هذه الشخصية عن صورتين متناقضتين من صور المرأة والرجال، صورت في الصورة الأولى معاناة المرأة على أيدي الرجال في جميع مجالات الحياة ممثلة شخصية فيوليت حيث أنها كانت تعمل كحلاقة وتكسب معاشها بطريقة حسنة غير أن الرجال كانوا يستغلونها بكونها حلاقة ولا يعبؤون عن مهنتها وسذاجتها وعائلتها الفقيرة، بل انهم كانوا يتمتعون من جسدها بلا ثمن ويتركونها على حالها بغير خفة خائف ولومة لائم. وأما الصورة الثانية فهي أن المرأة مهما تكن فاحشة ومتحررة تشتهي عن صيانة عرضها من الرجال الأغيار، حيث عندما أحست فيوليت أن الرجال يستغلونها ويريدون جسدها وثديها كي يتمتعون بها ويتلذذون بحسنها هربت إلى أمريكا متمنية أنها سوف تحصن عرضها من الرجال الأغيار وتعيش عيشة عزة واحترام.

شخصية "فتنة"

إضافة إلى تلك الشخصيات النسوية المذكورة أعلاه نجد في الرواية شخصية نسوية أخرى وهي شخصية "فتنة" زوجة والد زينة الثانية. استطاعت الكاتبة أن تقدم من خلال هذه الشخصية سلب حقوق المرأة العربية في المجتمع ممثلة الصراع بين زينة بنت محمد حمدان وبين "فتنة" زوجة محمد حمدان الجديدة وبين وعائلة عم زينة، حيث عندما لم تنجب زوجة محمد حمدان الأولى(وهي كانت أم زينة) ولدا ذكورا سوى بنتا واحدا وهي زينة حمدان أجبر محمد حمدان على الزواج الأخرى كي تنجب منها ولدا يكون وارثا لماله وممتلكاته الكثيرة، فزوجت من "فتنة" التي كانت مطلقة بسبب عقارها وحّدة لسانها غير أنها ما اكتشفت أمام حمدان هذا السر مؤمنة بأنها ستكون وارثة في ممتلكاته بعد وفاته. فقضت مع حمدان بضعة سنين عاقرا ومتمنية لنيل وراثته بعد موته. وعندما مرض حمدان وكاد أن يموت في هذا المرض أتت إليه بنتها الوحيدة زينة من أمريكا لرؤية أبيها، فخافت "فتنة" من إمكانية أن تهرب ثروة زوجها من بين يديها، فزرعت في بطنها جنينا من نطفة يهودي في المستشفى، وادّعت أن حملها من نطفة زوجها محمد حمدان وقالت إن هذا الولد سيكون وارثا لمال زوجها، غير أنها ماتت خلال ولادته. وحققت الكاتبة من خلال هذه الشخصية الخادعة رمزية الرواية في الوراثة الصهيونية غير الشرعية في أغلب فلسطين على نحو ما نعرف من هذا الاقتباس الروائي:" إذا كان ميراث زينة هو أرض الوطن، فان من يمتلك أغلبيته الآن هو كائن إسرائيلي مشوه جاء من نطفة زرعت في رحم فلسطينية"[٩].

ونستدل مما قمنا أن الكاتبة سحر خليفة شكلت في هذه الرواية صوّر النساء المختلفة في قالب المعاناة والمصائب والكآبة والاستلاب والاغتراب، فكأن الرواية تنتمي إلى الواقعية النقدية التي تجد في الحياة النسائية الشرائح المأساوية والمعاناة العائلية والازدواجية. فالرواية صورة ناطقة عن مآسي المرأة المتعددة مثقفات كن أم حريمات، سواء عشن في بيئة عربية مثقفة أم عشن في بيئة أمريكية متحررة، سواء أكانت متزوجات أم عوانس، عجوزات أم فتيات، حسينات أم قبيحات، فكلهن يعانين اضطهادا عجيبا واغترابا كئيبا ومعاناة رذيلة ومصائب كثيرة بوصفهن ضحايا إلى درجة

كبيرة.

الحواشي:

١- s//www.abjad.com

٢- د. حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،٢٠٠١م،ص٣٣٩

٣- سحر عدنان خليفة: الميراث، ط منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة١٩٩٧م

٤- نفس المصدر،ص.

٥- مصطفى الضيع، سحر خليفة أيقونة الرواية الفلسطينية، موقع الكتابة الثقافية، almakitaba.com

٦- سحر خليفة، الميراث، دار الآداب بيروت ١٩٩٧م ص ١١.

٧- سحر عدنان خليفة: الميراث،ص٢٦

٨- غدير رضوان، المرأة في روايات سحر خليفة، ص ١٨٠

٩- د. حسين مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، ص ٣٨٣

* * *

الرومانسية في الشعر العربي ومدارسها

د. طارق أحمد آهنغر
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
جامعة كشمير، سرينغر

إن تعريف الرومانسية عمل مستحيل ولا يمكن وصفه نظرا إلى سعتها وتعقيدها، وبتعبير بول فاليري: "لا بُدَّ أن يكونَ المرءُ غيرَ مُتّزِنِ العقلِ إذا حاولَ تعريفَ الرّومانسيّة".

وليس معني ذلك أن تعريف الرومانسية يترك على قارئ يصفها حسب رغباتها، لا: بل معناه لا يمكن وصفها وتعريفها بكلمات واضحة كما يمكن تعريف العلوم العقلية، ومن حاول من الأدباء والنقاد أن يصفها بدقة ووضوح لم يفز فيه بشيء، غير أنه جاء بالغموض أو بما يشبه الغموض، لأن تعريف الرومانسية أو أي اتجاه أدبي عمل مستحيل ويفهمها القارئ بين السطور بخبرته وتجاربه ومطالعته الأدبية. ولكل أديب له رأي عن تعريف الرومانسية وكل أديب حر أن يتفق بهذا الرأي أو يختلف.

مفهوم الرومانسية ومدلولها

الرومانسية، الرومانتيكية أو الرومنطيقية، تشتق من المصطلح الفرنسي رومان (roman) والتي تعني رواية، وأول ظهور موثق لهذا المصطلح يرجع إلى جيمس بوزويل في منتصف القرن الثامن عشر، واستخدمه وهو يشير إلى جزيرة كورسيكا. ويشير هذا المصطلح إلى الأشياء والأماكن التي يعجز وصفها بالكلمات. وقد أطلق هذا المصطلح في العصور الوسطى على حكايات المغامرات شعرا أو نثرا.[١]

ويذهب البعض إلى أنها مشتقة من لفظة "رومانيوس" التي أطلقت على اللّغات والآداب المتفرّعة عن اللّغة اللاتينية القديمة، التي كانت تعدّ في القرون الوسطى لهجات للغة روما القديمة، وقد اختار الرومانسيون "الرومانسية" وهي إحدى لهجات

١. المعجم المفصل في الأدب، الجزء الثاني، ص ٤٩٨-٤٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٩

سويسرا عنوانا لمذهبهم وحركتهم، وتعبيرا عن معارضتهم لسيطرة الثقافة اليونانية والثقافة اللاتينية على لغتهم وآدابهم القومية. وعرفت "الرومانسية" بالابتداعية أو الإبداعية بسبب أنها تعد ابتداعاً في المذهب الكلاسيكي.

ومفهوم الرومانسية فيدّل على المغامرة وانطبع هذا على الأدب إذ أصبح الشاعر أو الأديب لا يكتفي بتصوير ما يراه بل يتعداه إلى عالم آخر يصنعه ويشكله بنفسه. فالرومانسية في لغة بسيطة هي اتجاه أدبي من الاتجاهات التي تتكلّم عن المغامرات الخياليّة والعواطف الكثيرة وليس للعقلِ سلطة عليها.

ظهورها في الآداب العالمية

لا شك في أن الأدب ظاهرة حضارية وفنية في آن واحد ولذا يتصل بالقديم والحديث، والظواهر الأدبية لذلك يعدي بعضها بعضا، ومن ثم فإن الأدب ليس مجرد متعة بيانية محضة، ولكنه عامل فعال في تطور الحياة وإثراء فكر القارئ ووجدانه على السواء. فقد جاءت الحركة الرومانسية في الأدب الأوربي تعبيرا عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربي من نمط من أنماط الحياة إلى نمط جديد.

وقد ظهر هذا المذهب في بلاد أوروبا من قبل أبرز الشّخصيات في فرنسا ومنهم كاتبان وفيلسوفان كبيران أثرا في الحياة العقلية والأدبية وهما: جان جاك روسو .j .j Roseau(١٧٢٢ -١٧٧٨) وفولتير Voltere (١٦٤٩-١٧٧٨)[١]. ثم نشأ هذا المذهب في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، واتسع مجال نفوذه الأدبي في بداية القرن التاسع عشر في سائر البلاد الأوربية. ومن أهم أسبا ب نشأته في فرنسا وهي الآتية:

١. ما أحدثته الثورة الفرنسية آنذاك من إسالة دماء، وتدمير وتخريب، مما جعل الأدباء يتشاءمون ويشكون في معايير مجتمعهم وأصوله ومقدساته.

٢. ما تأثرت الحياة بالثورة الصناعية الفرنسية فتحولت من الطراز الزراعية إلى الطراز الصناعية.

---

[١]. عبد الرحمن العشماوي، معالم النقد الأدبي، ص: ١٩٠، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨

٣. كما أن الثورة الفكرية والفلسفية قد زعزعت عرش "المثالية" التي تدعو إلى الثبات والاطراد، فاستحال التغيير الجذري هو القانون الثابت والدائم الذي ينبغي أن تقوم عليه الحياة البشرية.

٤. ثم إن الأدباء الرومانسيين اكتشف عليهم أن المذهب الكلاسيكي قد أهمل مجال العواطف كل الإهمال، فقد دعوا إلى تحرير النفس الإنسانية من قيود العقل وأحكامه المجحفة، ظنا منهم أن الأدب هو المعبّر عن حرية المشاعر والعواطف الصادقة.[١]

وفي أعقاب الانقلاب الصناعي وحروب نابليون قد شمل التحول كل مظاهر الحياة في السياسة والاجتماع والأخلاق والمدنية والأدب والفن، وانتقل الأدب من مرحلة عرفت "بالكلاسيكية الجديدة" إلى مرحلة عرفها الناس باسم " الرومانسية"[٢].

وتم استخدام مُصطلح الرّومانسية كأحد المُصطلحات الأدبيّة، وذلك في عام ألف وسبعمئة وستّة وسبعين. يُعتبرُ النّاقد الأماني فريدريش شليجل Friedrich Schlegel (١٧٧٢- ١٨٢٩م)، وهو كاتب وشاعر وناقد أدبي ألماني ويعتبر من أهم كتاب الأدب الرومانسي ومساهم في تطويره. وشارك فيه الأدباء الأوربيين البارزين و منهم : الشاعر الألماني وولفانج جوتهWalfand Goethe (١٧٤٤-١٨٣٢) وساهم فيه الشاعر الإنجليزي فيلئم بليك William Black (١٧٥٧-١٨٢٨) و فيلئم وردث ورث William Wordsworth (١٧٧٠-١٨٥٠) و كولرج Coleridge (١٧٧٢-١٨٣٨) و كيتس Keats (١٧٩٥-١٨٥٠)[٣]

---

[١] . عبد الحميد بوزينة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، عمان، دار البشر ١٩٩٠م. ص:٢١-٢٢

[٢] . د. إبراهيم عبد الرحمان محمد، مناهج نقد الشعر في الأدب العربي الحديث، الشركة المصرية العلمية للنشر لونجمان، مصر ١٩٩٧... ص: ٩٤

[٣] Encyclopedia Americana: America International, P: 656, Corporation Lexington, New York, vol: 23

ميزات المذهب الرومانسي

١. الدعوة إلى إبعاد مقاييس العقل ومقولاته، إذ ليس مجالها هو الأدب، فإذا جاز للفلسفة أن تحلل القضايا والمشكلات الفكرية على ضوء قواعد مسبقة وأحكام عقلية محددة، فإن هذا لا يصح في مجال الأدب الذي هو مكلف بتتبع خلجات النفس والتعبير عن آمال الإنسان وآماله بطلاقة وحرية وهذا هو الفن الأصيل.

٢. فإذا كانت الكلاسيكية تنظر بنظرة ثنائية إلى علاقة الإنسان بالطبيعة، فإن الرومانسية عكس هذا تصهر الكيانين في بوتقة واحدة: فالطبيعة تتألم حين يتألم الشاعر، وتحزن حين يحزن، وترقص فيها أشعة الشمس حين يغمر نفس الشاعر فرحة كبيرة، فهو يعيش في أحضانها، ويمشي وسط رياضها وبساتينها الجميلة، ويستكشف وراء مناظرها المعاني الخفيفة والأسرار العجيبة، يقول خفاجي " فزع الأدباء والشعراء إلى نفوسهم ووجدانياتهم يلذون بتجاربهم الباطنة ويهتمون بمشاهد الجمال والطبيعة، ويميلون إلى الأصالة والابتكار والتجديد".[١]

٣. إن الأدب الجميل هو ذاك الذي يخدم الذات، ويجلى مشاعرها، ويعبر عن أحاسيسها المختلفة فهو، في هذا الشأن، بمثابة المحرار الذي يقيس درجات حرارة الجيم بدقة عجيبة.

٤. من خصائص الأدب الرومانسي أنه يثور دوما على تقاليد المجتمع وأعرافه السائدة وأوضاعه المألوفة، لأنها في نظره مصطنعة، والاصطناع هذا يجعل الحياة متكلفة معقدة، لا ذوق فيها ولا روح. يقول د. عقيق "تميز العقل والمنطق والحكمة كما تميز بالثورة على أوضاع المجتمع ومناصرة حرية الفكر، والنزوع إلى خوارق الطبيعة وأعاجيبها، والجنوح إلى حياة الفطرة كرفض للحياة الصناعية النامية المعقدة وضغوطها على الفرد.[٢]

---

[١] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، محمد عبد المنعم الخفاجي، الجزء الأول: ص: دار الجيل، بيروت، ص: ١٢٧

[٢] . في النقد الأدبي، ص: ٢٤٨

هذه أهم سمات ومميزات المذهب الرومانسي التي تشكل كيانه وتدل على معامله، وقد تضافرت جهود نقاد هذا المذهب وأدباءه من أجل إبرازه في عالم الوجود الأدبي والفني مدة طويلة.

الرومانسية في الشعر العربي

وكان الفكر الأوروبي قد بدأ يتغلغل في الشرق العربي منذ عصر الحملة الفرنسية، وانفتاح مصر على أوروبا، وكذلك بلاد الشام، وخاصة لبنان التي تدفق إليها مبشرين من أوربا وأمريكا، والاتصال الثقافي بأوروبا، وحركات اليقظة العربية في كل مكان، وتأثير جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بتلاميذهما، وزيادة اهتمام العرب بالثقافة والأدب والتراث القديم، وانتشار الطباعة والصحافة ودور الكتب والمدارس والجامعات في بلادهم[١]. كان كل ذلك تمهيدا لقيام الأدب الحديث، ولكن نهضة الأدب العربي الحديث لم تظهر في رأيي إلا في آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فقد وجد المثقفون العرب في الآداب الأوربية ألوانا جديدة من الشعر والنثر تختلف كثيرا عن تراثهم القديم، كما وجدوا في مذاهبها الفنية ولاتجاهات الفكرية المختلفة، خاصة الرومانسية.[٢] وهذا التجاه الشعري مال إلى تجديد الصيغة الشعرية يمس مقوماتها اللغوية والتصويرية والموسيقية، ويخلق منها شعرا جديدا بالمعنى الدقيق لهذا لمصطلح.

والفكر الأساسي خلف ظهور الرومانسية في الأدب العربي هو وجوب إيجاب أدب جديد لمجتمع جديد، وليس للتقليد فيه مكان، ويرى الشعراء الرومانتيكيون أن الأدب ليس بمحاكاة بل هو أداة للخلق والإبداع والخيال المبتكر. وكان الشعر قبله في صورة رديئة في الأغراض والمعاني والأساليب، أما الأغراض فكانت ضيقة تافهة، وكانت المعاني متبذلة ساقطة، وأما الأساليب فكانت متكلفة مثقلة ومقيدة بأغلال البديع. فشعراء الرومانسية خالف مخالفة شديدة على من يدعو إلى التقليد الشعري في

---

[١] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٣٩

[٢] . مناهج النقد الشعر ص ١٤٥

الأسلوب والموضوعات، وهم ويدعون إلى تجديد الشعر في المعاني وليس في الموضوعات فحسب، بل في الأساليب الشعرية واللغوية، ولذا نرى في أشعارهم تصوير عالم الجمال، والميلان الشديد إلى الطبيعية والهروب من قوة المجتمع وتعبير عن أشياء وفق ميولهم النفسية، كما نرى استعمال اللغة البسيطة الوجدانية.[١]

مدارس الرومانسية العربية

ومن أشهر هذه المدارس الرومانتيكية، وأشهر أعلامها خليل مطران وشعراء مدرسة الديوان وشعراء مدرسة أبولوا وفريق من شعراء المدرسة المجهرية[٢].

خليل مطران

كان خليل مطران -الذي يعتبر مدرسة بنفسه -رائد الشعر الرومانسي في الأدب العربي الذي فتح نافذة كبيرة في الشعر الرومانسي الجديد. ونجح مطران في جمع الثقافتين العربية والغربية وتعمق في كلهما، ودعا إلى الحرية الفنية تحترم شخصية الشاعر واستقلال الفن عن الصناعة والأناقة الزخرفية، ودعم وحدة القصيدة وأبرز كل شيء في هذا الوجود صغيرا أو كبيرا،[٣] ضئيلا أو جليلا، موضوعا شعريا خليقا بعناية الشعر. وكان من أهم ما اتجه إليه في تجديده أن يعبر تعبيرا مستقيما عن أحاسيسه غير متكلف لتشبيهات القدماء واستعاراتهم على نحو ما يصنع أحمد شوقي و من تبعه من الشعراء الكلاسيكيين الجدد، وبذلك أحل الشعور الدقيق محل الخيال، وأعطى لشعره فسحة واسعة من الابتكار والمعاني والأفكار.[٤] فقصائده حملت عناوين موضوعات رومانسية ونرى فيها أن الطبيعة تحتل مكانا ممتازا فتجلى هذه النزعة في قصيدته "المساء" وهي قصيدة مزيجة بالحزن والألم واليأس والتجارب

---

[١] . دكتور طاهر احمد مكي، الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقرأته الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ص: ٤٨

[٢] . الأدب العربي المعاصر ومدارسه، لمنعم الخفاجي، ص: ٣٠٠

[٣] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٤٧

[٤] . د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط١، دار المعارف مصر، ص:١٢٥

النفسية والوجدانية كما يتضح في قصائده " الأسد الباقي" و"الجنين الشهيد" و"تشجيع الجنازة" وقصائده الأخرى مملوءة بنزعة الرومانسية.[1] كما نراه في قصيدته "المساء":

داءٌ أَلَـمَّ فَـخِـلْـتُ فِـيـهِ شَـــفَـائِي مِنْ صَـبْوَتِي فَتَضَـاعَفَتْ بُرَحَائِي
يَـا لَلضَّـعِيفَيْنِ اسْـتَبَدَّا بِي وَمَـا فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّـعَـفَـاءِ
قَـلْـبٌ أَذَابَتْـهُ الصَّـبَـابَـةُ وَالْجَوَى وَغِـلاَلَـةٌ رَثَّـتْ مِـنِ الأَدْوَاءِ
وَالـرُّوْحُ بـيْـنَـهُـمَـا نَسِـيـمُ تَـنَهُّـدٍ فِي حَـالَيَ الـتَّصْـوِيـبِ وَالصُّـعَـدَاءِ
وَالعَقْلُ كَالمِصْـبَـاحِ يَغْشَـى نُورَهُ كَـدَرِي وَيُضْـعِـفُـهُ نُضُـوبُ دِمَـائِي
هَـذَا الَّـذِي أَبْـقَـيْـتِـهِ يَـا مُـنْـيَـتِي مِنْ أَضْـلُعِي وَحَشَـاشَـتِي وَذَكَائِي[2]

مدرسة الديوان

إن هذه المدرسة التي أقامها عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الرحمن الشكري لعبت دورا هاما في تطوير الرومانسية في الشعر العربي الحديث. وهؤلاء الشعراء قد درسوا الأدب الغربي دراسة عميقة وتأثروا بكتاب الغرب، وأرادوا أن يتبع الأدب العربي الأدب الغربي. ولقد حاول أصحاب الديوان تحديد مفهوم جديد للشعر هي المنطلق الذي انطلقوا منه إلى تحديد المفهومات الجديدة لعناصره الأخرى. فيذهب شكري إلى تعريف الشعر تعريفا وجدانيا في قوله:

"للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشعرية، وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته وينبغي له أن يعود نفسه على البحث عن كل عاطفة من عواطف قلبه، وكل دافع من دوافع نفسه، لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة فاضلة، أو قبيحة مرذولة وضيعة... ومن كان ضعيف العواطف أتى شعره ميتا لا حياة، فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك

[1] حنيف موسى: محاضرات عن الخليل مطران، ص: ٢١٧، دار الفكر لبنان، ١٩٨٤.

[2] . خليل مطران: ديوانه، قاهرة، مصر

العواطف، وقوته مستخرجة من قوتها، وجلاله من جلاله، ومن كان سقيم الذوق أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة"[1].

ولا يختلف مفهوم المازني لطبيعة الشعر وخصائصه عن مفهوم صاحبيه حين عمد إلى تأكيد دور العاطفة والخيال والمجاز في صناعة الشعر، وفي قوله:

"ما الشعر إلا معان لا يزال الإنسان ينشئها في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي فيها قلبه، ويراجع بها عقله، والمعاني لها في كل ساعة تجديد، وفي كل لحظة تردد وتوليد، والكلام يفتح بعضه بعضا. وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك."

والعقاد نظم في الجانب الوجداني التأملي، وقال في كتابه الديوان الذي أصدره هو والمازني: إن الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة:

أولها: أن الشعر قيمة إنسانية، قبل أن يكون قيمة لفظية، فيحتفظ الشعر بقيمته إذا ترجم إلى لغة من اللغات.

وثانيا: أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه، فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه وليس ذا شخصية أدبية.

وثالثا: أن القصيدة ذات بنية حية وليست أجزاء متناثرة بجمعها الوزن والقافية.[2]

وتعكس هذه النصوص القليلة أن شعراء الديوان دعوا إلى شعر الوجدان وأكدوا وحدة القصيدة، واحتفوا بالأخيلة والصور الجديدة والمعين الشعري، سواء استمده الشاعر من الصيغة الخارجية أو من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية، فالشعر عندهم تعبير عن وجدان الشاعر. وساهم أعضاء هذه المدرسة في تطوير الرومانسية في الأدب العربي نظريا وعمليا، وتعبروا عن الذات والطبيعة وأدخلوا الأفكار الفلسفية، كما قال الشكري وهو تعبر منهج مدرسته عن الشعر:

---

[1] . مقدمة الديوان ج٤، ص ٢٨٨

[2] . د محمود شوكت، ود. رجاء عيد: مقومات الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ص ٢٥٥

ألا يا طائر الفردوس إنما الشعر لوجدان[1]

والحق أن جماعة الديوان قد استفادوا بالثقافة الغربية وبذلوا قصارى جهودهم في انتقال التصورات الرومانسية الغربية وأساليها في الشعر العربي في فازوا فيها إلى حد كبير.

مدرسة أبولو

وظهرت مدرسة أبولو في عام ١٩٣٢م على يدي أحمد زكي أبو شادي ومن أنصاره في هذه المدرسة إبراهيم ناجي ومصطفى السحرتي وإبراهيم ناجي ومختار الوكيل وصالح جودت وعبد العزيز عتيق وسواهم، وتعد المدرسة انصارا لمدرسة الديوان الرومانسية في الشعر[2] التي مر ذكره آنفا. وظهر تيار جديد يعزف ألحانا جديدة واتخذت اسم مدرسته من اليونان شعارا لها ورمزا.

وقد دعا أبو شادي إلى الإصالة والفطرة الشعرية، والعاطفة الصادقة، والى الوحدة التعبيرية، و إلى تناول الفكرة والمعاني والموضوع، ودعم وحدة القصيدة، ونظم من الشعر القصصي والتمثيلي وشعر الطبيعة، وإن كانت أخيلته وأساليبه قد طعمها بالكثير من الصور الغربية.

ويعتبر عام ١٩٣٢م بدء اكتمال مفهوم جماعة أبولو والتي يحدد ملامحها إبراهيم ناجي بقوله: "ولا جدال في أن مدرسة أبولو في اتصالها بالأدب العالمي ومتابعتها للتيارات الفكرية الجديدة وفي إيمانها برسالتها المجددة للشعر العربي، موسعة لأغراضه، محددة لوظيفته كعمل إنساني شامل، وكجماعة تضم شباب أدباء الشرق في ندوة واحدة. إن مدرسة أبولو قد استرحت الأنظار فهي تمثل طلاقة الفن، كما تمثل التجارب الفني بين أعضائها ومآل مثل هذه الحركة أن تنهض بالشعر العربي في غير حدود."[3]

---

[1] . عبد الرحمن الشكري: ديوانه: القاهرة، مصر

[2] . دراسات في الأدب العربي ومدارسه، ص: ٥٥

[3] . مقومات الشعر العربي المعاصر، د محمود شوكت، ود. رجاء عيد، دار الفكر العربي ص:٢٤٥

يتجلى عند شعراء هذه الجماعة تدفق العاطفة الجياشة والخيال إذ تأثروا أكثر الأثر بالمدرسة الرومانسية الغربية في الشعر. كما صرح د. شوقي ضيف قائلا: "ويحسن ان نقف فليلا عند ناجي وعلى محمود طه، إذ هما أكثر شعراء هذه الجماعة دويا في أقطارنا العربية. أما ناجي فارتبط ارتباطا شديدا بنفسه كما ارتبط بالمنزع الرومانسي الغربي الذي ارتبط به من قبله الجيل الجديد، فشعره وجداني يصور نفسه وانفعالاته، وهي نفس ظامئة دائما إلى الحب... وهو لذلك يصرح صرخات حادة هي صرخات الهزيمة، وهي هزيمة تلقاه في كل جانب: في الحب والصداقة والعلاقات الاجتماعية. "[١]

ومن أجل القصائد العاطفية لأحمد زكي أبي الشادي في الحب:

أمانا أيها الحب سلاما أيها الآسي
أتيت إليك مختفيا فرارا من أذى الناس
حنانك أيها الداعي فأنت مليك أنفاسي
فررت وحولي الدنيا تحارب كل إحساسي[٢]

مدرسة المهجر

ظهرت هذه المدرسة من أيدي أدباء العرب الذين هاجروا من الشام وخاصة من اللبان إلى الأمريكا الشمالية والجنوبية في ما بين ١٨٧٠- ١٩٠٠م لعدة الأسباب ولكن إذا تجاوزنا عن إسبات هجرتهم فإننا نجدهم يساهمون في أعمالهم الأدبية في المهجر، حيث أقبلهم المثقفون العرب إقبالا رائعا بعذوبة أسلوبهم وجمال الصياغة في أدبهم. وصارت له مدرسة أدبيّة خاصّة تُدعى مدرسة المهجر في الأدب العربي، وكان الأشهر والأكثر استمرارًا فيها الرابطة القلميَّة والعصبة الأندلسيَة، ومن أعضاء الرابطة القلمية جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، وقد تلونت ملامح هذا الأدب

[١] . د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط: ١٠، دار المعارف مصر، ص:١٢٥

[٢] . أحمد زكي أبو شادي: ديوانه" الألحان الضائعة"

المهجري بأصباغ الواقع النفسي الذي حملته وجدانهم، ما بين التوزع بين حرماتهم من أمومة الوطن، وبين جفاء الواقع الجديد الغريب عليهم، فتقدس لديهم الحنين والتشوق اللاهف، واندمج هذان الإحساسان في بوقعة مشاعرهم ليخرج لنا نتاجا فريدا من الأدب الذي يشكل بابا من أروع أدبنا العربي."[١]

وقد اتّسم شعر شعرائها بكثرة التأمّل في الحياة وفي أعماق النفس البشرية، وقد كان واضحًا في شعرِهم نزعتهم الإنسانيَّة وقيمهم التي غرستها في نفوسهم معاناتهم في الغربة، وأهمّها التعلّق بالوطن. وأما النزعة الرومانسية في مدرسة المهجر فتتجلى واضحة في جبران ونعيمة وإيليا أبو ماضي والريحاني وبعض شعراء المهجر، ممن أكدوا الدعوة إلى التجديد في شتى الأغراض الشعرية وعنوا بالموسيقى الشعرية عناية كبيرة. كما نراها في أشعار إيليا أبي ماضي:

هنا أودعت أحلام الصبا
أفما تلمح نورا في ثراها؟
هنا بالأمس في دراتها
كنت مثل النسر حرا في ذراها
أتلقي الوحي عن بلبلها
وهو ولهان يغني لرباها[٢]

خاتمة

ويتضح بما سبق كيف قامت الثورة الرومانسية ضد الكلاسيكية الجديدة فحلت محلها في فرنسا ثم سافرت إلى مختلف بلاد أوربا، واكتسبت للأدب ميادين جديدة وكانت قبلها مغلقة ومحرمة. وكان محور الرومانسية الاهتمام بالفرد وتقدير حقوقه لبناء مجتمع مثالي يقوم على المساواة والحرية والإخاء. وقد أخذوا هذه الآمال

[١] . د محمود شوكت، ود. رجاء عيد: مقومات الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي ص:١٩٤

[٢] . شرارة، عبد اللطيف: إيليا أبي ماضي، دار صادر بيروت، ١٩٦٥م، ص: ٤٦

الإنسانية غاية لتصوير عواطفهم الفردية ثم عبروها في تخليقهم الشعري. ودخل هذا الاتجاه الجديد في الأدب العربي وتطورت من أيدي أبرز أدباء العرب. وهم دعوا إلى تجديد الشعر في المعاني والابتكار في الأفكار وليس في الموضوعات فحسب، بل في الأساليب الشعرية والموسيقى، واللغة عندهم قريبة من لغة الحياة اليومية وتعدد الأساليب وتنويع القافية، ولذا نرى في أشعارهم تصوير عالم الجمال، والميلان الشديد إلى الطبيعية وهم الذين أقاموا المدارس المستقلة لهذا اتجاه مثل الديوان، وأبولو، والمهجر.

ويجدر بالذكر هنا أن الرومانسية الغربية كانت ذات رسالة تنطوي على " ثورة اجتماعية فنية" في مواجهة الكلاسيكية، وارتبط الدور الاجتماعي الآخذ بيد الفرد، والمبالغة في الإظهار الذات بالعواطف وأما الرومانسية العربية تحاكي الرومانسية الغربية، فاعتنت الرومانسية بالأمور الذاتية وتناولت اغتراب الإنسان العربي عن واقعه، وسيطرة جنسيات غربية عنه في وطنه، والتعبير عن العاطفة التي تحمل المفارقات الحزن والألم والاغتراب الفراق الهجر النجوى. وفي سنة ١٩١٩م قامت ثورة مصر بقيادة سعد زغلول، فارتبطت الرومانسية بالحس الوطني الذي يقاوم الاستعمار.

* * *

قصيدة البُردة للإمام البُوصيريّ: تحليل نقدي

د. محمد إرشاد الحق
الأستاذ المساعد، كلية النّساء بسرينغر

توطئة

لقد ظهر المديح النبوي مع مولد النبي ﷺ وانتشر مع انتشار دعوته النبوية وامتداد الفتوحات الإسلامية، ومن أهم خصائصه أنه شعر ديني ينبثق من رؤية إسلامية مع التركيز على مدح رسول الله محمد بن عبد الله بتعداد صفاته الخُلُقية والخَلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارته والأماكن المرتبطة بحياته، تطبعه الروحانية الصوفية، ويتميز هذا النوع من الأدب بصدق العواطف والمشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب النبي محمد بن عبد الله ﷺ، وهذا النوع الأدبي لم يزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين، خاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري، ففي هذه المقالة حاولت إن أتناول بعض أبرز المزايا والملامح في القصيدة المذكورة معتمدا على المنهج النقدي الانطباعي.

حياة الشاعر بين السّطور

هو محمد بن سعيد بن حماد بن تحسن بن أبي سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجي، البوصيري المصري المكني بأبي عبد الله، والملقب بشرف الدين ولد يوم الثلاثاء سنة ٢٠٨ هـ بقرية دلاص، كانت أمه من دلاص وأبوه من بوصير، ولذلك اشتهر بالبوصيري نسبة لمكان ولادته، وتوفي في سنة ٦٩٥ هـ بالمارستان "المستشفى" المنصوري من القاهرة، ولقد كان للنشأة التي عاشها الإمام البوصيري أثرها الكبير في شخصيته، فقد حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية واللغوية والسيرة النبوية في المساجد، كان جيّاش العاطفة في محبته للرسول،[1] صادق الإيمان، قوي اليقين؛ تغنّى بجمال النّبي ﷺ وبحبه في خشوع وتوسّل، اشتهر بين حلقات أدبية بسبب قصيدته المعروفة التي نسجها على منوال بردة كعب بن زهير في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم.

لمحة عن القصيدة

هناك عدة أقوال لتسميتها "البردة" منها: الأوّل، قيل: إنه سماها "البردة" لاشتمالها

على مناقب الرسول، وبهذا قد قصد المعنى المجازي.[٢] والثاني، قيل كأنه شبه قصيدة (البردة) لكعب بن زهير والتي مطلعها.

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ مُتيمٌ إثرها، لْم يُفدَ مكبُولُ

حيث أراد البوصيري أن تكون له قصيدة تحمل اسم قصيدة كعب وذلك من باب التبرك بها. والثالث، قيل للبردة اسم آخر وهو "البراءة" أي الشفاء، مرض البوصيري مرضاً شديداً - قد أصابه الشلل، ثم دعا الله وتوسل أن يشفيه، رأى أحسن طريقة أن يمدح الرسول ﷺ بقصيدة يذكر فيها محاسن الرسول فقرض هذه القصيدة، ونام ثم رأى في المنام أن الرسول ﷺ يمسح بيده المباركة على وجهه وألقى عليه الرسول ﷺ البردة في المنام، فقام سليماً ومعافياً وشفي من مرضه.

قسّم الدارسون قصيدة البردة إلى عشرة أجزاء والموضوعات الهامة التي تتناول هذه الأجزاء على نحو: النسيب، التحذير من هوى النفوس، مدح الرسول الكريم ﷺ، مولده، معجزاته، القرآن الكريم، الإسراء والمعراج، جهاد الرسول ﷺ وغزواته، التوسل والتشفع، المناجاة والتضرع. وعدد أبيات البردة مائة واثنان وستون بيتاً، قد زاد بعضهم بعض الأبيات في المقدمة وفي الخاتمة.

هاجم بعض الفقهاء قصيدة البردة من وجهة نظر عقائدية حيث اتهموا الإمام البوصيري بالغلو في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم واعتبروا أن بعض الأبيات فيها غلوٌ وشطحٌ صوفي.

لكن يبدو لمن يتمّعن في هذه الأبيات أنها لا تدلّ على أي غلوٍ؛ فهي من باب شدة محبة الرسول وتوقيره، والشعراء لهم أن يبالغوا إظهاراً للحب والولاء، ولا يعقل أنْ يمدح شاعر مسلم النبي ﷺ وهو مؤمن موحد يحفظ ويتخلق بخلق النبي ﷺ وفي ذهنه وفكره أن يؤلهه، وهو الذي يقول في القصيدة نفسها منكراً على النصارى إطراء سيدنا عيسى عليه السلام:

واحكُم بما شـــئتَ مَدحَاً فيه واحتَكِـــــمِ

دَع مـــــــا ادَّعَتهُ النصــارى فينَبِيِّهِـــــمِ

تحليل نقديّ

لقد أسهمت البردة في خلق فن جديد في مدح النبي ﷺ وأظهر ما يسمّى بالبديعيات، وهي قصائد غرضها مدح الرسول ﷺ وكان من شروطها أن تكون قافيتها على حرف الميم وأن تحتوي على أكبر قدر من فن البديع والزخرفة اللفظية فتشمل جميع فنون البديع من جناس وسجع ولف ونشر وطباق ومقابلة وتوريه وترصيع وتصريع وبراعة استهلال، وحسن مقطع، والتكرار واختيار الألفاظ القوية الجزلة.

إن أفكار قصيدة البردة مستمدة من معارف الشاعر ومن ثقافته وبيئته العربيّة والإسلامية وبعض الأفكار تقليدية كالغزل والوقوف على الأطلال وغيرها، وكذلك موسيقى القصيدة الداخلية والخارجية ناجحة والتي تساعد القصيدة على تناغم الجمل والمفردات، وهي موسيقى هادئة توحي بمدى ما يفيض على قلب الشاعر من حب واحترام للرسول، ولقد نوّع البوصيري الأسلوب ما بين خبر وإنشاء، وتقديم وتأخير، وأكثر من الجمل الفعلية وابتعد عن الجمل الاعتراضية، مطبقاً بمهارة عالية حُسْنَ تنوع الأسلوب الممتزج بالعاطفة الجيّاشة المعبرة عن شدة الحّب والاحترام للرسول ﷺ، وكذلك امتاز البوصيري في مدائحه بقوة الأسلوب وحسن الصياغة، وجودة المعاني، وجمال التشبيهات، وروعة الصور[٣] انظر إلى قوله:

هَالكَ مِن صُنعَةِ القَرِيضِ بُرُودًا: لَكَ لَم تُحَك وَشِيًا صَنعَاءُ

نزعة صوفية

لقد عبّرت بعض أبيات البُردة عن بعض المعاني الصّوفيّة مثل:

١- إن الرسول ﷺ إنسان كامل بالمعني الصّوفي:

محمّدٌ سيد الكونينِ والثقَلَيْنِ : والفريقين مِن عُربٍ ومِن عَجَمِ

٢- بيان حقيقة النّور المحمديّ الأزلي :

وكُلُّ آيٍ أتَى الرُّسْلُ الكِرَام بِهَا : فإنما اتصَلَتْ مِن نورِهِ بِهِمِ

فإنَّهُ شمسُ فَضْلٍ هُم كواكِبُهَا : يُظهِرْنَ أنوارَهَا للنّاسِ في الظُّلَمِ

٣-سيّدنا محمد هو صاحب الشفاعة وسيد الكونين:

هُو الحبيبُ الذي تُرجَى شفاعَتُهُ: لكُلِّ هَوْلٍ مِن الأهوالِ مُقتَحَمِ

٤- مولد الرسول ﷺ:

أبانَ مولِدُهُ عن طِيبِ عنصُرِهِ : يا طِيبَ مبتدأ منه ومُختَتَمِ

٥-معجزات النبي ﷺ تأييداً للدعوة الإسلامية:

جاءت لِدَعوَتِهِ الأشجارُ ساجِدَةً: تمشِي إليه على ساقٍ بلا قَدَمِ

٦-الحقيقة الروحيّة المحمّدية.

لا طيبَ يَعدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أعظُمَهُ : طوبى لمُنتَشِقٍ منه وملتَثِمِ

٧- تفوق النبيّ ﷺ على غيره من الخَلق والرّسل خَلْقاً، وخُلُقاً، وعِلماً، وكرماً:

فاقَ النَّبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ : ولم يُدَانُوهُ في عِلمٍ ولا كَرَمِ

وفي هذا يذكر د. محمد زغلول سلام "وظهرت الصّوفيّة ظهوراً قوياً في الجزء الأخير من البردة حيث يتوسل بالرّسول"(٤)

يا أكرَمَ الخلقِ ما لي مَن ألوذُبه : سِوَاكَ عِندَ حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ

ولَن يَضِيقَ رسولَ اللهِ جاهُكَ بي : إذا الكريمُ تَجَلَّى باسمِ مُنتَقِمِ

يا نَفْسُ لا تَقنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ: إنَّ الكَبَائِرَ في الغُفرَانِ كالَّلمَمِ

لعَلَّ رَحمَةَ رَبِّي حينَ يَقسِمُهَا : تَأتِي على حَسَبِ العِصيَانِ في القِسَمِ

نزعة تربوية:

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شهوَتهَ : اِنَّ الطعامَ يُقوّي شهوةَ النَّهِمِ

والنَّفسُ كَالطّفلِ إنْ تُهمِلْه شَبَّ عَلَى : حُبِّ الرّضَاع وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِم

لقد فطن الإمام البوصيري إلى ملامح تربوية تتمثّل في ضرورة ترويض وتهذيب النفس

وتربيتها على الفضائل منذ الصغر وكسر شهوتها حيثُ في تشبيه رائع صوّر لنا أن النفس كالطفل تماماً تحتاج إلى ترويض تربويّ وعناية كاملة منذ الصغر فالنفس مثل الطفل، إن تتركه بدون رعاية وتوجيه صحيح ينشأ فاسداً فلابدّ من الرعاية والتوجيه والإرشاد وهذه حقيقة تربوية.

يقول الدكتور أحمد عمر هاشم حول القصيدة المذكورة نحو:

"وكانت أعظم قصائده وأروع فرائده درة الشّعر الفصيح بُردة المديح التي لم يشبهها سابق، ولم يقترب منها لاحق، وكم قصائد أُلِّفتْ على غرارها ونهجت طريقها، ونسجت على منوالها، ولكنها لم تصل إلى رتبة بردة البوصيري"(٥) وجدير بالإشارة إلى معارضات الشّعراء للبردة؛ فلقد عارضَ البُردة وشطّرها وشرحها ونسج على منوالها الكثير من الشّعراء الذين جاءوا بعد البوصيريّ في العصور المختلفة حتى العصر الحديث اقتداء به نظراً لسمو عاطفتها وروعة معانيها فهي بمثابة نغم علوي يشدو به المحبون الأتقياء تعبيراً عن شدة الحبّ للرّسول ﷺ حيث بلغتْ شروحها أكثر من ٢٠ شرحاً ولها عدة معارضات أشهرها معارضة أمير الشّعراء أحمد شوقي في " نهج البُردة" حيثُ قال:

ريمٌ على القاع بين البان والعلَمِ: أَحَلَّ سفْك دمي في الأشهرِ الحُرمِ

خاتمة

وفى الختام يمكن لنا أن نقول أنه لم يحظَ نصٌّ شعريّ أو نثريّ في تاريخ الأدب العربيّ على مرّ عصوره الممتدة من العهد الجاهليّ حتى العصر الحديث بالاهتمام على جميع المستويات الرّسمية أو الشّعبية أو الأكاديميةّ بمثل ما حظيت به بُردة الإمام البوصيري لما تغنّى بها المنشدون وعارضها الشعراء وتفنن في شرحها الكُتّاب، وتبارى الخطاطون في كتابتها بجميع الخطوط والقُصاص في روايتها والطلاب والباحثون تسابقوا لدراستها وكذا لم تسلمْ من نقد النقاد وتقوّل المعرضين والنقاد، لكنها مازالت بسحرها تستولي على القلوب والأفئدة وتخلبُ لبَّ العارفين وأهل الوجد والذوق حتى جميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية.

وقد استنتجنا من خلال الدراسة أن أفكار قصيدة البردة مستلهمة من معلومات

الشاعر وثقافته وبيئته العربيّة والإسلامية إلا أنّ بعض الأفكار تقليدية كالغزل والوقوف على الأطلال وغيرهما، وأنّ موسيقى القصيدة الداخلية والخارجية ناجحة والتي تساعد القصيدة على تناغم الجمل والمفردات، وهي موسيقى هادئة توحي بمدى ما يفيض على قلب الشاعر من حبّ واحترام للرّسول ﷺ، ولقد فرّع البوصيري الأسلوب ما بين خبر وإنشاء، وتقديم وتأخير، وأكثر من الجمل الفعلية وابتعد عن الجمل الاعتراضية، وطبّق بمهارة عالية حُسْنَ تنوع الأسلوب ومزجه بالعاطفة الجيّاشة المعبّرة عن شدة حّب الرسول ﷺ،

والنزعتان والرئيسيتان اللتان تتشاجر بين معظم الأبيات هما النزعة الصوفية والنزعة التربوية، ولقد امتاز البوصيري في مدائحه بقوة الأسلوب وحسن الصياغة، وجودة المعاني، وجمال التشبيهات، وروعة الصور. ونحو هذا الاهتمام بالبردة يدلّنا على أن البوصيريّ كان متفوقاً على غيره من الشّعراء من حيث الشّاعريّة والاستعداد الطبيعيّ، فلديه طبع متدفق للإبداع الشّعريّ يتقن الصنعة والصناعة الشعريّة ليصل إلى أعلى درجات الإتقان والكمال مما لفت الآخرين باتباعه وتقليده.

هوامش المراجع والمصادر:

١- بردة المديح المباركة، د. أحمد عمر هاشم، دار المقطم، القاهرة ١٩٩٥م، ص٧

٢- البردة: د أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٤

٣- البوصيري، شاعر المدائح النبوية وعلمها، د. على نجيب العطوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م، ص١٨٦

٤- انظر: محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج ١، ص ٢٧٣

٥- بردة المديح المباركة، د. أحمد عمر هاشم، دار المقطم، القاهرة ١٩٩٥م، ص٧

* * *

حبّ المدينة المنورة في الشعر السعودي

الدكتور عبد الوحيد شيخ
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها،
الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بورة

حب الوطن غريزة جبلية في الإنسان، وقد جاء في حديث ضعيف أن "حب الوطن من الإيمان"(١)، وهذا الأثر لا يصح عند المحدثين سنداً إلا أنه صحيح المعنى، فبالرجوع إلى تاريخ الإسلام يتبين لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أكره على الهجرة إلى المدينة المنورة، وتجهّز للرحيل قال مخاطبا لمكة المكرمة:" إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليّ والله لو لا أني أخرجت منك ما خرجت" (٢). وهذا يدلّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب مكة المكرمة، فلما هاجر إلى المدينة نجده يبتهل إلى الله تعالى ويدعوه بأن يحبّب إليه المدينة كما حبّب إليه مكة أو أشدّ(٣).

فصارت المدينة النبوية من أحب بلاد الله إليه حتى إنه كان إذا رجع من سفر أو غزوة، وأقبل على المدينة ورآها من بعد أسرع في سيره نحوها من شدة محبته لها وحنينه إليها، فقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع راحلته، وإن كان على دابة حرّكها من حبها."(٤)

فإذا كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم فلا غرابة أن يحنّ الإنسان إلى موطنه الذي ولد فيه وعاش فوق أرضه وتحت سمائه وتنفس هواه واستأنس بأهله فإن كان الشاعر الجاهلي يشتاق إلى وطنه ويتباكى على أطلاله على فراق أهله وهي أرض صحراء لا خضرة فيها ولا ماء ولا أمن فيها ولا استقرار , فكيف بمن ولد ونشأ في بلد فيه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه الحرمان الشريفان وفيه بيت الله الحرام وفيه من مشاعر الله منى وعرفات ومزدلفة، وفيه غار حراء الذي كان فيه ابتداء نزول القرآن، وفيه غار ثور حيث أقام فيه النبي صلى الله عليه وسلم بضعة أيام مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان الكفار يطلبونهما عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة المنورة, إلى غير ذلك من الفضائل التي

اختصت بها المملكة العربية السعودية، وتميزت بها بين سائر البلدان، وقد تغنى بحب الحجاز جم غفير من الشعراء العرب والمسلمين من داخل المملكة وخارجها، والشاعر خارج المملكة يشتاق إليها بوصفها دولة إسلامية مقدسة ذات تاريخ إسلامي مجيد، والشاعر داخل المملكة يضيف إلي ما تقدم إحساس الغربة وشعور الألم بفراق الوطن. وهذا الصنف من الشعر يتسم بالصدق والواقعية لأن الشاعر فيه لا يهدف إلى شيء آخر سوى إظهار شعوره إلى وطنه في الغربة.

والشاعر عبيد مدني قد كثرت رحلاته خارج المملكة يقول في قصيدة بعنوان "نيل الأماني"

هذه طيبة وهذه رباها فاحمد الله إذ بلغت حماها

فبدأ القصيدة بذكر اسم من أسماء المدينة المنورة وهو "طيبة".

وأحيانا يقارن الشاعر بين المدينة التي سافر إليها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كما صنع أثناء إقامته بلبنان حيث نظم قصيدة وذكر فيها أن المحب إذا فارق حبيبه يمكن أن يعالجه بالصبر إلا أن يكون الفراق للمدينة المنورة فإنه لا ينفعه الصبر.

كل شوق يطوله الصبر إلا شوق حب المدينة المتفاني

وقد أعطى الشاعر عبيد مدني شعر الحنين بعدا دينيا جديدا أدخله ضمن الشعر الإسلامي لأن شعره يحمل معاني دينية مستنبطة بمجموعة من الأحاديث التي وردت في ذكر فضلها فهو يقول:

في هواها احتملت كل عناء من حسود وفكرة من جنان (٥)

وهذا المعنى أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم:" من صبر بالمدينة على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة" (٦). ويقول الشاعر:

أو لم تسمعوا المكاره حفت وأحاطت وأحدقت بالجنان (٧)

واستلهم هذا المعنى من قوله عليه الصلاة والسلام:" حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات" (٨). فالشاعر ينتظر الأجر والثواب في حنينه إلى المدينة

وصبره على شدائدها.

وكذلك الشاعر محمد الفهد العيسى يزخر شعره بالحنين الشجي لمرابع الديار ومغاني الأوطان وعهود وذكريات الأصحاب والإخوان في مواسم البهجة والسرور فإنه مكث أزمنة عديدة في خارج المملكة العربية السعودية لأنه عمل سفيرا لها في عدد من الدول منها قطر والكويت والأردن وسلطنة عمان وغيرها.

يقول الشاعر في قصيدة "صبا نجد":

ألا يا صبا نجد فديتك يا نجدي متى كان عهدك بالأحباب في نجد

ويقول فيها:

أ يذكرني الخلان في الوسم عند ما تلوح بروق المزن...أم نسوا عهدي

سقى الله أرضا كنت بين رياضها أريق كؤوس البوح وجدا على الوجد

ويقول أيضا:

ألا يا صبا ما الطيب ما العرف بعدها ما الزهر ما القيصوم والعبق للورد

والشاعر أحمد صالح الصالح المشهور بـ "مسافر" يعتبر من طليعة الشعراء الشباب وأحد المجددين في الشعر السعودي يقول في قصيدة "حديث الغربة" حيث كان الشاعر في سفر ولجّ به الحنين إلى الوطن والأسرة فنظم هذه القصيدة التي يقول فيها:

رفيقة العمر... أمي من يخبرني عن حالها...كم إليها تسرع الفكر

ثم يذكر ذكرياته في المدارس وأيامه ولعبه مع أصدقائه وإخوانه ويذكر ابنته وشوقه لرؤيتها وأنه تستحضر كلامها دائما ثم يقول:

أكاد أسبق أيامي وأسألها متى اللقاء ؟ فقلبي كاد ينفطر

فأنتم ظل قلبي .. نبض أوردتي وفيكم العمر فينان ومزدهر (٩)

وقد لقي الشاعر حسن القرشي معاناة الغربة والاكتئاب فيرجع إلى إحضان الوحدة يشكو حاله يقول:

اتركيني لوحدتي واغترابي لعذابي إني ألفت عذابي

اتركيني ولا تبالي بدمعي إن فيض الدموع أصفى شرابي
اتركيني ولا تقولي "كئيب" خير زادي توجعي واكتئابي

والشاعر زاهر الألمعي كان في أيام دراسته بعيدا عن مسقط رأسه، وفي يوم العيد أحس بالغربة لبعده عن أهله وذويه، فقال هذه الأبيات التي تمثل حنينه إلى أهله وبلده وإحساسه بالغربة والوحدة:

يا عيد بلغ أسرتي وبلادي أزكى تحياتي وشوق فؤادي
وانقل لهم يا عيد وصف مشاعري وابن لهم عن لوعتي ووِدادي
أنا في الرياض وحال دون أحبتي شرف من الواحات والأطواد
والقلب ملتاح بحارق لوعة والعيد عيد الأنس والإسعاد
لكن أنسي أن أكون ببلدة لحقت بها الأعياد بالأعياد (١٠)

والشاعر عثمان بن سيار المحارب قد تغنى بذكريات بلده عدة قصائد يقول في قصيدة" أعيدي الربيع".

هل الشوق إلا فراق الحبيب ولو عاد بعد مرور السنين
وقد عدت فاحتضني أوبتي وصبي على مفرقي والجبين
حنانك إني إليك أحن للقياك في لهفة العاشقين
فيا خير أم لها أنتمي ومن ثديها أرضعتني الحنين
وعيني بمغناك استلهم القريض فأشجي به النازحين

ويحب الشاعر أن يدفن بعد موته في أرضه التي ولد فيها.

أحن لأول أرض لمست وأبغي بها – في غد- مقبري

ويطلب الشاعر من وطنه أن يضمه إليه فهو يشتهيه ويخشى أن لا يجيبه الوطن لسؤاله فتضيع آماله وأحلامه يقول في قصيدة "خذني إليك".

خذني إليك فأنت يا وطن الربيع
أحنى علي من الجميع(١١)

وقد ورد الترغيب في السنة في الإقامة في المدينة وأنها خير وأفضل من بقية

الأقطار والمدن في العالم. فقال عليه الصلاة والسلام: (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)(١٢).

الحواشي:

(١) ذكره الصغاني في الموضوعات (٥٣)، وقال ملا علي قاري في الأسرار المرفوعة (١٨٩): قيل لا أصل له أو بأصله موضوع. وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة (٣٦) وقال ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (٣٣٠/٥): غير صحيح وقال في شرح النزهة (٥٥): مشهور لا أصل له.

(٢) سنن ابن ماجه، ٢/١٠٣٧ برقم ٣١٠٨

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤/٩٩

(٤) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، حديث رقم ١٨٨٦

(٥) الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره للمطوع، ص ١٦٤ -١٦٦

(٦) الإمام أحمد: المسند ٣/٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت

(٧) الشاعر المؤرخ عبيد مدني حياته وشعره للمطوع، ص ١٦٦

(٨) الإمام مسلم في صحيحه (بشرح النووي)١٧/١٦٥

(٩) شعراء من أرض القصيم، عبد الرحمن بن عوض الحربي، ص ١٨ و١٤٧ و١٤٥/٢

(١٠) شعراء من الجزيرة العربية، عبد الله بن سالم الحميد، شركة مطابع نجد التجارية، ط١٤١٣/١هـ-١٩٩٢م (٢/١١٤).

(١١) ديوان: بين فجر وغسق ص١٨-١٩ و٢٤ و٧٢-٧٣

(١٢) صحيح البخاري (١٨٧٥)

* * *

تأثير الفلسفة الاشتراكية في شعر محمود درويش

د. سيد مزمل رشيد

المقدمة

كانت قضية الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة العربية وقضايا التحرر العالمية من أهم القضايا التي التزمها أدباء العرب منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى اليوم وبذلك صارت مهمتهم الحقيقة هي النقد والمعارضة والعمل على تغيير المجتمع والعالم عامة والعالم العربي خاصة وفي فلسطين انضم معظم الشعراء إلى الحزب الشيوعي أمثال محمود درويش وسميح القاسم لأنهم يؤمنون بالاشتراكية كأداة لتحرير الإنسان من الظلم والصراع الطبقي واتخذوا لها نهجا مقاوميا ينعكس في أعمالهم.

قبل أن نعالج تأثير الفكر الاشتراكي في شعر محمود درويش لا بد لنا أن نبين كيف انتشرت هذه الفلسفة في البلاد العربية ومن هم الذين ساهموا في انتشار هذه الفلسفة، كما صرح د. أحمد أبو حاقة قائلا:

"تعود بذور الاشتراكية في العلم العربي إلى أواخر القرن التاسع عشر وقد ظهرت لدى فئة قليلة من المفكرين الذين تثقفوا ثقافة أوروبية فاستهوتهم بعض آراء الاشتراكين الأوربيين التي تتخلص في أن المجتمع يكون أكثر عدالة وازدهارا لو نظم على أسس اشتراكية. وأن البشر يعيشون في سلام وئام إذا تحققت الديموقراطية الاجتماعية التي تقوم على إنصاف الطبقات وعلى المشاريع التعاونية الجماعة في ظل المساواة والحرية وتكافؤ الفرص"[١]

كما يقول في موضع آخر:

"وكان من أوائل المفكرين الذين نادوا بمثل هذه الآراء في العالم العربية طبيب لبناني الأصل عاش في مصر، يدعى شبلي الشميل (١٩٦٠-١٩١٧م) نادى بالاشتراكية

---

١. د. أبو حاقة، الالتزام في الشعر، دار العلم للملايين، ص: ١٧٩-١٨٠

والعلمانية والتطورية، وأثارت كتاباته جدلا ونقاشا حادا بينه وبين المفكرين المسلمين أمثال محمد عبده ورشيد رضا وتلاميذهما. وفي مطلع القرن العشرين برز مفكر اشتراكي آخر في مصر هو سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨م) ونشر كتابا عام ١٩١٣م عن الاشتراكية"[١]

هكذا انتشرت الاشتراكية في العالم العربي وجدير بالذكر ظهر في مصر مفكر اشتراكي هو مصطفى حسين المنصوري (١٨٩٠) الذي ألف كتابا بعوان "تاريخ المذاهب الاشتراكية" وشرح في هذا الكتاب ما استطاع أن يطلع عليه من هذه المذاهب.

ولكن الحقيقة هي أن الاشتراكية لم يكن لها تأثير كبير في الفكر العربي لأن المجتمع العربي لم يظل يتمسك بدواعي الدين الحنيف وظل العلماء المسلمين يطّلعون مجتمعهم عن النواحي السلبة والمفسدة في هذه الفكرة وألفوا الكتب في رد الفلسفة الاشتراكية كما كتب عبد الكريم الخطيب "الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين" كما كتب مناع الفطان "موقف الإسلام من الاشتراكية" و"نظرية التملك في الإسلام" والكتب الأخرى التي نجد على رد هذه الفلسفة.

تأثير الاشتراكية على محمود درويش:

في بداية الستينيات انضمّ محمود درويش إلى الحزب الشيوعي (راكاح) وتركت هذه الفلسفة الجديدة أثرا عميقا على شعره. ويقول درويش عن هذه الحقيقة قائلا:

"وصرنا نقرأ مبادئ الماركسية التي أشعلتنا حماسا وأملا. ويعمق شعورنا بضرورة الانتماء إلى الحزب الشيوعي الذي كان يخوض المعارك دفاعا عن الحقوق القومية، ودفاعا عن حقوق العمال الاجتماعية وحين شعرت إني أملك القدرة على أن أكون عضوا في الحزب دخلت إليه في عام ١٩٦١م. وترك هذا الانتماء آثار حاسمة على سلوكي وعلى شعري"[٢]

---

١. المصدر نفسه، ص: ١٨١

٢. د. رقية زيدان، أثر الفكر اليساري، ص: ٥٠

كان محمود درويش يفتخر على ذلك وهذا الفخر يتجلى في قصيدته الشهيرة "بطاقة هوية" يقول فيها:

"أنا من قرية عزلاء منسية

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها في الحقل والمحجر

يحبون الشيوعية

فهل تغضب

سجل أنا عربي"[١]

يتبين بهذه الاقتباس والأشعار أن محمود درويش كان متأثرا بأفكار الاشتراكية إلى حد كبير ويبين هذه الأفكار في قصائده بصراحة ولكن الأديب الناقد رجاء النقاش لم يرضه هذا التصريح فيقول:

"فهل يكفي هذا كله لكي نقول إن الالتزام الشيوعي هو الأساس الفكري والوجداني الذي يحول عليه إنتاج محمود درويش الشعرية! كلا بالطبع أن مثل هذا المسائل لا تدخل في نطاق الميول والرغبات ولكنّها مسألة دراسة موضوعية معايدة. فشعر محمود درويش يكشف بوضوح عن القضية الأساسية إلى يعالجها هذا الشاعر والتي تملأ قلبه ووجدانه وهي قضية الأرض العربية والانتماء العربي. والواضح في شعر هو التعبير عن هذه القضية أولا قبل كل شيء"[٢]

وقد اعترف بنفسه أنه متأثر بأفكار الشيوعية والقصائد الأخرى تدل على ذلك أنه كان متأثرا بهذه الأفكار ونجد أيضا في قصائده انتمائه إلى الطبقة العاملة والانتماء إلى الطبقة العاملة هي من أساسيات هذه الفلسفة كما تقول د. رقية زيدان:

وتتزاحم صور الأرض والحقل والفلاحة والحراثة في عدة مواقع لدى درويش شعرا أم نثرا ويجدر درويش هويته بأنه من الطبقة العاملة ومن أسرة المحراث ومن طبقة

---

١. رجاء النقاش: درويش وارض لمحتلة، ص: ٨٠

٢. المصدر السابق، ص: ٨١

الفلاحين"[1]

يقول درويش في قصيدة التالية:

"أبي من أسرة المحراث

لا من سادة نجب

وجدّي كان فلاحا

بلا حسب .. ولا نسب

يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب

وبيتي، كوخ ناطور

من الأعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتي

أنا اسم بلا لقب "[2]

وجدير بالذكر أن معظم الأقلية العربية الفلسطينية داخل إسرائيل كانت تنتمي إلى الريف وتعيش في حالة من البؤس والفقر ومن جرّاء الظروف الصعبة التي لاقاها الثعب الفلسطيني انضم هؤلاء الشعراء إلى الأحزاب اليسارية ومالوا إليها. يصور محمود درويش حال العامل والفلاح قائلا في قصيدة "ولادة"

"كانت أشجار التين

وأبوك

وعيون الفلاحين

تبكي في تشرين

المولود صبي

ثالثهم

والثدي شحيح

---

[1]. د. رقية زيدان، أثر الفكر اليساري، ص: ٥٤

[2]. محمود درويش: ديوان أوراق الزيتون، ص: ٨٠

والريح

ذرت أوراق التين"[١]

وأن من مبادئ الفكر الشيوعي، تعزير القيم الإنسانية من حرية ومساواة وإخوة عدالة الاجتماعية، ومحاربة الرجعية والسلم والسعادة والاتحاد الذي دعا له لينين (Lenen) في مقلته الشهيرة "يا عمّال العالم اتحدوا" ويقتبس محمود درويش هذه المقولة الشهرة في قصيدته" تلك صورتنا"

"لأن الله لا يأتي إلى الفقراء إذ يأتي بلا سبب

ذهبنا نحو يافا – الأمنية

يا أصدقاء البرتقال – الزينة اتحدوا

فنحن الخارجين على .. الخارجين على العبير

ضد السماء التحكم الفقراء" [٢]

ومن مميزات الفكر اليساري أيضا: تشويه الرأسمالية ومناصرة الطبقة العاملة وإبراز صراع الطبقة الكادحة ضد الرأسمالية، والإقطاع، ومن ثم التبشير بالانتصار الماركسية، ويمتد مفهومه أوسع وأشمل، مناصرة الإنسان ضد قوى الاستلاب والاستغلال والقهر ولهذا أكد "لينين" انتصار الماركسية في تقريره أمام "المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشخوف الشرف عام ١٩١٩م حيث قال:

"إنّ الثورة الاشتراكية لن تكون لا كليا ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البرولتيار الثورة في كل بلد ضد برجوزيتها[٣] بل ستكون نضالا تقوم به جميع المستعمرات والبلدان التابعة بلإمبرالية العلمية"[٤]

---

١. محمود درويش: ديوان عاشق من فلسطين، ص: ١٠٤

٢. د. رقية زيدان: أثر الفكر اليساري، ص: ١٣٧

٣. البرجوازية هي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين ١٥ و١٦ تمتلك رؤوس أموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على النتاج والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها ومكانتها بحسب نظرية كارل ماركس.

٤. د. رقية زيدان، الفكر اليساري. ص ١٣٧

لقد عمد شعراء المقاومة إلى معاداة الرأسمالية وتشويهها وطمسها من منطلق طبقي اجتماعي يقول درويش في قصيدة:

"نسير نحو عيوننا .. نسير ضد المملكة

ضدّ السماء لتحكم الفقراء

ضد المحاكم الموتى

ضد القيد قوميا

وضد وراثة الزيتون والشهداء

نحن الخارجين من العراة لتلبس الأشجار أثوب السماء

نسير ضد المملكة"[١]

ولقد اتخذ محمود درويش موقفا ثوريا من قضية وطنه ومن أجل كرامته ضد الاحتلال والاستبداد ومن أجل تحرير الأرض والإنسان ومن كل ما يملك من طاقاته الثورية الخلاقة والقدرة والتمرد والمواجهة.

ومحمود درويش حينما طرأت رسالته الشعرية الثورية ضد الظلم والاستبداد وناصر الطبقة المسحوقة والطبقة الكادحة والمستضعفين في شعبه وشعوب العالم، فحوصر من قبل اليهود ثم نفي. وهكذا درويش يلتحم ويتماثل مع فكرة الصلب والقيام، التي تنبأ درويش بها وهي الانتفاضة والثورة، وهو الحلم في تقرير المصير وقيام الدولة الفلسطينية ويقول درويش في قصيدة "المزمور الحادي الخمسون بعد المئة"

"أورشليم! التي ابتعدت عن شفاهي

المسافات أقرب

بيننا شارعان، وظهر إله

وأنا فيك كوكب

---

١. سعيد بن ناصر الغامدي , الانحراف العقدي في الأدب الحداثة وفكرها. المجلد الأول , دار الأندلس الخضراء , المملكة العربية السعودية ص ١٣٢

كائن فيك كوبي بجسمي المعذّب

يسقط البعد في ليل بابل

وانتمائي إلى حضرت الموت حق

وبكاء الثبابيك حق

وصليبي يقاتل"[١]

هكذا نستطيع أن نقول إن إنتاج محمود درويش التزم فيها لقضية الفلسطينية وقضايا شعبه وكان للفكر اليساري أثر بليغ في صفحات شعر هو تعديد في بداية الستينيات حتى السبعينيات. والتزم محمود درويش بقضايا الطبقة العاملة المسحوقة ويناصرها على القيم الماركسية.

المصادر والمراجع

١- سعيد ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في الأدب الحداثة وفكرها , المجلد الأول , دار الأندلس الخضراء , المملكة العربية السعودية

٢- محمود درويش. العصافير تموت في الجليل، دار العودة للنشر الالكتروني بدون الزمان

٣- د. رقية زيدان – أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني شعر محمود درويش ,سميح القاسم، الناشر دار الهدى كفرقرع، الطبعة الأولي

٤- رجاء النقاش , محمود درويش شاعر أرض المحتلة , دار الهلال , الطبعة الثانية

٥- محمود درويش. ديوان أوراق الزيتون، الطبعة الثانية، مكتبة الصحافة الالكترونية , فلسطين

٦- محمود درويش. ديوان عاشق من فلسطين. رياض الرئيس، المكتب والنشر. الطبعة الأولي ٢٠٠٥

٧- د. ابو حاقة. الالتزام في الشعر , دار العلم للملايين , بيروت لبنان , الطبعة الأولي

[١] محمود درويش: ديوان العصافير تموت في الجليل، ص: ٣٠٢

* * *

النقد الأدبي والعلوم: التفاعلات والصلات

د. شاد حسين
الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

تنوير أحمد بت
باحث الدكتورة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

التمهيد: النقد هو علم وفلسفة، وهو فن، ومن أعماله الأساسي تشخيص الأدب وانتقاده، والنقد هو عمل ثقافي أيضا الذي يتيحنا تصور الأدب البديع، ومن وظائفه تقويم الأدب بعد المقارنة وتحديد مكانته في تاريخ الأدب -

إن الربط بين النقد والإنشاء وثيق جدا، بل إ ن الكاتب هو أول قارئ في ذاته وناقد في كتابته، ولا يمكن للناقد أن يفوز بمهنته إذ لم يتصف بذوق أدبي عال، ولا يمكن للناقد أن يصل بغيره إلى الدرجة العليا في النقد، وكذلك أن يكون الأديب ماهرا في فنه -

وإنما العلاقة بين النقد والتحقيق متين جدا لا يمكن الفصل بينهما، ومن وظائف التحقيق الوصول إلي الحق، والهدي إلى النصوص الصحيحة، ويميز الملحقات والاحترافات فيها، فلا بد للنقد الصحيح أن يكون نص صحيح لأنه هو أساسه -

والنقد من أصعب الوظائف، فله علاقة وطيدة بالعلوم الإنسانية كالتاريخ والاجتماع وعلم الجمال وعلم النفس وغيرها من العلوم -

عملية النقد

إن النقد هو رمز إلي عناصر الأدب الحسنة والسيئة أو إلي الفنون الأدبية والمحاسبة عليها، والنقد هو فن لتحليل إنشاء وتحديد مكانته والتحكيم عليه، والتعليق والتعليل أيضا من هذا القبيل، فإن كان هذا التصحيح والتغليط أو الترتيب والتدوين أو التميز بين الملحقات والاحترافات في نص أدبي فيسمّي ذلك بالنقد النصي وكذلك يقوم النقد الأدبي بشرح الأعمال الأدبية وتعريفها فيرتبها الناقد وأحيانا يقارنها بالأعمال الأخرى الأدبية، ويحدد مكانتها في تاريخ الأدب، وعملية النقد لا يتمّ

بتوضيح شيء وتفسيره أو شرحه فقط ولا بإعادة نص بغيره من الألفاظ والتعبير- فإذا أراد المنشئ أن يبرز محاسن النص ويدل علي معائبها فقد وجد النقد، والناقد يحتاج إلي رأيه الأصيل عند حكمه لأن رأيه يعد من أركان النقد الأساسية، ويجب أن يكون الرأي خاليا من التعصب والانفعال الخياري، والحقيقة أنه يشق علي الناقد أن يقرأ نتاج أديب إذ تكون نفسه خاليا من الوجدانية والعاطفة كاملا، ولا يمكن له أن يقرأه دون الملل والانزعاج، ولكن إذا نعد النقد في نطاق عملية الحكم فالحاكم لا يكون عمله إجراء الحكم فحسب، بل يتوقع منه أن ينفذه أيضا وهذا يكون جوابا بالنسبة إلي نفسه، فلا بد للأصول أن تكون قائمة علي الأدلة التي تميز بها بين حسن الأدب ورديئه، ولابد لهذه الأصول أن تطمئن القراء، وتصيقل أذهانهم، وتضيف في علمهم أضعافا مضاعفة، والنقد يقرب الصلة فيما بين الكاتب والقاري من جانب، ويكشف الإبهام، وينير طريق التبليغ من جانب آخر، ويسعي أن يوفّر الأجوبة لتلك الأسئلة التي تبدو خلال القراءة، ويزيل تلك الشبهات التي يواجها القاري مرارا .

النقد والأدب

كثيرا ما يقال إن الأدب لا بد له من النقد، فالحقيقة أن المنشئ للأدب ذا حس نقدي، يستطيع به أن يميز بين الأعلى والأدنى من الفن ويعلم التطويل المشين أو الاختصار الناقص كما يعرف الإطناب والإيجاز اللذان يؤثران على الإنشاء الفني إيجابا وسلبا، وتوجد في نفس الأديب نفس غير نفسه تناقشها، وتباحثها وتخاصمها، وتفاهمها أو تزاحمها فيباين فيهن، وأمّا الناقد فهو أيضا يدخل في هذه المشاجرات في صميم نفسه، بل تكون هذه المشاجرة أشد من الأديب بعض الأحيان.

ويقول كليم الدين أحمد " إن النقد يجري مجري الأدب، لا يتنفس بدون الأدب، إذا لم يوجد الأدب في لغة ما أو يكون وضعه في أسوء حال لم يتطور فيه النقد، يتكون الأدب أولا ثم يأخذ الناقد الأصول من الأعمال الأدبية "-١

إن الإنشاء يواجه تحدي الناقد فيكون بعض مناحيه مخفيا حتى يأتي الناقد فيجليها وينقب باطنه ويظهر محاسنه ومعايبه التي تكون عقب أنظارنا-

وإن المؤهلات النقدية والإنشائية تكون متعارضة ومتلائمة على حد السواء، وهذه المؤهلات توجد في كل أديب وفق موهبته، فهي تعزز بعضها بعضا وتجليها، حينما نطالع التاريخ الأدبي نجد أن كبار المنشئين كانوا هم يتمتعون بمؤهلاتهم النقدية أيضا لذا يعد بعض الشعراء والأدباء من كبار الناقدين مثل أبي العلاء المعري والجاحظ و دانتے و جانسن و كيتے و كولردج و إيليت وغيرهم.

يدّعي أسلوب أحمد أنصاري بأن النقد هو عمل الإنشاء وإن الناقد والمنشئ ليس هناك فرق في مؤهلاتهما، وإنما الفرق في مكانتهما وهو يقول " إن النقد هو إنشاء أيضا مع أن هناك تباين في الفضل لأن المؤهلات التي تتصف بها الأعمال الإنشائية يجب أن تكون في النقد أيضا غير أن النقد هو يوسع المدركة للإنسان كما يدر ك شاعر وأديب ومصور ومغني والناحت " ٢

النقد والتحقيق

إن النقد والتحقيق لكل منهما نطاق العمل الفسيح، ولكل منهما أهمية كبيرة، والمهم أنه يساعد بعضهما بعضا، فإذا نظرنا إلي أدب ما، فنري أن سهما كبيرا منه يحتوي علي الملحقات التي ليس لها أي علاقة بالمتون الأساسية، فلا بد للباحث أن يبحث عن متونها الأصلية ويحاول الوصول إلي المصادر الأساسية، أما الأدب الأردي القديم فقد ظلت روايتها شفوية لحقبة من الزمن ومن أخطار هذه الرواية أن الناقل قد زلّ بعض الأحيان عن نقل متون الأصلية، أو زاد فيها بعض الأشياء التي لم تكن منها، أو غيّرها بنيّة التصحيح، ليس هذا الوضع في أدب اللغة الأردية فحسب، بل هذا الشأن لجميع الآداب العالمية، فمن مسئولية الباحث أو الناقد أن يشير إلي هذه الأغلاط والتسامحات، فهو يسعي للوصول إلي المتون الأصلية والصحيحة، فإن المتون الأصلية تساعد الناقد -

فهذا هو عمل التحقيق والتأليف الذي يوفّر المتون الصحيحة للنقد، وعمل التحقيق يكون من أعمال النقد الأساسية، فيضطر المحقق والمؤلف إلي أن يعملا بالحس النقدي لأن النقد والتحقيق هما يحفزان علي التفحص والبحث عن المتن

الأصلي الصحيح الذي يسمي بالنقد النصي، والنقد والتحقيق يحتاج بعضهما إلي بعض آخر، لأن النقد دون التحقيق مثل خبط العشواء، وهما يساويان في بعض الأهداف، فالمحقق يتوفق بثمرات بحثه وفق موهبته النقدية -

يري كيان جند بأن النقد والتحقيق يتكافؤ بعضهما ببعض، ويرفض الرأي الشائع بأن بينهما علاقة معاندة أو هما ضدان للآخر - ٣

النقد والتاريخ

يربط النقد بالتاريخ ربطا وثيقا، لأن النقد لا يمكن أن يسافر إلاّ في ظل التاريخ، وأن الناقد هو يحتاج إلى تفهم حقائق التاريخ وفلسفاته، لأنه هو يستعين بهذه الحقائق والفلسفات فيفهم روح العصر فللدكتور احتشام حسين رأي متوسط بهذا الصدد فيقول-

" إن بناء الفن النقدي على الحقائق التاريخية لا يستحسن به غير أنه ليس هناك مفرا عنها أيضا لأن النقد يفهم في ضوء التاريخ وترتّب أصوله ترتيبا حتى يتمكن لكثير من الناس من أن يستفيدوا بالأدب ويتمتعوا به ويفهموا حقائقه، ويقوموا بإشاعتها حتى ينتفع بها الآخرون، ولا يجوز اختراع أصول النقد وفق أهواء، فالأصول تحرز الأهمية إذ يعجب بها أكثر الناس لأنها تعاونهم في التمتع بالأدب وتأثر به " ٤

كذلك تتلاقى فلسفة النقد الأدبي الحديث مع الفلسفة التاريخ الحديث أو ما يمكن تسميته (النقد التاريخي) إذ لم يعد التاريخ بحثا عن الامتداد الزمني في الماضي بوصفه إطار لما وقع فيه من حوادث، ولكنه أصبح كشفا عن القيم الإنسانية فيما تكشف عنه هذه الحوادث من قوانين إنسانية محدودة لعواملها التاريخية .... و بهذا يكون التاريخ كشف عن قيم إنسانية في الماضي، وهذه القيم لا يمكن أن تكون موضوعية محضة، إذ تتطلب شرحا وتأويلا، والحقائق التاريخية فيها ليست إلاّ لبنة أو تعلة لقضايا المؤرخ، وفيها يعود المؤلف في شروحه الصادرة عن فهمه للماضي إلى الحاضر ليوسع آفاقه و ينمى جوانبه، فتولد المعاني الإنسانية مجردة في عاقبة الأمر من معناها الزمني.....فتكشف بذلك عن الخصائص الدائمة للوجود الإنساني - ٥

النقد وعلم الاجتماع

النقد وثيق الصلة من حيث أصوله و مناهجه بعلم الاجتماع فعلم الاجتماع يبحث عن الفلسفة نظم المجتمع والنواميس التي تتحكم فيه، فما هو إلا نقد، ولا شك أن النقد يثرى بدراسات علم الاجتماع، و يستفيد من مباحثه التي تدور حول العلاقة بين الفرد و الجماعة، والمسؤوليات التي على الجماعة للفرد والعكس من حيث تقدم النوع الإنساني في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و العقلية، وإن علماء الاجتماع قد بحثوا في أن الأديب هل ينبغي له أن يوجه أدبه إلى خير المجتمع أم هو طليق فيه، بل يترك نفسه تتجه كما تشاء من غير شرط و لا قيد و هو ما يعبرون عنه ب(الفن للفن) –

النقد وعلم الجمال

يربط النقد الأدبي بعلم الجمال ربطا كاملا، فإن البحث عن الجمال وعناصره جزء مشترك فيما بينهما، لأن النقد يستخدم علم الجمال في إدراك خواص الجمال ومظاهره، وفي تفهم النظريات الجمالية وأسرار الجمال والربط بينها وبين جمال الأدبي.

وإن النقد يستمد من علم الجمال حينما يهدم القواعد القديمة ويبتكر نظريات جديدة أقرب إلى الصحة في نظر الجماليين من آراء النقاد.

ومع ذلك ففي تحديد النظريات الجمالية ومحاولة فرضها على الأدب والنقد ضرر كبير، لأن طبيعة العواطف الإنسانية التي تتميز بأنها مبهمة و غامضة لا يستطاع تحديدها، ولا يمكن تقييدها لأن" دخول الدراسات الجمالية في النقد هو أن الدارس الجمالي يتعمق في البحث التفكري المجرد تعميقا يؤدى به إلى أن يبتعد تماما عن الموضوع الأدبي الذي يبحث فيه، فيغرق في لجج من التفكير الفلسفي و الخلقي و النفسي تجعله في من أي عن الأدب و الذوق الأدب، بل تنتزع منه الحاسة الجمالية نفسها .....فالدراسة الجمالية مع فوائدها كانت لها أضرارها. ٦

ويرى "ريتشاردز"I A RICHARDS في كتابه "مبادئ النقد الأدبي" أن علم الجمال قد جنى على النقد حين أشاع بعض الاصطلاحات الزائفة مثل "الانفعال الجمالي، والحالة الجمالية" ...مع أن هذه الاصطلاحات لا تخرج عن كونها أو هاما-

والنقد الأدبي عنده يقوم على شيئين رئيسين: تفسير عملية التوصل، وتفسير القيمة ٧

النقد وعلم النفس

يرتكز الأدب على العناصر الشعورية والتعبيرية وفي دراسة هذه العناصر الشعورية نطاق واسع لعلم النفس، والنزعة النفسية هي وليدة العصر الحديث في تفهم الأدب ونقده، وهي أتت إلينا من الغرب، ولم يكن لها أصول في ثقافتنا العربية، وأما موضوع الأدب فهو الإنسان في ذاته، و هو شبيه بعلم النفس في هذا ...، ويميز تناول علم النفس الظواهر العامة و تناول الأدب العنصر الفردي لكل إنسان عن أخيه، وإن الباحث في علم النفس يتحدث عن الخيال أو العاطفة أو الغريزة كظواهر عامة تشتمل الإنسانية كلها، فإذا كان الأديب شاعرا يغني بإحساسه الخاص، وإن كان قصصيا يصور الشخصيات يبرز ما فيها من أصالة حتى يفرّق به بين الشخصيات التي تشترك في موضوع واحد.

فإن قضايا الخيال والعاطفة والأصالة والصدق الفني والتجربة الأدبية والشخصية والأسلوب من قضايا النقد الأدبي، ولا يمكن لنا أن نستهدي في فهمها إلاّ النفس، لأن لها الصلات واشجة بعالم الذات وما يحيط هذا العالم لمؤثرات بيئة واجتماعية وحضارية وعقلية.

وكما يلاحظ (هربرت ريد) فإن النقد الحديث لا يحبس نفسه في (دائرة العمل الفني) وحده فحسب، ولكنه يتخطى هذه الدائرة لكي يواجه (العملية الفنية) نفسها، وما يمكن أن يكون عليه الفنان في لحظات الخلق والإبداع من مستوى عقلي وانفعالي ولغوي إذا جاز أن يقال -.....٨

جملة القول

و في مسك الختام يمكن أن يقال أن الناقد له مزاولات بشتي العلوم، ولا ينبغي له أن يخرج نفسه من هذه المزاولات لأنه يحس حاجة ماسة إلي هذه العلوم، والأدب في طياته يحتوي مكوّنات من الفلسفة والتاريخ، وهو تصوير الحياة الثقافة

والاجتماعية، فلا بد للناقد أن يكون ملمّا بهذه العلوم، ومن ناحية أخري أن النقد هو فنّمن الفنون الأدبية لأن له علاقة بالإنشاء، وإن الإنشاء هو أساس النقد، ويكون جميع الأدباء أسبق القارئين لكتاباتهم وأول نقادها أيضا، ويكون فن المنشئ تامّا حسب نضج حسه النقدي، وكذلك أن النقد هو من أعمال الثقافة الذي لا بد للأدب، ويحتاج كل منهما إلي الآخر في حسن إيجاد الأدب ونقده .

الهوامش

١- تعريف النقد وعلاقاته الأخرى لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ٨

٢- ادب اور تنقيد : اسلوب أحمد أنصاري ص - ٢٥

٣- تعريف النقد وعلاقاته الأخري لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ١٤

٤- تعريف النقد وعلاقاته الأخرى لبروفيسور عتيق الله India Pathshala MHRD Govt. of ص ٢٢

٥- أنظر... النقد الأدبي الحديث للدكتور محمد غنيمي هلال ..ص ٧

٦- النقد الأدبي لأحمد أمين ...ص٣١١.... ٣١٢

٧- أنظر... مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم الخفاجي، ص ١٩٤

٨- عن اللغة والأدب والنقد، رؤية تاريخية ورؤية فنية، دكتور محمد أحمد العزب، ص ٢٦٤

* * *

Review Committee:

- **Prof. M. N. Khan**
  Department of Arabic,
  University of Delhi
  mnkhan04@rediffmail.com
- **Pz. Basheer Ahmed**
  Department of Arabic,
  University of Kashmir
  pz.bahmad@yahoo.com
- **Prof. Syed Kafeel Ahmad Qasmi**
  Department of Arabic,
  AMU, Aligarah
  kafeelqasmi@gmail.com
- **Prof. Mohd. Iqbal Hussain**
  Department of Arabic,
  EFLU, Hyderabad
- **Prof. Habibullah Khan**
  Department of Arabic,
  JMI, New Delhi
  habibkhan2863@gmail.com
- **Prof. Rizwanur Rahman**
  Centre of Arabic & African Studies
  JNU, New Delhi
  rrahmanjnu@gmail.com

Advisory Board:

- **Prof. Ayub Tajuddin**
  Department of Arabic,
  JMI, New Delhi
  ayubnadwi@rediffmail.com
- **Prof. Wali Akhter Nadwi**
  Department of Arabic,
  Delhi University
  waliakhternadwi@gmail.com
- **Prof. Ab. Majid Qazi**
  Department of Arabic,
  JMI, New Delhi
  drabdulmajidqazi@gmail.com
- **Prof. Syed Jahangir**
  Department of Arabic,
  EFLU, Hyderabad
  alhirafortnightly@gmail.com
- **Prof. Syed Rashid Naseem**
  Department of Arabic,
  EFLU, Hyderabad
  srnaseem@yahoo.com
- **Dr. Shamas Kamal Anjum**
  Department of Arabic,
  BGSB University, Rajouri
  arabicbgsbu@gmail.com

ISSN: 2231-1912

MAJALLAH AL-DIRASAT AL-ARABIA

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

An Annual Research Journal of Arabic Language & Literature

No. : 16

Dec. : 2019

Chief Editor:

Prof. Salahuddin Tak

Editor:

Dr. Tariq Ahmad Ahanger

Editorial Board:

Prof. Manzoor Ahmad Khan
Dr. Shad Husain
Dr. Abdul Rehman Wani

Post Graduate Department of Arabic
UNIVERSITY OF KASHMIR, SRINAGAR – 190006
(NAAC ACCREDITED A+)
Telephone: 0194-2272330, 2272331 - Ext. 2330, 2331
E-mail: hodarabic@kashmiruniversity.ac.in

MAJALLAH AL-DIRASAT AL-ARABIA

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

An Annual Research Journal of Arabic Language & Literature

No. : 16,
Dec. : 2019

ISSN 2231-1912

POST GRADUATE DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF KASHMIR, SRINAGAR-190006
(NAAC ACCREDIRED A+)